

صِحَاحُ الْإِخْبَارِ عَمَّا فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَشَارِ

تأليف
الشيخ محمد بن عبد الله بن أبيه

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ

٩

الْناَبِغَةُ الذُّنْيَانِي

الناطقة الذيباني

واسمه زياد بن معاوية ، ينتهي نسبه إلى ذُبْيَان بن رَيْث بن غَطَفَان بن قَيْس عَيْلان وكنيته أبو أُمَامَة . توفي سنة ١٨ قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .
وهذا مطلع الملحقة :

١ - يَا ذَا رَمِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتَ وَطَالَ عَمَلُهَا سَالِفُ الْأَبَدِ

العلياء تطلق على كل أرض مرتفعة ، وليست موضعا معينا ، كقول زهير :

* تحملن بالعلياء من فوق جرثم *

السند^(١) : قال في معجم البلدان : هو ما قبالك من الجبل ، وعلا من السفح ، ولا يزال أهل نجد يطلقون على كل مرتفع سناء ، ولست أعلم موضعا يقال له اليوم العلياء ، ولا موضعا يقال له اليوم : السند ، إلا موضعا واحدا يقال له « سنيد » على صيغة التصغير ، وهو الطريق الذي يسلك من عُشيرة إلى نجد الذي فيه خيام أهل المركز اليوم ، وهو ثنية الحريرة الواقعة على ضفة وادي العقيق الجنوبية النافذة من ماء عُشيرة . يقال لتلك الثنية سُنيد إلى هذا العهد .

* * *

٢ - وقال النابغة يصف راحلته :

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا أُرْتِجَاعَ لَهُ وَانْمِ الْقُتُودَ عَلَى غَيْرَانَةٍ أَجْدِ
تَحْفُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّخْضِ بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسْدِ
كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ
مِنْ وَخْشٍ وَخَرَّةٍ مَوْشَى أَكَارِعُهُ طَاوَى الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ
فَارْتَمَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوَّعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدِ

الجليل : هو في اللغة الثام ، ويطلق هذا الاسم على وادٍ من أودية الطائف يقال له « جليل » وهو الذي عناه النابغة ، وهو واقع جنوبي الطائف ، يبعد عنه مسافة أقل من نصف يوم ، وهو معلوم عند عامة العرب بهذا الاسم في الجاهلية والإسلام ، ويحتمل أن النابغة أراد بالجليل الجبل

(١) قال البكري : قد حدده الأحوص في قوله :

غشيت الدار بالسند * دوين الشعب في أحد (ج ٣ ص ٧٦١) مصنف

الذى فى الشام ، وذلك أنه حين غضب عليه النعمان بن المنذر اللَّخْمِيّ التجأ إلى ملوك غَسَّان وكانوا مقيمين بالشام وفى سواحل جبل يقال له « الجليل » تمتد إلى قرب حمص ، وقد كان معاوية ابن أبى سفيان يحبس فى موضع من هذا الجبل مَنْ يظفر به ممن اتهم بالاشتراك فى مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومنهم محمد بن أبى حذيفة ، وكريب بن أبرهة ، وهناك قتل عبد الرحمن بن عديس التنجيبى ، قتله بعض الأعراب لما اعترف عنده بقتل عثمان ، قال ياقوت^(١) : وعبد الرحمن بن عديس التنجيبى هو الذى يقول لما خرج من مصر مع الثوار الذين كانوا يريدون قتل عثمان ، وهو من رؤسائهم ، قال وهو فى طريقه :

أقبلن من بليس والصَّعيدِ مستحقات حلقَ الحديد
يطلبن حق الله فى الوليد وعند عثمان وفى سعيد

الوليد : هو الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط أخو عثمان بن عفان لأمه ، أمهما أَرْوَى ، وسعيد : هو سعيد بن العاص الذى استعمله معاوية بن أبى سفيان فى خلافته على المدينة ، قال ابن القتيبة : وكان منزل نوح عليه السلام فى جبل الجليل بالقرب من حمص فى قرية تدعى سحر ، وذكروا أن هذا الجبل الذى يسمى الجليل دعا له عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ألا لا يَعدُّو سُبُعَه ، ولا يجذب زرعه ، وهو جبل يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال ، فما كان بفلسطين منه يقال له « جبل الحبل » وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وما كان بدمشق فهو لبنان ، وما كان منه بحمص فهو سنير ، وقد قال أبو قيس بن الأسلت فى ذلك^(٢) :

فلولا ربُّنا كُنا يهودا وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كُنا نصارى مع الرهبان فى جبل الجليل
ولكنا حُلُقنا إذ حُلُقنا حنيفٌ ديننا عن كل جيل

وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقى : واصل بن جُمَيْل أبو بكر السلامانى ، من بنى سلامان ، الجليلى ، من جبل الجليل من أعمال صيدا ويروت من ساحل دمشق ، حدث عن مجاهد ومكحول

(١) انظر معجم البلدان ٣/ ١٣١ وليس فيه الرجز .

ذكره ابن جرير فى تاريخه ج ٥ ص ١١٥ وهذا الرجز :

أقبلنا من بليس والصَّعيد	خوصا كأمثال القسى قود
مستحقات حلق الحديد	يطلبن حق الله فى الوليد
وعند عثمان وفى سعيد	يارب فارجنا بما نريد

(المصنف)

(٢) انظر معجم البلدان ٣/ ١٣٢ .

وعطاء وطاوس والحسن البصرى ، روى عنه الأوزاعى وعمر بن موسى بن وجيه الوجيهى ، وقال يحيى بن معين : وأصل بن جميل مستقيم الحديث ، ولما هرب الأوزاعى من عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس اختبأ عنده ، وكان الأوزاعى يحمى ضيافته ويقول : ماتهنأت بضيافة أحد مثل ما تهنأت بضيافتي عنده . وكان خبأنى فى هُرى العدى ؛ فإذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت العدى فطبخت ثم جاءتني ، فكان لا يتكلف ، فتهنأت بضيافته . واستشهد صاحب معجم البلدان على وادى الجليل الذى بالطائف بيت النابغة هذا . وقال أيضاً فى معجم البلدان ^(١) : وفو الجليل : وادٍ بقرب أجأ . والجليل الذى نعرفه بهذا الاسم إلى هذا اليوم هو الوادى القريب من الطائف ويعد من أوديته .

وأما وجرة فقد مضى الكلام عليها فى شعر زهير . وقد أوضحناها هناك . يقسمها اليوم طريق المهد السالك من عشيرة إلى المهد نصفين : من عشيرة حتى يقرب المهد كلها يطلق عليها وجرة . وهى ركة الشمالية . وقد أوردنا الشواهد الواردة فى ذكرها . ومن ذلك قول أعرابى :
وفى الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال أحمر المقلتين ريب
فلا تحسب أن الغريب الذى نأى ولكن من تنأين عنه غريب

* * *

٣ — وقال النابغة :

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ :
قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ وَاحْدُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ
وَحَيْسِ الْجَنِّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ
يَنْتُونُ تَدْمُرُ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ

أما مدينة تدمر فإني أحيت أن أذكر عبارة صاحب معجم البلدان برمتها ، قال : مدينة ^(٢) قديمة مشهورة فى برية الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام ، قال بطليموس : مدينة تدمر طولها إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، داخلها فى الإقليم الرابع ، بيت حياتها السالك الأعزل ، تسع درجات من الجدى ، بيت ملكها مثلها من الحمل ، عاقبتها مثلها من الميزان ، وقال صاحب الزيج : طول تدمر ٦٣ درجة وربع ، وعرضها ٣٤ درجة وثلثان ، قال : سميت بتدمر بنت حسان بن أذينة بن السميدع بن مزيد بن علق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وهى من عجائب الأنبياء موضوعة على العمود الرخام ، زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان عليه السلام ، وذكر الشاهد على

تدمر

(٢) انظر معجم ياقوت ٢ / ٣٦٩

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ١٣٢ .

ذلك، وهو بيت النابغة هذا، وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود عليهما السلام بأكثر مما بيننا وبين سليمان، ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيبا جهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى الجن، وعن إسماعيل بن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال: كنت مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية حين هدم حائط تدمر، وكانوا خالفوا عليه، وقتلهم، وفرق الخيل عليهم تدوسهم وهم قتلى، فطارت لحومهم وعظامهم في سَنابك الخيل، وهدم حائط المدينة، فأفضى به الهدم إلى جرف عظيم، فكشفوا عنه صخرة فإذا بيت مُحَصَّص كأن اليد رفعت عنه تلك الساعة، وإذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها، وعليها سبعون حلة، وإذا لها سبع غداثر مشدودة بخلخالها، قال: فذرعت قدمها، فإذا هي ذراع من غير الأصابع، وإذا في بعض غداثرها صحيفة ذهب فيها مكتوب: باسمك اللهم، أنا تدمر بنت حسان، أدخل الله الدار على من يدخل بيتي هذا، فأمر مروان بالجرف فأعيد كما كان، ولم يأخذ مما كان عليها من الحلى شيئا، قال: فوالله ما مكثنا على ذلك إلا أياما حتى أقبل عبد الله بن علي فقتل مروان، وفرق جيشه واستباحه، وأزال الملك عنه وعن أهل بيته، وكان من جملة التصاوير التي بتدمر صورة جارييتين من حجارة من بقية صور كانت هناك، فمر بها أوس بن ثعلبة التميمي صاحب قصر أوس الذي في البصرة، فنظر إلى الصورتين، فاستحسنهما، فقال:

فَتَأْتِي أَهْلَ تَدْمَرِ خَبْرَانِي	أَلَمَّا تَسَامَا طَوْلَ الْقِيَامِ
قِيَامَكَا عَلَى غَيْرِ الْحَشَايَا	عَلَى جَبَلِ أَصَمٍّ مِنَ الرِّخَامِ
فَكَمْ قَدَمٍ مِنْ عَدَدِ اللَّيَالِي	لِعَصْرَكَا، وَعَامٍ بَعْدَ عَامٍ
وَأَنْكَا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي	لَأَبْقَى مِنْ فُرُوعِ ابْنَيْ شِمَامٍ
فَإِنْ أَهْلُكَ قُرْبَ مَوْتَاتٍ	ضَوَامٍ تَحْتَ فَتَيَانِ كَرَامٍ
فَرَأَيْتُهَا مِنَ الْإِقْدَامِ نَزَعِ	وَفِي أَرْسَافِهَا قَطْعَ الْخِطَامِ
هَبَطْنَ بَيْنَ مَجْهُولَا مَخُوفَا	قَلِيلِ الْمَاءِ مَصْفَرِ الْجَمَامِ
فَلَمَّا أَبْ رَوَيْنَ صَدْرَنَ عَنْهُ	وَجِئْنَ فُرُوعَ كَاسِيَةِ الْعِظَامِ

قال المدائني: فقدم أوس بن ثعلبة على يزيد بن معاوية فأنشده هذه الأبيات، فقال يزيد: لله درُّ أهل العراق، هاتان الصورتان فيكم يا أهل الشام لم يذكرهما أحد منكم، فمر بهما هذا العراق مرة فقال ما قال، ويروى عن الحسن بن أبي سرح عن أبيه قال: دخلت مع أبي ذؤلف إلى الشام، فلما دخلنا تدمر وقف على هاتين الصورتين، فأخبرته بخبر أوس بن ثعلبة، وأنشدته شعره فيهما: فأتى طريقا قليلا ثم أنشد:

ما صورتان بتدمر قد راغستا
أهل الحجبي وجاعة المشاق
غبرا على طول الزمان ومره
لم يسأما من ألفة وعناق
فليرمين الدهر من نكبته
شخصيهما منه بسهم فراق
وليبدننهما الزمان بكثرة
وتعاقب الإخلام والإشراق
كي يعلم العلماء أن لا خالدا
غير الإله الواحد الخلاق
وقال محمد بن الحاجب يذكرهما :

أتدمر صورتانك هما لقلبي
غرام ليس يشبهه غرام
أفكر فيكما فيطير نومي
إذا أخذت مضاجعها النيام
أقول من التعجب : أى شيء
أقامهما فقد طال القيام ؟
أملكنا قيام الدهر طبعاً
فذلك ليس يملكه الأنام
كأنهما معاً قرّنان قاما
ألجّهما لدى قاض خصام
يمر الدهر يوم بعد يوم
ويمضي عامه يتلوه عام
ومكنهما يزيدهما جمالا
جمال الدر زينته النظام
وما تعدوها بكتاب دهر
سجيته اضطلام واخترام
وقال أبو الحسن العجلي فيهما :

أرى بتدمر تماثيل زانها
تألق الصانع المستغرق الفطن
هما اللتان يرون العين حسنهما
يستعطفان قلوب الخلق بالفتن

وفتحت تدمر صلحا . وذلك أن خالد بن الوليد - رضى الله عنه ! - مر بهم في طريقه من العراق إلى الشام ، فتحصنوا منه ، فأحاط بهم من كل وجه ، فلم يقدر عليهم ، فلما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل قال : يا أهل تدمر ، والله لو كنتم في السحاب لاستنزناكم ولأظهرنا الله عليكم ، ولئن أنتم لم تصلحوا لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهي هذا ، ثم لأدخلن مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبى ذراريكم . فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أودوه له ورضى به . وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد . ولكن خرابها كثير لطول تداول السنين بها . وهى واقعة بين دمشق وحلب ، بينها وبين حلب مسافة خمسة أيام .

٤ — وقال النابغة :

الْوَاهِبُ الْمَثَّةُ الْأَبْكَارَ زَيْنَهَا سَمْعَانُ تَوْضِيحٌ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبْدُ^(١)
وَالسَّاحِبَاتِ ذُيُولَ الْمِرْطِ فَتَقَّهَا بَرْدُ الْهَوَاجِرِ كَالْفَزْلَانِ بِالْجَرْدِ

توضيح : موضع معروف بنات السَّعْدَانِ . وهو واقع بين جبل المضب وجبل الحمل . وقد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس . والعرب تستمرى نبات السعدان لرعى الإبل . وفي المثل « ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان » وهو نبات معروف عند عامة أهل نجد .

الجرد أما الجرد فهو عند أهل نجد القطعة من الرمال الصغار يكون منظرها أسود سهلة المرتقى ، ولا أعلم موضعاً معيناً يقال له الجرد ، إلا موضعاً جنوبي سامودة ، والموضع المذكور يقطعه السالك من الطائف إلى تربة ، يقال له الجرد ، وأما قول النابغة « كالغزلان بالجرد » فهو يقصد الجرد بالمعنى الأول إذا رأيتهما ظننت أنها حزون ، وهي نوع من الرمال على ما ذكرنا .

* * *

٥ — وقال النابغة :

وَإِخْلُوكُمْ كُحْكُمُ فَتَاةٍ حَيٍّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ شَرَّاجٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَيَتَبَعُهُ مِثْلُ الزَّجَاجَةِ لَمْ تَكُحَلْ مِنَ الرَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدْ
فَحَسَبُوهُ فَأَلْفُوهُ كَمَا زَعَمْتَ سِتًّا وَسِتِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِدَاتِ الطَّيْرِ تَمَسَّحُهُ رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعَدِ

التمد : يطلق على كل ماء قليل على ظهر الأرض يرده القطا . وهناك ماء معينة معروفة يقال لها « التمد » بالتصغير ، وهو الماء الذي تستقي منه بلد بريدة وتستعذبه على جميع المياه الواقعة قريباً منها .

أما « جانبانق » فليسوا موضعاً معلوماً . بل أراد جانبي جبلين رفيعين سلك الحمام من بينهما . والنبيق : الجبل الشاهق .

(١) في هذا البيت — على هذه الرواية — الإقواء ، وكان النابغة يقوى في شعره ، ويروى :

* في الأوبار ذى اللبد *

الفيل

الكعبة تكفى شهرتها عن ذكرها .
أما الفيل فثمة موضع بهذا الاسم واقع في جبل العارض في جنوبي الأفلاج . وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا . وهناك موضع كان يسمى الفيل في الزمن القديم في بطن وادى يللم الذى يصب في تهامة من أعلى وادى المحرم ، ويتجه مغربا حتى يصب في البحر . وفي بطن هذا الوادى ماء السعدية المعروفة بهذا الاسم في هذا العهد . وهذا الوادى هو ميقات أهل اليمن . وهو الذى يقول فيه أبو دهل الجحى :

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصاح المنادى للصلاة فأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ من الحى حتى جاوزتْ بى تَمَلَمَا
قال في معجم البلدان ^(١) : وفيه مسجد لمعاذ بن جبل . فأما أنا فوردت تلك المائة ماء السعدية
وهي الميقات ، فلم أر فيها مسجدا . والفيل الذى يقع في صدر يللم في قول ذؤيب بن بوية بن لائى :
لعمري لقد أبكت قريم وأوجعوا بجزعة بطن الفيل من كان با كيا
وجزعة باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد بين ماء السعدية وجبال وادى المحرم .

سعد

والمواضع التى يطلق عليها سعد - بسكون العين - كثيرة . قال ياقوت ^(٢) : والسُّد : ماء
وقرية ونخل غربي اليمامة . قال أبو زياد : سعد ماء وقرية ونخل من جانب اليمامة الغربى بقرقرى ،
وقد ذكره الشعراء ؛ فقال الصَّمّة بن عبد الله القُشَيْرى وقد فارق أهله وافترض في الجند :
ألا ليت شعرى هل أبيتَ ليلةً بسُعدٍ ولما تَخَلُّ من أهلها سُعدُ
وهل أقبلنَّ النجدَ أعناقَ أَيْتُنَى وقد سار مُسَيَّأً ثم صَبَّحها النجد
وهل أخبطن القوم والريجُ طَلَّةَ فروعِ ألاءِ حفه عَقَدَ جعد
وكنت أرى نجدا وريّا من الهوى فما من هوائى اليوم رِيّا ولا نَجْدُ
فدعنى من رِيّا ونجد كليهما ولكننى غادٍ إذا ماغدا الجند
وقال جرير :

ألا حى الديار بسُعدٍ إني أحب لحب فاطمة الديارا
إذا ما حل أهلك ياسليمى بدارة صُلُصْل شَحَطُوا مَزَارا
أراد الظاعنون ليحزنونى فهاجوا صدع قلبي فاستطارا
وسُعد أيضا : موضع قريب من المدينة ، كانت غزوة ذات الرقاع التى غزاها رسول الله صلى الله

(٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٨٣ .

(١) انظر معجم البلدان ٨ / ٥١٤ .

عليه وسلم قريبا منه ، وهناك موضع يقال له « سعد » على طريق السالك من فيد إلى المدينة ، قال فيه نصيب :

وهل مثل أيام بنعف سويقة عوائد أيام كما كنَّ بالسعد
تتميت أنا من أولئك ، والمنى على عهد عادٍ لا نُعيد ولا نبدي

ودير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وحمام سعد : في طريق حاج الكوفة ، ومسجد سعد على ستة أميال من الزبيدية بين القرعاء والمغيثة في طريق حاج الكوفة ، فيه بركة ، أما القرعاء فهي موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد من قرى الجواء ، يقال لها القرعى ، وهذا المسجد ينسب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال ابن الكلبي : وكان لمالك ومسلكان ابني كنانة باحل جدة وبتلك النواحي صنم يقال له سعد ، وكان صخرة طويلة ، فأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه ، يتبرك بذلك فيها ، فما أدناها منه نفرت منه ، فذهبت في كل وجه وتفرقت عنه ، فأسف صاحب الإبل ، فتناول حجرا ، فرماه به وقال : لا بارك الله فيك إلها ! أنفرت على إبل ، ثم انصرف عنه وهو يقول :

أتينا إلى سعد^(١) ليجمع شملنا فشتتنا سعدُ فما نحن من سعد
وما سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعى لى ولا رشد

فأما الموضعان المذان ذكرهما النابغة بقوله « بين الغيل والسعد » فالغيل ماء إذا كثرت السيول يصب من الجبل الذي يدعى اليوم جبل الرخم ، وهو متأخر للجبل المسمى اليوم « جبل النور » وأما السعد - بفتح العين - فهو ماء تصب من جبل أبي قبيس ، معروفة عند جميع العرب بهذا الاسم ، ولكن هذا الماء انقطع إلا أن يكون هو الذي يسميه أهل مكة في هذا العهد المصافى فهو باقى يحجز الماء ، وأقرب ما يكون لهذا التحديد هو موضع المصافى اليوم .

* * *

٦ - وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

كَلَيْنِي لِهَمٍّ يَا أَمِيْمَةً نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ أَلَسْكَوَا كِبِ

وهو يمدح فيها الحارث الأعرج النسائي لما التجأ إليه حين هرب من النعمان بن المنذر ، إلى أن قال :

(١) وفي معجم البكري ج ٣ ص ٧٣٨ : وهناك موضع يقال له « سعد » غير هذا ، واقع في بلاد غطفان ، وهو الذى يقول فيه كعب بن زهير :
جعل السعد والغطفان يمينا والرورة شامة وخيرا (المصنف)

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَشْنُونَةٍ وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّ بِصَاحِبِ
لَنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ قَبْرٌ يَخْلُقِ وَقَبْرُ بَصِيدَاءَ الَّتِي عِنْدَ حَارِبِ
وَالْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ لِيَكْتُمَنَّ بِالْجَمْعِ أَرْضَ الْمُحَارِبِ
وَتَقَتْ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كِتَابُ مِنْ غَنَانٍ غَيْرُ أَشَائِبِ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ مِنْ فُلُوكَ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ
جلق : قيل في كتب المعاجم إنها أسم لسكرورة القوطة ، وقيل : بل هي دمشق نفسها ، قال
حسان بن ثابت رضي الله عنه في جاهليته :
لِلَّهِ دَرَّ عِصَابَةٍ نَادَمَتْهُمْ يَوْمًا يَخْلُقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
وهي مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد .
صيداء : قال في معجم البلدان ^(١) : تطلق على كل أرض تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية
الأرض ، قال الشماخ :

حَذَاهَا مِنَ الصَّيْدَاءِ نَعْلًا طَرَقَهَا حَوَامِي الْكَرَاعِ الْمُؤِيدَاتِ الْعِشَاوَزِ
وهي اسم لمدينة عظيمة على ساحل بحر الشام ، من أعمال دمشق ، شرقي صور ، بينهما ستة
فراسخ ، قالوا : إنها سميت بصيداء لأن أول من اختطها صيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن
نوح عليه السلام ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .
حارب ^(٢) موضع من أعمال دمشق بخوران قرب مرج الصفر ، من ديار قضاة ، واستدل
صاحب معجم البلدان على هذا الموضع ببيت النابغة ، ولا أعلم أهو باق بهذا الاسم أم قد تغير .
الحارث الجفني الذي ذكره النابغة هو الحارث الأعرج القسائي ، وعلى ذكر البيت الأخير
الذي يقول فيه « ولا عيب إلخ » تقول : ذكروا أن عروة بن الزبير وفد على عبد الملك بن مروان
وقد كَفَّ بصر عروة ، فقال له عبد الملك : أتعرف سيف أخيك عبد الله بن الزبير إن أتيتك به ؟
قال : نعم ، فجاءوه بعشرين سيفًا ووضعت بين يديه ، فقال عبد الملك : أخرج سيف أخيك منها ،
فاندفع يتتبعها بيديه ، فوجد سيف أخيه ، فعرفه بمس يديه ، ثم مده إلى عبد الملك بن مروان وقال :

(٢) معجم البلدان ٣ / ١٩٨ .

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٤٠٣ .

هذا سيف أخى ، فقال له : وما يدريك وقد كف بصرى ؟ قال : استدلت عليه بيت النابغة حين قال :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتاب
فأعجب عبد الملك به ، فقال : صدقت هذا سيف أخيك .

* * *

٧ — وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

إِنِّى كَأَنِّى لَدَى النُّعْمَانِ خَبْرُهُ بَعْضُ الْأَوْدُ حَدِيثًا غَيْرَ مَكْذُوبٍ

إلى أن قال :

تَأْنِى الْجِيَادُ مِنَ الْجَوْلَانِ قَانِظَةً مِنْ بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُرْجَى وَتُجْنُوبِ
حَتَّى اسْتَعَانَتْ بِأَهْلِ الْمَلْحِ مَا طَعِمَتْ فِي مَنَزِلِ طَعَمَ نَوْمٍ غَيْرِ تَأْوِيْبِ
يَنْصَحْنَ نَصَحَ الْمَزَادِ الْوُفْرِ أَتَاقَهَا شَدُّ الرُّوَاةِ بَمَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوبِ

إلى أن قال :

وَمَا بِحِصْنِ نَعَاسٍ إِذْ تُؤَرِّقُهُ أَصْوَاتُ حَيٍّ عَلَى الْأُمَرَارِ تَحْرُوبِ

الجولان : قرية من نواحي الشام من أعمال حوران ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ،
ومنهم من قال : إنه موضع فيه مزارع فى وسط جبل ، وقال النابغة فى غير هذه القصيدة :
بكى حارثُ الجَوْلَانِ من فَقْدِ رَبِّهِ وَحُورَانُ مِنْهُ مُوَحِّشٌ مُتَضَالِ
وجبل الجولان يقال له « حارث » قال حسان بن ثابت :

هَبَلْتُ أَمَهُمْ وَقَدْ هَبَلْتَهُمْ يَوْمَ رَاحُوا لِحَارِثِ الْجَوْلَانِ

وقال الراعى :

كَذَا حَارِثُ الْجَوْلَانِ يَبْرِقُ دُونَهُ دَسَاكِرُ فِى أَطْرَافِهِنَّ بَرُوجِ

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه من قصيدة له طويلة مطلعها « منع النوم إلخ » . وهى

فى السيرة :

إِنْ خَالَى خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوِّ لِأَنَّ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ

وقال حسان أيضا فى قصيدة له ذكرها صاحب السيرة فى ذكر خير البرية :

مَنْعَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطُنَا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمِ
مَنْعَنَا مَا حَلَّ بَيْنَ بَيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ

بيت حريد أصله وثرأوه بحاية الجولان بين الأعاجم
هل المجد إلا السود والنعدي وجاء الملوك واحتال العظام
وقال الجواس بن القعطل الكلبي يتهدد عبد الملك بن مروان ، ويذكر مواقف قومه معه
يوم مرج راهط لما هزمت كلب جيش ابن الزبير وقتل رئيسه الضحاك بن قيس ، ورئيس أهل
الشام مروان ابن الحكم ، ورئيس كلب حسان بن بحدل خال يزيد بن معاوية ، وأقوى داع لنصرة
كلب لبني أمية هذه المصاهرة ، وهي تزوج معاوية بن أبي سفيان ميسون بنت بحدل أخت حسان
المذكور ، وهي التي تقول لما اختارت البادية على قصور الشام :

ليت تحفق الأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف
وقصتها طويلة ، قال الجواس :

أعبد المليك ما شكرت بلاءنا فكل في رخاء الأمن ما أنت آكل
بحاية الجولان لولا ابن بحدل هلك ، ولم ينطق لقومك قائل
وكنت إذا أشرفت في رأس رامة تضاءلت ، إن الخائف المتضائل
فلما علوت الشام في رأس باذخ من العزلا يستطيعه المتسائل
نضحت لنا سجال العداوة معرضا كأنك عما يحدث الدهر غافل
فلو طأوعوني يوم بطنان أسلمت لقيس فزوج منكم ومقاتل

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : أرواح المؤمنين بالجاية من أرض الشام ، وأرواح
الكفار في برهوت من أرض حضرموت .

وأكثر شعراء غطفان ذكر الأملاح وذكر المرواة ، قال النابغة * حتى استقامت بأهل الملح *
وقال في هذه القصيدة « أصوات حى على الأمرار محروب » وقال زهير^(١) بن أبي سلمي وهو -

مع كونه مزني النسب - يعد من شعراء غطفان :

ترَبَّصْ فَإِنْ تَقَوَّ المرواة منهم وداراتها لم تقومهم إذا نَحَلْ

المرواة والأملاح التي أكثر شعراء غطفان من ذكرها واقعة في بلاد غطفان ، ولكن في
بلاد العرب ثلاثة مواضع من الأرض لا يستطيع أحد أن يشرب من مائها ولا أن يطبخ بها زادا ،
ولكن الله اللطيف بعباده جعل للناس بين تلك الأملاح معاذب يستعذب أهل الأملاح منها ، فيهم

(١) قد ذكرنا في صفحة ١٤ من الجزء الأول : أن زهيراً من قيس عيلان لأنه ناشئ في بلاد

غطفان ، ونسبه في مزينة وهم من بني عمرو بن أد ، من الياس بن مضر . (المصنف)

من يركب جملة بمزادة فيستقى ثم يعود إلى أهله ، وفيهم من يبيت ليلة على الماء العذب ، أما المياه المرة في بلاد بني عبد الله بن غطفان فهي واقعة في أعلاها ، وتنقسم سيول تلك الناحية إلى قسمين ؛ فما كان يصبُّ إلى جهة الشرق فهو وادي الرمة ، وما كان يصب منها إلى جهة الغرب فهو يصب في الشعبة التي تصب في وادي الحوض ، وسندكر المياه التي حضرتنا أسماؤها ، بعضها لا تسيعه الإبل ، تكظم عليه ثم تمجه ، قال شاعر غطفاني في ماء المرير وقد أوردنا هذا الشاهد :

هذا المرير فاشريه أو ذري إن المرير قطعة من أخضر - أي من بحر

وطرف تلك المياه الجنوبي : ماء الخضارة الواقعة بين الدفينة وعفيف ، وسندكر المتصل بها منها إلى طرف المروارة الشالي ، وشحاذه ، والعثمة ، والسريخه ، وثرث ، وفج ، وفجيج ، والسلياة ، والبدنة ، والمرير ، والمرة ، وطلال ، والهميج ، وأبومغير ، والمناوية ، وبلغة ، وبعض تلك المياه إذا خرج من الدلو جمد ؛ فالسالك من الدفينة إلى عفيف يترك طرفها الجنوبي على شماله ، والسالك من النقرة إلى المدينة يترك طرفها الشالي على شماله ، وهذه كان يقال لها في الجاهلية « مروارة غطفان » وفي الإسلام همج بني عبد الله بن غطفان .

والقطعة الثانية : واقعة في عالية نجد الجنوبية ، معظمها للمقطعة جماعة ابن حميد . يقال لها في هذا العهد « همج المقطة » والواقع منها في جهتها الجنوبية : حفاير خالد ، والهمجة ، والأروسة . ومحضب ، والكبدى ، والبديعة ، والهيتمية ، ومامون ، ودسمان ، ولقطان ، وتقيطين ، والأيسرى ، والبقرة ، وعتاب ، والعوجا ، والحفيرة ، وللمينة ، وس ساعة ، والطفية ، والزرجة ، والزمرمية ، وأحسن تلك المياه الهيتمية والبقرة .

والقطعة الثالثة يقال لها « همج الدبول » وسيولها تصبُّ في الركا ، يحدّها من الشرق جبل العارض الواقع في طرف اليمامة الجنوبي ، وأعلاها قريب جبل الحصاة ، وهي في القطعة الجنوبية الشرقية من نجد ، وهي : بقران ، ولجع ، والوهوى ، وعمق ، والسيح ، والخبراء ، وحنيطلة ، والهوة ، والحياينة وقنا ، وقنى ، وجفن ضب ، وماوان ، والمنجور ، وحميان ، والجويفاء ، وهذه غير جويفاء الطريق هذه الأمواه الثلاثة من نجد ماؤها مر ، ولكنها من أصلح الأرض للإبل ، والقطعة الأولى لبني عبد الله بن غطفان ، والثانية لبني عامر بن صعصعة ، وقد يكون بعض البطون من عتبية التي تسكنها الآن من بقايا بني عامر بن صعصعة ، والقطعة الثالثة — وهي الجنوبية — تشترك فيها قحطان والدواس .

وإذ ذكرنا الأملاح من المياه فإننا نحب أن نكمل البحث بذكر معادن ملح الطعام وغيره ،

وسنبتدىء من شمالى المملكة فنقول : قريات الملح المشهورة ، والسعدان وهو فى بلاد غطفان ، فى مفيض سيل وادى الحائى مما يلى حافة ، على طرف الحرة فى أرض سبخة ، وبحيرة بين الليث وجدة ، وملح جيزان الواقع فى القطعة الجنوبية من المملكة العربية السعودية ، وملح مران وهو واقع فى صبخا مران ، وملح فى طريق رنية ، فى طريق القاصد لها من نجد . بين العرق وجبل الصاقب ، وملح الخبراء الواقعة فى القطعة الجنوبية من نجد ، وملح الأفلاج فى فيضة شعيب الهدار ، وملح القصب فى شرق بلدان الوشم ، وملح العوشزية الواقعة شرق عنيزة ، وملح الشقة فى غربى القصيم من قرى الجواء ، وملح الخاصرة قريب جبل العلم الواقع جنوبى جبل شهلان على مسافة يوم ونصف ، وبعض تلك المواضع يُحتمل ملحها على الأبل بجبال من غير شىء يسكه ، كأنه قطع من الحجازة وهو ملح الشقة وملح العوشزية الذى فى جهة القصيم ، وملح الخاصرة ، والمناخ الذى يكون قريب الصاقب فى القطعة الجنوبية من نجد .

وفى عالية نجد معادن ملح البارود : ملح القهر ، وهو فى الجنوب بين اليمن ونجد ، وملح الشبكة فى شرف نجد بين بلد عروى وبلد الشعري ، وهو من أحسن تلك المعادن ، وملح واسط فى بلد اندوادمي ، وملح خفا قريب ماء القاعية يمر به القاصد إلى مكة من الرياض ، إذا ترك القاعية وراء ظهره فالتفت يمينا رأى هضبة هناك حمراء ، وملح شبيرمة بين بلد نفى وكيشان ، وملح الركاء بين دخنة وسواج ، وهو غير وادى الركاء المشهور فى جنوبى نجد ، وملح الجريف قريب بلد الرس وملح العقابة فى حمرة عرض ابنى شمام ، وملح وضاح ، ومنح القرى قرى الحرة .

هذا الذى حضرنى اسمه من جميع الأملاح الواقعة فى نجد ، وهذه الأسماء هى أسمائها فى هذا العهد ، ولما ورد ذكر الأملاح فى قصيدتى زهير والنابعة لم أحب إهمالها^(١)

* * *

٨ — وقال النابعة

ظَلَّتْ أَقَاطِينُ أَنْعَامٍ مُؤَبَّلَةٌ لَدَى صَلِيبٍ عَلَى الزُّورَاءِ مَنْصُوبِ
فَإِذْ وَقِيتَ بِحَمْدِ اللَّهِ شِرَّتْهَا فَانْجَى فَرَارَ إِلَى الْأَطْوَادِ قَالُوبِ
وَلَا تُلَاقِ كَمَا لَاقَتْ بَنُو أَسَدٍ فَقَدْ أَصَابَتْهُمْ مِنْهُ بِشُؤُوبِ

(١) قال المصنف : لما ذكرت الأملاح الواقعة فى بلاد العرب خطر لى أن أذكر المياه العذبة التى كأنها من ماء الزن ، ثم خشيت الإطالة ، غير أنى أذكر أن معظم مياه بلاد العرب عذبة : فجعل الخيامة من طرفه الجنوبى إلى طرفه الشمالى أغلب مياهه عذبة ، وجميع جبال نجد أغلب المياه الواقعة فيها عذبة ، والذى دعانا إلى ذكر الأملاح مرورها فى شعر النابعة ، وهى من شروط كتابنا هذا .

الزوراء: في بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم ، وكذلك في غير بلاد العرب ، فأما زوراء التي عنها النابغة فهي دار بناها النعمان بن النذر بالحيرة ، كان يترز فيها في بعض الأوقات ، ل النابغة أيضا :

وَأَنْتَ رَبِيعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَيْبُهُ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَةُ قَاطِعُ
وَتُنْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ زوراء في أكنافها المسك كارع

وقول النابغة * لدى صليب على الزوراء منصوب * قال في معجم^(١) البلدان رواية عن الأصمعي : زوراء هي رصافة هشام بن عبد الملك ، وكانت فيما سبق للنعمان ، وفيها كان يكون ، وإليها كانت تنهى غنائمه ، وكان عليها صليب لأنه كان نصرانيا ، وكان يسكنها بنو حنيفة ، وكانت أدنى بلاد الشام للشيوخ والقيصوم .

الأطواد واللوب . تطلق على الجبال والحِوَار ، يقال للجبل « طَوْدٌ » وللحرة « لَابَةٌ » وليسوا نوضعين معينين .

* * *

٩ — وقال النابغة :

فَإِنْ تَكُنْ الْفَوَارِسُ يَوْمَ حِسِيِّ أَصَابُوا مِنْ لُقَيْكَ مَا أَصَابُوا
فَمَا إِنْ كَانَ مِنْ نَسَبٍ بَعِيدٍ وَلَكِنْ أَذَرَ كُوكَ وَهُمْ غَضَابُ
وَلَمْ تَرَ مِثْلَ جَمْعِ بَنِي عَدِيٍّ غَدَاةَ الْحِسِيِّ إِذْ حَمَى الصَّرَابُ

الحِسيّ : أ كثر شجرا غطفان من ذكره ، وقد مضى الكلام عليه في أشعار زهير ، وهو موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، يقال له اليوم « حسي علياء » وكانت به وقعة عظيمة في الجاهلية كانت ابني بغيض على بني عامر بن صمصة ، قتل فيها حنظلة بن الطفيل أخو عامر بن الطفيل ، وفي هذه الوقعة يقول النابغة يخاطب عامر بن الطفيل :

فَإِنْ بَكَ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنْ مَظَنَّةَ الْجَهْلِ السَّبَابُ^(٢)
فَكُنْ كَأَنْبِيكَ أَوْ كَأَبِي بَرَاءٍ تَوَافَقَكَ الْحُكُومَةُ وَالصَّوَابُ
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنَاهَى إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ شَابَ الْغَرَابُ
وَلَا تَذْهَبْ بِقَوْلِكَ طَامِيَاتٍ مِنْ الْخُلَيْلَاءِ لَيْسَ لَهْنَ بَابُ

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٤١٣

(٢) ويروى * فإن مطية الجهل الشاب *

(٣ - صحيح الأخبار ٢)

١٠ - وقال النابغة :

أَرْسَمَا جَدِيدًا مِنْ سُمَاعَدَ تَجَنَّبُ عَفَتْ رَوْضَةُ الْأَجْدَادِ مِنْهَا فَيَتَقَبَّبُ
عَفَا آيَهُ رِيحُ الْجَنُوبِ مَعَ الصَّبَا وَأَسْحَمُ ذَانِ مُزْنُهُ مُتَصَوِّبُ
إلى أن قال :

رَعَى الرُّوْضَ حَتَّى نَثَّتِ الْعُدْرُ وَالْتَوَتْ بِدِخْلَانِهَا قِيَمَانُ شَرْجٍ وَأَيْهَبُ^(١)

روضة الأجداد : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تبعد عن بلد قصبة مسافة يوم ونصف مما يلي جنوبيها الغربي ، قال مرداس بن حشيش التغلبي^(٢) :

إِن الدَّيَارَ بِرَوْضَةِ الْأَجْدَادِ عَفَّتْ سَوَارِ رَسْمَهَا وَغَوَادِ

من كل سارية وغادٍ مُدْجِنٍ حَقِيقِ الْبَوَارِقِ مُوْتِقِ الرُّوَادِ

وكانت روضة الأجداد المذكورة تتربّع فيها بطون من بني عبس و بطون من بني أسد . وهي واقعة بين القبيلتين : بين غطفان وبني أسد . وهي الفاصل بينهما . قال صاحب معجم البلدان^(٣) :

قال المهيم بن عدى : خرج عروة الصعاليك العبسي وأصحابه إلى خير يمتارون منها ، فعشروا ، وهم يرون أنهم إذا خافوا وباء مدينة وأرادوا دخولها وقفوا على بابها وعشروا كما تعشر الحمر ، والتعشير : نُهَاقَ الحمر ؛ فيرون أنه يصرف عنهم وباءها . قال : فعشروا خوفاً من وباء خير ، وأبى عروة أن يعشر ، وهذا التعشير ذكرته لهم يهود خير تهكماً بالعرب ؛ فقال عروة :

وَقَالُوا أَجْبُ وَأَنْهَقُ لَا تَضْرِكُ خَيْرَ وَذَلِكَ مِنْ دِينِ الْيَهُودِ وَلُوعُ

لَعْمَرَى لئن عَشَّرْتُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى نُهَاقَ الْحَمِيرِ إِنَّنِي لَجَزُوعُ

فَلَا وَأَلَّتْ تِلْكَ النُّفُوسُ وَلَا أَتَتْ عَلَى رَوْضَةِ الْأَجْدَادِ وَهِيَ جَمِيعُ

فَكَيْفَ وَقَدْ ذَكَّيْتُ وَاشْتَدَّ جَانِي سُلَيْمِي وَعَنْدِي سَامِعٌ وَمُطِيعُ

لِسَانٌ وَسَيْفٌ صَارِمٌ وَخَفِيفَةٌ وَرَأَى لَأْرَاءَ الرِّجَالِ صَرُوعُ

تُخَوِّفُنِي رَيْبَ النُّونِ وَقَدْ مَضَى لَنَا سَلَفٌ قَيْسٌ مَعًا وَرَيْعُ

يشير إلى قيس بن زهير رئيس عبس ، والريبع بن زياد العبسي . قال : فدخلوا وامتاروا ورجعوا

فلما بلغوا إلى روضة الأجداد ماتوا إلا عروة .

يتقَّب : أ كَثُرَتِ الشَّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ بِهَذَا الْأَسْمِ فِي هَذَا الْعَهْدِ . يتقَّب

(١) في الديوان « والتوت بدجلاتها » (٢ ، ٣) معجم البلدان ٤ / ٣٠٩ .

أما شرح^(١) فكل واحد يصب منه الماء يقال له شرح . والشرج : مجارى المياه من الحرار
إلى السهل ، واحدها شرح . فأما شرح الذى عناه النابغة فهو موضع بعينه شرق بلاد غطفان
قريب الأجر ، داخل فى بلاد بنى أسد ، يسمى شرحا فى هذا العهد أيضا ، وبهذا الموضع ماء
عذب ، قال الراجز :

أَنْهَلْتُ مِنْ شَرْجٍ فَمِنْ يَعْلىٰ يَا شَرْجُ لَأَفَاءَ عَلَيْكَ الظِّلُّ
* فِي قَعْرِ شَرْجٍ حَجَرٌ يَصِلُ *

وقالت امرأة من كلب :

سقى الله المنازل بين شرح وبين نواظر ديمًا رَهَامًا
وأوساط الشقيق شقيق عبس سقى رَبِّي أَجَارَعَهَا الْقَمَامًا
فلو كُنَّا نَطَاعُ إِذَا أَمَرْنَا أَطَاعَنَا فِي دِيَارِهِمُ الْمَقَامَا

ونواظر التى قرنتها بشرج : أ كسبة مرتككة لاتزال إلى هذا العهد تعرف بهذا الاسم ، وهى
واقعة بين النباذ وزرود يقال لها نواظر . وأما شقيق عبس التى قرنتها بهما فإنها موجودة إلى هذا
العهد ويقال لها اليوم « الشقق » وهى فى بلاد غطفان من قرى الجواء ، مفردها شقة ، وقال حين
ابن مطير الأسدى :

عَرَفْتُ مَنَازِلًا بِشِعَابِ شَرْجٍ غِيْنْتُ الْمَنَازِلَ وَالشُّعَابَا
مَنَازِلَ هَيَّجَتْ لِلْقَلْبِ شَوْقًا وَلِلْعَيْنَيْنِ دَمْعًا وَاسْتِنَابَا

وأهيب : أ كثر ذكره الشعراء من بنى أسد ومن غطفان ، ولا أشك أنه واقع فى بلادهم ،
وأنا لا أعرفه .

* * *

١١ — وقال النابغة :

فَرَّاحٌ يُرِيدُ الْعَيْنَ عَيْنَ مُتَالِجٍ يَوْمُ بَنَاتِ الْأَخْدَرِيِّ وَيَقْطُبُ
إِذَا هَبَّ طَا سَهْلًا أَنْارَ عَجَاجَةٍ كَأَنَّ بِهِ مِنْهَا مَلَأَ يُنْصَبُ

متالع : جبل قريب حى ضرية ، وفى جهة الأحساء جبل كان يقال له فى الجاهلية « بتالع »
وثمة جبل فى بلاد غطفان يقال له « متالع » ولا أعلم جبلا بهذا الاسم فى هذا العهد . وإليك روايات
صاحب المعجم عنه^(٢) . قال الأصمى : متالع جبل بنجد ، وفيه عين يقال لها الخراوة ، وهو الذى

يقول فيه صدقة بن نافع العميلي ، وكان بالجزيرة :

أرقتُ بحران الجزيرة مَوْهِنًا لَبِزْتُ بَدَاً لِي نَاصِبٌ مُتَعَلِّ
بَدَاً مِثْلُ تَلْمَاعِ الْفَتَاةِ بِكُفِّهَا وَمِنْ دُونِهِ نَأْيٌ وَعَبْرٌ قَلَالُ
فَبْتُ كَأَنَّ الْعَيْنَ تُكْحَلُ فَلَفَلَا وَبِي عَسْ مُحَى بَيْنَ وَمِلَالُ^(١)
فَهَلْ يَرْجَعُنْ عَيْشٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَأُظْلَالُ سَدْرِ تَالَعٍ وَسَيَالُ
وَهَلْ تَرْجَعُنْ أَيَّامُنَا بِمُتَالَعٍ وَشَرِبَ بِأَوْشَالٍ لَهْنٌ ظَلَالُ
وَبِيضٌ كَأَمْثَالِ الْمَهَى يَسْتِينُنَا بِقِلٍّ وَمَا مَعَ قِيلَيْنِ فَعَالُ

ومتالع : جبل بناحية البحرين بين السوداء والأحساء ، وفي سفح هذا الجبل عين يسبح ماؤها يقال لها « عين متالع » ولذلك قال ذو الرمة :

نَحَاها لِثَاجٍ نَحْوُهُ ثُمَّ إِنَّهُ تَوَخَّى بِهَا الْعَيْنَيْنِ عَيْنِي مُتَالَعٍ

قال الحفصی : وهو جبل وعنده ماء ، وهو لبني مالك بن سعد ، وقيل : متالع جبل لغني . وقال الزخشمي : متالع لبني عميلة ، قال صدقة بن نافع العميلي :

وَهَلْ تَرْجَعُنْ أَيَّامُنَا بِمُتَالَعٍ وَشَرِبَ بِأَوْشَالٍ لَهْنٌ ظَلَالُ
وَقَالَ السَّكُونِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : متالع : ماء شرقي الظهران عند الفوارة ، وقال كثير :
بَكَى سَائِبٌ لَمَّا رَأَى رَمْلًا عَالِجًا أُنَى دُونِهِ وَالْمُضْبَبَ هَضْبُ مُتَالَعٍ
بَكَى إِنَّهُ سَهْوُ الدَّمْعِ كَمَا بَكَى عَشِيَّةَ جَاوِزَنَا نَجَادَ الْبِدَائِعِ

* * *

١٢ — وقال النابغة :

فَمَا جَادَلْتُمَا بِقِيَادِ خَيْلٍ يَصُونُ الْوَرْدُ مِنْهَا وَالْكَمَيْتُ
إِلَى ذُبْيَانَ حَتَّى صَبَّحَتْهُمْ وَدُونَهُمُ الرَّبَائِعُ وَالْخَبَيْتُ

الربائع : هضبات^(٢) حُمُر في بلاد بني أسد ، منقطعة عن جبل الغيار كأنها منه . ويقال لها اليوم « الروابع » وهي لاتبعد عن جبل التين . وجبل التين يقال له اليوم « تين » تراه إذا كنت قريباً الجبل المسمى « حبش » وماء الخوة لاتبعد عن جميع تلك المواضع . وقد أكثر الشعراء من ذكر تلك المواضع . وفي ذكر الربائع المذكورة يقول الراجز :

(١) الآيات الأربعة الأخيرة مرفوعة القوافي على الإقواء في البيتین الأولین .

(٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٢١ .

وبين حَوَيْنَ زقاقٍ واسعٍ زقاقٌ بين التين والرابع
وقالت امرأة من بني أسد وقد أوردنا هذه الأبيات شاهدا على غمار، ولكننا أعدناها هنا لأنها
ذكرت فيها الرابع :

لعمرك للغمَزان غمرا مقلد فذو نجب غلَّانُهُ ودوافعه
وخَوٍّ إذا خو سفته ذهابُهُ وأصرعَ منه تينُهُ وربائعه
أحبُّ إلينا من فراريج قريةٍ تَزَاقَى ومن حى تنقُ ضفادعه

والخوة وسمراء منهلان ، وحبشى والرابع وغمار وتين جبال ، وتلك المواضع في بلاد بني أسد .
أما الخبيث فهو تصغير الخَبْتِ ، وأصل الخبت المنخفض من الأرض ، وقال أهل اللغة : إنه
يطلق على كل منخفض سواء أكان رملا أم حزنا . والخبوت كثيرة ، ولا أعرف موضعا يقال له
« الخبت » في هذا العهد . وبين مكة والمدينة موضع يقال له « خبت الجليش » وبين مكة والمدينة
موضع آخر يقال له « خبت البزوا » وخبت : من قرى زبيد باليمن ، وظنى أن الخبت الذى ذكره
الناطقة مصغرا قريب الرابع الواقعة في بلاد بني أسد ؛ لأنه عطف الخبت عليها

* * *

١٣ — وقال النابغة :

كَأَنَّ الطَّعْنَ حِينَ طَفَوْنَ ظَهْرًا سَفِينُ الْبَحْرِ يَمَعْنُ الْقَرَاخَا
قَفَا فَتَبَيَّنَا أَعْرَيْنَتَانِ تَوَخَى الْحَيُّ أَمْ أَمْوَا لُبَاخَا
كَأَنَّ عَلَى الْحُدُوجِ نِعَاجَ رَمَلٍ زَهَاها الذُّعْرُ أَوْ سَمِعَتْ صِيَاخَا
أما عريقتان فقد مضى الكلام عليها .

عريقتان

ولباح : لم أسمع لها ذكرا ، ولا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد . قال صاحب المعجم ^(١) :
هو موضع في قول النابغة ، يريد هذا البيت ، ولم يزد على ذلك . وفي غامد بلد يقال لها « الباحة »
تتبع مقاطعة بلد الطفير بين أعلى وادى تربة ووادى ييشة . ولا أعرف غير تلك القرية باسم
يقارب هذا الاسم .

* * *

١٤ — وقال النابغة ، وهو مطلع قصيدة له يمدح فيها النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي ،
وقد أغار على بنى ذبيان وأخذ وسبى ، وكان في السبائا عقرب بنة النابغة ، فأسأها من أبوها ؟

فقلت : النابغة الذبياني ، فقال : قد وهبتك لأهلك ، ووهبت هؤلاء السبايا لك . فزود السبايا وكساهنَّ ورجعهن إلى بني ذبيان ؛ فمدحه النابغة بعد ذلك ، وليس من شرط كتابنا هذا إلا ذكر المواضع :

أَهَاجَكَ مِنْ سُمْدَاكَ مَعْنَى الْمَعَاهِدِ رَوْضَةَ نَعْمَى فَذَاتِ الْأَسَاوِدِ
تَعَاوَرُهَا الْأَزْوَاحُ يَنْسِفْنَ تَرْبَهَا وَكُلُّ مُلْتٍ ذِي أَهَاضِيبٍ رَاعِدِ
بِهَا كُلُّ ذِبَالٍ وَخَدْنَاءَ تَرْعَوِي إِلَى كُلِّ رَجَافٍ مِنَ الرَّمْلِ فَارِدِ

روضة نعمى : قد مضى الكلام على وادي النعم في قصائد امرئ القيس . وقد مضى ذكر « الأنعم » بالتصغير ، وهذه الروضة لا تكون إلا من رياضه ، وهو واقع في عالية نجد .

ذات الأسود فأمّا ذات الأسود فإن ثمة موضعين بهذا الاسم قريب تلك الروضة ، وهى « جبال الأسود » الواقعة بين جبل شبلان وكثيب رحمة . ومنهم من يقول « رحمت » وفى جبال الأسود مائة يقال لها « ملية » وهى من الآبار القديمة ، ورحمت المذكورة غير رمح الواقعة فى الشمال الشرق لبلد أشيقر ، وهى التى يقول فيها ناهض بن ثومه ^(١) وقد ثناها على عادتهم فى ذلك :

فما العهد من أسماء إلا محلة كما خطَّ فى ظهر الأديم الرواقشُ
برحمن أو بالْمُنْحَنَى دَبَّ فَوْقَهَا سَفَا الرِّيحِ أَوْ جَزَعِ مِنَ السَّيْلِ خَادَشُ

المنحنى : هو وادى أشيقر ، ورحمان معروفان بقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد ، وينتهى سيل المنحنى إلى روضة رحمن ، أما الموضع الثانى فهو « جبال السودة » التى تتمد من قريب ذقانين ، وتندفع إلى جهة الشرق الجنوبى ، وتقف عند جبل صاحة التى مر ذكرها فى أشعار امرئ القيس ؛ والنعم والأسودة كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد .

* * *

١٥ — وقال النابغة :

يَا عَامٍ لَا أَعْرِفُكَ تُفَكِّرُ سِنَّةَ بَعْدَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا بِالْمَرْصَدِ
لَوْ عَايَدْتُكَ كَمَا تَنَا بَطْوَالَةَ وَالْخَزَوْرِيَّةِ أَوْ بِلَابَةِ ضَرْغَدِ
لَثَوَيْتَ فى قَدِّ هُنَالِكَ مُوْتَقَاً فى الْقَوْمِ أَوْ لَثَوَيْتَ غَيْرَ مُوسَدِ

بطوّالة : فى عالية نجد ، وهى جبل يقال له اليوم « الأطولة » واقع بين سجا وحماه وبين الجنوبى طوّالة من أجلة النير ، قال الخطيئة ^(٢) :

(٢) انظر معجم البلدان ٦ / ٦٥

(١) معجم ياقوت ٤ / ٢٨٥

وفي كل مُنسى ليلةً ومُعَرَّس خيالٌ يوافي الركب من أم معبد
كحَيَّاك وُدٌّ ، ما هداك لفتيةٍ وخصوصٍ بأعلى ذى طوالة هُجْدٍ ؟

وقال الشماخ :

كلا يَوْمَنِي طوالةً وَضُلُّ أروى ظَنُون ، أَنَّ مُطَرَّحُ الظنُونِ

وفي طوالة يوم من أيام العرب .

الحزورية : مائة تُعد من أملاح غَطَفَان ، ولكن اسمها قد تغير الآن فصار في هذا العهد الحزورية « حزرة » إذا سلكت الشعبة مُغَرِّباً أثبت على ثرب ، ثم فج ، ثم نجيج ، ثم حزرة ، ثم النعبرية وعندها جبيلات صِغار يقال لها « الحزورية » .

أما لابة ضرغد فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا ، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا لابة ضرغد العهد « ضرغد » موضع به زروع ونخيل وسكان ، وعنده لابة عظيمة ، إذا دخلها الجاني لم يُقدَّر عليه واقع في بلاد بنى أسد ، وهو الفاصل بينها وبين بلاد طى .

* * *

١٦ — وقال النابغة :

نُبِثْتُ زُرْعَةً وَالْفَافَاهُ كَأَسْمِهَا يَهْدِي إِلَى غَرَائِبِ الْأَشْعَارِ
فَحَلَفْتُ يَا زُرْعَ بْنَ عَمْرٍو إِنِّي رَجُلٌ يَشُقُّ عَلَى الْعُدُوِّ ضِرَارِي
أَرَأَيْتَ يَوْمَ عُسَاظَ حِينَ لَقِيَنِي تَحْتَ الْعَجَاجِ فَمَا شَقَقْتُ غُبَارِي
إِنَّا أَقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فُجَارِ

عساظ : قد أكثر أهل المعاجم وأهل اللغة من ذكره وتحديدده ، واختلفوا ، وأحسن كلام عكاظ ذكره الذين تعرضوا لتحديدده كلامُ عالمٍ يقال له الرداعى ، يمانى ، ذكر ذلك فى قصيدة له ذكر فيها المواضع التى يمر بها السالك من صنعاء حتى يدخل مكة . وذكر الهمداني القصيدة فى كتابه صفة جزيرة العرب ، ومن قول الرداعى فى أرجوزته :

حتى إذا استسهلن من كلالح وأوقح ذى الخفض والسياح
وأسهلن فى البطن من عسكاظ وسيرها فى زاجر كطَاط
وخلفت قرآن ذا المناقب وشرباً فى جنح كليل واقب

قرآن الذى ذكره : ثنايا السيل الصغير وما حولها ، ولا يزال يقال لها « قرآن » إلى هذا العهد ، وهناك وادٍ يقال له « قرآن » إلى هذا العهد أيضاً يقع شمال مطار الحوية وسيله يصب فى العقيق .

وهذا من أقوى الدلائل على أن عكاظا في وادي شرب في مفيضه ، وما يدل على ذلك أيضا قول الكميت بن زيد الأسدي :

وفي الحنيفة فاسأل عن منازلم بالمسجدين وملقى الرجل من شرب
المسجدين : حرم المدينة وحرم مكة ، وملقى الرجل من شرب : سوق عكاظ الذي تلقى فيه
العرب رحالها ، أما موضع عكاظ^(١) اليوم فحدوده الشمالية قريب المطار الواقع قريب وادي الحوية ،
 وحدوده الجنوبية العبلاء ، وعند العبلاء كان اليوم الثاني من أيام الفجر ، وقال خدش بن زهير^(٢) :
ألم يبلغكم أنا جدغنا لدى العبلاء خندف في القياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد
وقال خدش^(٣) أيضا :

ألم يبلغك بالعبلاء أنا ضربنا خندفا حتى استقادوا
نبئ بالمنازل عز قيس وودوا لو تسيخ بنا البلاد
وعكاظ : واقع أسفل وادي شرب ، وقد غلط من قال : إنه السيل الصغير أو داخل الريعان ،
والصحيح أن موضعه هو الذي ذكرناه ؛ لأنه موضع يتسع لاجتماع الناس ، وبه آثار ومياه عذبة ،
والأرجوزة التي أشرنا إليها في تحديده قيلت منذ ثمان مائة سنة تقريبا .

* * *

١٧ — وقال النابغة في هذه الرائية :

وَبَنُو جَذِيمَةَ حَيٌّ صِدْقِ سَادَةٍ غَلَبُوا عَلَى خَبْتٍ إِلَى تِمَشَارِ
خبت وتمشار : ما آن لكلب ، وقد مضى الكلام على خبت مصفرا في الكلام على
بيت النابغة الذي يقول فيه :

إلى ذُبْيَانٍ حَتَّى صَبَّحْتَهُمْ وَدُونَهُمُ الرَّبَاعِ وَالْخَلِيتِ

* * *

١٨ — وقال النابغة في هذه الرائية أيضا :

حَوْلِي بَنُو دُودَانَ لَا يَعْصُونِي وَبَنُو بَغِيضٍ كُلُّهُمْ أَنْصَارِي

(١) عكاظ بعد اكتشافنا الأخير يبعد عن المطار عشرة كيلومترات من جهته الشرقية وسنذكر
اكتشافنا له برمته في آخر هذا الكتاب . (٢) انظر معجم ما استعجم ٩٩١ ومعجم البلدان ١١٣/٦

(٣) انظر معجم البلدان ١١٤/٦

زَيْدُ بْنُ بَدْرٍ حَاضِرٌ بِعُرَاعِرٍ وَعَلَى كَنْيَبٍ مَالِكُ بْنُ حِمَارٍ
وَعَلَى الرُّمَيْثَةِ مِنْ سُكَيْنٍ حُضْرٌ وَعَلَى الدُّثَيْنَةِ مِنْ بَنِي سَيَّارٍ

عُرَاعِر : ماء في الهضب ، لا تزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليها في رائية اسرى القيس .

كَنْيَب : لم أجد في بلاد العرب موضعا بهذا الاسم^(١) ، وهناك موضعان : أحدهما كنيبة ، بالثاء وآخره هاء ، والآخر : كنيب بالثاء المثناة ، فأما كنيبة : فخص من حصون خيبر ، ذكر في المغازي^(٢) ، قال : لما قُسمت خيبر كان القسَم على نِطَاة والشق والكنيبة ، فكانت نِطَاة والشق في سهم المسلمين ، وكانت الكنيبة خمسَ الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فداء بالصلح ، ووقع في كتاب الأموال لأبي عبيد « كنيبة » بالثاء المثناة ، والموضع الثاني الذي بالثاء ذكره صاحب معجم البلدان^(٣) فقال : الكنيب - بلفظ الكنيب من الرمل - قريتان في البحرين ، يقال : الكنيب الأكبر ، والكنيب الأصغر ، والذي عناه الشاعر هو الموضع الواقع في خيبر .

أما الرميثة فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا ، وأوضحنا أن هذا الاسم يطلق على وادي الرميثي الذي يصب من شمال جبل النير ويختلط سيله بسيل وادي غثاة ، وهو باقي بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الدثينة : يذكرها العرب كثيرا في أشعارهم ، غير أن منهم من يذكرها بالفاء ، ومنهم من يذكرها بالثاء ، فأما الدثينة المشهورة فهو المنهل المشهور المعروف بين المويه وعفيف والذي يجاوره جبل النخال ، وقد سألت في هذا العام رجلا من بني سليم ، فقلت له : هل عندكم ماء يقال لها الدثينة ؟ قال : نعم هي باقية في بلادنا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي الحد الفاصل في بلادنا بين الحجاز ونجد ، فصح أن هناك موضعين ؛ فمن ذكره بالفاء ، فإنما قصد المنهل الواقع على الطريق بين المويه وعفيف ، ومن ذكره بالثاء ، فإنما يقصد المكان الواقع في بلاد بني سليم .

* * *

(١) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٧ / ٢٨٧) أن كنيبا - بضم الكاف وفتح النون - موضع في ديار فزارة لبني شمع منهم ، واستشهد له بيت النابغة هذا (٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٢١٧ .

(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٢١٩ وعبارته « الكنيب : قرية لبني محارب بن عمرو بن ودبة من عبد القيس ، بالبحرين »

١٩ — وقال النابغة في آخر هذه الرائية :

إِنَّ الرُّمَيْثَةَ مَانِعَ أَرْمَاحُنَا مَا كَانَ مِنْ سَحَمٍ بِهَا وَصْفَارِ
السَّحَمِ وَالصَّفَارِ نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ ، وَأَمَّا الرَّمِيثَةُ فَهِيَ كَمَا ذَكَرْنَا .

قال مصنف هذا الكتاب : لقيني في بلادنا ذات غسل من الوشم قومٌ من المقطة من جماعة ابن حميد ، ومعهم امرأة يقال لها رُمَيْثَةٌ ، فسألت أهلها : ما السبب لتسميتكم هذه المرأة رميثة ؟ قالوا : ولدت في وادي الرميثي ، ونحن قاطنون على مائه ، فسميناها باسم ذلك الموضع الذي ولدت فيه ، وقد مضى الكلام على تحديده .

* * *

٢٠ — وقال النابغة :

يَوْمًا حَلِيمَةً كَانَا مِنْ قَدِيمِهِمْ وَعَيْنٌ بَاغٍ فَكَانَ الْأَمْرُ مَا أَتَمَّرَا
يَا قَوْمِ إِنْ أَبْنَاهُنْدِغَيْرُ تَارِكِكُمْ فَلَا تَسْكُونُوا لِأَدْنَى وَقْعَةٍ جَزَرَا

يوم حليلة : يومٌ عظيم من أيام العرب ، وحليمة : هي بنت الحارث الغساني ، واليوم المذكور بين الغسانيين ملوك الشام ، والحميين ملوك الحيرة ، قتل في ذلك اليوم المنذر بن المنذر بن امرئ القيس الأخمي .

عين أباغ : قال أبو الحسين التميمي النسابة : كانت منازل إياد بن نزار بعين أباغ : رجل من العالقة ، قال أبو نؤاس ^(١) :

فَمَا نَجَدْتُ بِالْمَاءِ حَتَّى رَأَيْتَهَا مَعَ الشَّمْسِ فِي عَيْنِ أَبَاغٍ تَغُورُ
وعين أباغ ليست بعين ماء ، وإنما هي اسم لوادٍ وراء الأنبار ، على طريق الفرات إلى الشام يقال له « عين أباغ » معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٢١ — وقال النابغة في مطلع قصيدة :

بِحَالَةٍ أَوْ مَاءِ الذَّنَابَةِ أَوْ سِوَى مِظْنَةِ كَلْبٍ أَوْ مِيَاهِ الْمَوَاطِرِ
إلى أن قال :

تَظَلُّ الْإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَرِيحَهَا كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدُ مِيَاهَ قَرَارِ

أَتَطْمَعُ فِي وَادِي الْقَرْيِ وَجَنَابِهِ وَقَدْ مَنَعُوا مِنْهُ جَمِيعَ الْمَعَاشِيرِ
قال مصنف هذا الكتاب : أحب أن أزيل الشك عن قارىء هذه الأبيات ، فأذكر له أن خالة والذئابة
خالة التي ذكرها النابغة والذئابة ليست بخال الدفينة ولا ذئابتها المجاورة لها ، بل تلك المواضع واقعة في
مفاوز بلاد كلب ، وهي معروفة بهذه الأسماء إلى اليوم ، ودليل ذلك أنه قرن خالة والذئابة بسوى
وقرقر ، وجميع هذه المواضع متصل بعضها ببعض في بلاد كلب ، قال في الفتوحات : لما عزم خالد
ابن الوليد على التوجه من العراق إلى جهة الشام ، وذلك في سنة اثنتي عشرة في أيام أبي بكر
الاصديق - رضى الله عنه ! - قيل له : إنها مفاوز لا يجيزها إلا دليل خريث ، فسأل عن الدليل ،
فذكر له رافع الطائي ، فجىء به إليه ، وسأله فقال : أتعرف هذه المفاوز ؟ قال : قطعها مع أبي وأنا
غلام من ثلاثين سنة ، فقال : هل تعرفها ؟ فقال : نعم ، هذه العبارة قصتها طويلة ، فلما مشى
بسانمين وجعته عيناه ، وهو في عرض المسافة ، وكان يسأل غلاما له عن العلامات ، وكلما ذكر له
علامة قال : اجعلها عن يمينك ، أو اجعلها عن شمالك ، حتى ورد الماء ، فقال الشاعر يمدحه :

لله در رافع قد اهتدى فوز من قرقر إلى سوى

خسا إذا ما سارها الجبس^(١) بكى ما سارها من قبله إسرى

وسوى مقصورة ، ومدها عيد الله بن قيس الرقيات لضرورة الشعر ، فقال :

وسواء وقريتن وعين السمر خرقا يكلن فيه البعير

وذئابة ، وخالة . وسوى . وقرقر . كلها في بلاد كلب ، وقرقر قريب ذى قار .

وادى القرى : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو وادٍ عظيم كثير المياه والنبيل ، له وادى القري
ذكر في المغازي ، وفي كتاب الفتوحات أنه بين تبوك والمدينة ، مر عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك .

٢٢ — وقال النابغة :

كأَنَّما الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ ذِي جُدَدٍ ذَبَّ الرِّيَادِ إِلَى الْأَشْبَاحِ نَظَّارِ

مُطَرِّدٍ أَفْرَدَتْ عَنْهُ حَلَالِلُهُ مِنْ وَخْشٍ وَجَرَّةٍ أَوْ مِنْ وَخْشِ ذِي قَارِ

وجرة : قد مضى الكلام عليها في أشعار زهير ، وقد مضى الكلام على « ذى قار » في

(١) « الجبس » - بالكسر - الجامد الثقيل الروح . والفاسق ، والجبان ، والقيم . ووقع في

معجم البلدان ٧ / ٤٤ « الجبس » محرفا عما ذكرته . وقد أوردها على الصواب في ٥ / ١٥٧

ذكر الوقعة المشهورة بين العرب والنجم .

* * *

٢٣ — وقال النابغة :

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُمُومَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكِنًا وَظَاهِرًا
أَحَادِيثَ نَفْسٍ تَشْتَكِي مَا يَرِيهَا وَوَرَدَ هُمُومٌ لَنْ يَجِدَنَّ مَصَادِرًا

الجومين

الجومين : أعلم موضعاً يُنمَّسك الماء في جهة الحجر ، بين لينة وحدود العراق ، يقال لهذا الموضع « الجماء » تصغير الجَمَاء ، وظنى أن هذا الموضع هو الذى عناه الشاعر ، والجُمُوم : عين جارية عليها زروع وغروس ، وهى في مر الظهران الذى يقال له اليوم « وادى فاطمة » وأعرف قريب المدينة هضبة يقال لها « الجما » ، والجَمَّ والجُموم باقيان باسميهما إلى هذا العهد . وأم الجاهج : منهل معروف في جبل مجزَل يُعَدُّ من مياه البطين التى يقال لها البطينيات ؛ وهذه المياه هى : أم الجاهج المذكورة ، والدجاني ، والقاعية ، والأرطاوية ، وأم جريف ، وجراب ، جميع هذه المناهل يقال لها البطينيات ، فأما منهل الأرطاوية فقد عمر في هذا الوقت الأخير ، سكنته مطير ورئيسهم الدويش قال في معجم البلدان ^(١) : ذُو جَاهِجٍ من مياه العمق على مسيرة يوم منه ، وقال صاحب معجم البلدان في كلامه على جماء المدينة : ^(٢) : وفي كتاب أبى الحسن المهلبى : الجماء اسم هضبة سوداء قال : وهما جماوان ، يعنى هضبتين عن يمين الطريق للسالك من المدينة إلى مكة ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

وكان بأكناف العقيق ويديه يحطُّ من الجماء ركنًا ملما
وفي كتاب أحمد بن محمد الهمداني : الجموات ثلاث بالمدينة ، فمنها « جماء تُضَارِع » التى تسيل إلى قصر أم عامر وبن عروة وما إلى ذلك ، وفيها يقول أحيحة بن الجلاح :

إِنِّي وَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ وَمَا حَجَّتُ قَرِيشَ لَهُ وَمَا نَحَرُوا
لَا آخِذُ الْخَطَّةَ الدِّيَّةَ مَا دَامَ يُرَى مِنْ تَضَارِعِ حَجَرٍ

ومنه مكن الجماء ، وفيه يقول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

عفا مكن الجماء من أم عامر فسَلَعُ عفا منها فَحَرَّةٌ واقم

ثم الجماء الثانية « جماء أم خالد » التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاها ، وفي أصلها بيوت لأشعث بن قيس من أهل المدينة ، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى ، وفيفاء

الخيار : من جاء أم خالد ، والجماء الثالثة « جاء العاقر » بينها وبين جاء أم خالد فسحة ، وهى تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها ، وإحدى هذه الجملات أراد أبو قطيفة بقوله :

الْقَصْرُ فَالْفَخْلُ فَالْجَمَاءُ بينهما أَشْبَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَبْرُونَ
إلى البلاط فما حازت قرائنه دور نرحن عن الفحشاء والهون
قد يكتم الناس أسراراً وأعلمها وليس يدرون طول الدهر مكنونى

* * *

٢٤ — قال النابغة :

فَأَلَيْتُ لَا آتِيكَ إِنْ كُنْتُ مُجْرِمًا وَلَا أَتْنِي جَارًا سِوَاكَ مُجَاوِرًا
فَأَهْلِي فِدَاءٌ لِمَرَى إِنْ أَتَيْتُهُ تَقَبَّلَ مَعْرُوفِي وَسَدَّ لِمَفَافِرَا
سَأَلْتُكُمْ كُلِّي أَنْ يَرِيكَ نَبِيحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَرْعَى مُسْحِلَانَ وَحَامِرَا

مُسْحِلَانَ : قد تغير اسمه ، وصار الآن يقال له « السَّحْل » وهى أودية معروفة بين قرى جبل وقرى القصيم ^(١) ، معروفة عند عامة أهل نجد بهذا الاسم ، وقد أكثر الشعراء من ذكر مسحلان وقرنوه بحامر ، وحامر فى بلاد العرب ، وأنا أعرف فى عالية نجد خمسة جبال كلها يقال لها حامر « والذى قرنوه بمسحلان منها واقع فى شرق بلاد غطفان ، قال النابغة فى غير هذه الرائية ^(٢) ليت قيساً كلها قد قطعت مُسْحِلَانًا مُخْصِدًا قَتِيلًا

وحصيد ، وتَبَلُّ : فى عالية نجد الشمالية ، وحصيد غير حصيد الذى يقع بين الكوفة والشام من الذى بين الكوفة والشام مصغر بضم الحاء وسكون الياء ، وقد أوقع القعقاع بن عمرو فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة بالأعاجم ومن تجمع إليها من تغلب وريعة وقعة منكراً وقُتِل من الأعاجم فى معركة (روز مهر) و (دو ذبة) مُقَدِّمَاهُمْ ، وكانت هذه الواقعة فى ذلك الوادى ، فقال القعقاع بن عمرو فى ذلك اليوم ^(٣) :

أَلَا أَبْلَغَا أَسْمَاءَ أَنْ خَلِيلَهَا قَضَى وَطَرًا مِنْ رُوزِ مَهْرِ الْأَعَاجِمِ
غَدَاةً صَبَحْنَا فِي حَصِيدِ جَمُوعِهِمْ بَهِنْدِيَّةٍ تَقْرَى فِرَاحَ الْجَلَاخِمِ

وهذا الوادى المذكور فى جهة العراق ، وهو - كما قلنا - فى غير الموضع الذى ذكره النابغة ، وخصيدات - بالضم والتصغير - جبل فى شعر عدى بين الرقاع ^(٤) :

(١) صح عندى أنها بين بلد الكهفة وبين ياطب وفيد ، وفيها جبل يقال له « الحويظ » .

(٢) انظر معجم البلدان ٨ / ٥١ وليس فى ديوان النابغة المطبوع (٤٠٣) معجم البلدان ٣ / ٢٨٨

فلما تجاوزن الحصيدات كلها وخلفن منها كل رغن وتحرم
تخطين بطن السر حتى جعلته يلى الغرب سيل المتوى التيمم
وحصيد وتبل اللذان ذكرهما النابغة وقرنهما بمسحلان فى نجد ، قال لبيد بن ربيعة العامري
وقد ذكر تَبَلًا (١) :

ولقد يعلم صبي كلهم بعدان السيف صبرى ونقل
ولقد أغدو وما يعدمى صاحب غير طويل المحتبل
كل يوم منموا جاملهم ومرنات كآرام تبيل
قدموا إذ قال قيس قدموا واحفظوا المجد بأطراف الأسل

ذكر لبيد الآرام وأضافها إلى تبيل ، وأظن أنه قصد بذلك آرام تبالة فقال تبيل لضرورة الشعر
والخطيئة العبسي شاعر مخضرم من شعراء غطفان قرن مسحلان إلى حامر فقال :

عفا من سلمي مسحلان فحامرة تمشى بها ظلمانه وجاذره

ومسحلان وحامر اللذان ذكرهما النابغة فى موضع السحل اليوم الواقع بين قرى القصيم وقرى
الجيل ، وحامر : جبل معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد فى شرق بلاد غطفان ، والموضعان قريبان
بعضهما من بعض ، وقد أكثر القوم من الكلام على مسحلان وحامر ، ومما قالوه أنهما واديان
بين العراق والشام ، وقال آخرون : هما واديان فى بلاد كلب ، ولكن من تأمل قول النابغة
« وإن كنت أرى مسحلان وحامرا » تبين له أنه إنما أراد البعد عن النعمان ، والموضع الذى ذكرها
الشراح لا تبعد عن النعمان ذلك البعد الذى يوصىء إليه قول النابغة ، فدل ذلك على أنه إنما يريد
مواضع فى بلاد قومه ، والسحل وحامر باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٢٥ — وقال النابغة :

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر
وقلت : يا قوم إن اللئث منقبض
وعن ترثيمهم فى كل أصفار
على برائيد لمدوة الضارى

إلى أن قال :

أضطرك الحزب من لئلى إلى بردي
تختاره مغفلا عن جس أعيلر

إلى أن قال :

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ٣٦٤ . وانظر ديوان لبيد ١٤ ليد ١٨٩٢

قَدْ كَانَ وَافِدَ أَقْوَامٍ وَجَاءَ بِهِمْ وَأَنْتَاشَ عَانِيَهُ مِنْ أَهْلِ ذِي قَارِ
أَقْر : قدمضى الكلام عليه فى قصائد امرى، القيس ، وهو موضع قريب الشربة ، وقد
أوردنا هناك الشواهد عليه .

ليلى : يشير فى هذا البيت إلى « حرة ليلى » وهى واقعة فى بلاد غطفان ، يسلكها حاج البصرة
إلى المدينة ^(١) ، قيل : إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعث إلى الرماح بن أبرد المرى الذى يعرف
بابن ميادة حين استخلف ، فمدحه ، فأمره بالمقام عنده فأقام ، ثم اشتاق إلى وطنه ، فقال هذا
الشعر ، وهو مما يدل على أنها فى بلاد بنى مرة :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أُبَيِّنَ لَيْلَةً بَحْرَةَ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّنَى أَهْلَى
بِلَادَ بِهَا نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَامَى وَقَطَعْنَ عَنى حِينَ أَدْرَكْنَى عَقْلَى
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ تُطَالَعُ مِنْ هَجَلٍ خَصِيبٍ إِلَى هَجَلٍ
تَحْنُ فَابْسِكِي كُلَّمَا دَرَّ شَارِقٌ وَذَاكَ عَلَى الْمُشْتَقِّ قَبْلَ مِنَ الْقَبْلِ
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَاسِبَى فَأَفْشِ عَلَيَّ الرِّزْقَ وَاجْمَعِ إِذَا شَمِلَى
فقال الوليد : اشتاق الشيخ إلى وطنه ، فكتب له إلى مصدق كلب أن يعطيه مائة ناقة دهماً .
جعداء ، فأتى المصدق ، فطلب إليه أن يعفيه من وصف الجموعة ويأخذها دهماً ، فكتب الرماح
إلى الوليد :

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنْ الْحَيَّ كَلْبًا أَرَادُوا فِى عَطِيَّتِكَ ارْتِدَادَا
فكتب الوليد إلى المصدق أن يعطيه مائة ناقة دهماً . جعداء ، ومائة صبياء ، فأخذ المثنى
وذهب بها إلى أهله ، فجمعت تضىء هذه من جانب ، وتظلم هذه من جانب ، حتى أوردتها حوض
البردان ، فجعل يرتجل ويقول :

ظَلْتُ بِحَوْضِ الْبَرْدَانِ تَغْتَسِلُ تَشْرَبُ مِنْهَا نَهْلَاتٍ وَتَمَلُ
وقال بشر بن أبى خازم :

عَفَّتْ مِنْ سُلَيْمَى رَامَةً فَكُتِبَهَا وَشَطَّتْ بِهَا عَنْكَ النُّوَى وَشَعُوبَهَا
وَعَيَّرَهَا مَا غَيْرَ النَّاسِ بَعْدَهَا فَبَاتَتْ وَحَاجَاتُ النُّفُوسِ نَصِيبَهَا
مَعَالِيَةً لَاهِمٌ إِلَّا مُحَجَّرٌ وَحَرَّةٌ لَيْلَى السَّهْلِ مِنْهَا قُلُوبُهَا
ولا أعرف موضعاً باسم « حرة ليلى » فى هذا العهد .

أما برَد الذى ذكره النابغة فقد أكثر شعراء غطفان من ذكره ، وظنى أنه كان فى موضع
برد

بريدة اليوم ، لأن بريدة بلد حديث ، وقد مضى الكلام عليها وعلى بَعْثُها في أشعار زهير على ذكر القصيم ، وفيه يقول الفضل بن العباس اللّهي (١) :

عُوجَا على ربع سُعدَى كى نساثلُه عُوجَا فما بكما غيٌّ ولا بَعْدُ
إني إذا حَلَّ أَهْلِي من ديارهم بَطْنُ العقيق وأُمت دارها بَرْدُ
تجمعنا رِيَّةً ، لا الخَلَّ واصله سُعدَى ، ولا دارنا من دارهم صَدَدُ

وقال المغترف المالكي :

سأئلوا عن خيلنا ما فَعَلَتْ بيني القَيْنِ على جنبى بَرْدُ

وقد ورد هذا الاسم على اختلاف ضبطه : بَرْد ، و بُرْد ، و بَرْد ، و بَرْدَان ، و بَرْدَى ، و بُرْدُ ، و يومُ البردين من أيام العرب ، وهو يوم الغبيط المشهور ، ظفرت فيه بنو ربِوع بنى شَيْبان ، وفيه يقول مالك بن نُويَرة البربُوعى :

فأقررت عَيْنِي يومَ ظَلَّوْا كَأَنَّهُمْ بيطن الغبيط خُشْبُ أَثَلٍ مُسَدِّدُ
صَرِيْعٌ عليه الطيرُ تنقرُ عَيْنَه وآخر مكبولٌ بمالٍ مقيدُ
لَدُنْ غَدْوَةٍ حتى أتى الليلُ دونهم ولا تنتهى عن مَلْئِها منهم يَدُ
وأصبح منهم بعد فل لقاءنا بِفَيْفَاءَ البردين فَلَ مُطَرَّدُ

وقال القتال الكلابي :

سمعت ، وأصحابى بذى النخل ، نازلاً وقد يَشَعْفُ النفسَ الشعاع حَبِيْبُهَا
دُعَاءُ بذى البردين من أم طارقٍ فيا عَمْرُو هل تبدو لنا فَتَجِيْهَا

قال في معجم البلدان (٢) : البرْدَان مواضع كثيرة ، فالبرْدَانُ : اسمُ نَهرٍ بالشام ، واستدل بيت أبي القاسم الزمخشري :

ألا إن في قلبى جَوَى لايبلُه قويقٌ ولا العاصي ولا البرْدَانُ

وهذه أنهار بالشام ، وقال : البردان بأعلى نخلة الشامية ، ثم قال عن نصر : البردان جبل مشرف على وادى نخلة قريب مكة ، وقال عن الأصمعي : البردان ماء بنجد لبني عقيل ، وقال أبو زياد : البردان فى أقصى بلاد عقيل ، وقال أيضا : البردان ماء لبني نصر بن معاوية فى الحجاز وقال أيضا : البردان ماء بالسماوة دون الجَناب ، والبردان أيضا : ماء للضباب قرب دارة جُلجل ، وقال أيضا عن الأصمعي : البردان فى جبال الحِمْي ، وقال أيضا : البردان من قرى بغداد ، وقال

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ١١٦ . (٢) انظر معجم البلدان ٢ / ١١٣ وما بعدها

أيضا : البردان موضع أسكن فيه نخت نصر اليهود حين سبهم ، وقال أيضا : البردان بالكوفة ، وقال أيضا : البردان نهر بنغر طرطوس ، بجيئه من بلاد الروم ، ويصب في البحر ، والبردان أيضا : نهر يسقى بساتين مرعش ، والبردان أيضا : سنجح البردان موضع في اليمامة فيه نخل عن ابن أبي حفصة والبردان : غديران بنجد بينهما حاجز ، فهذه رواية المعجم ، وأسقطنا منها أكثر الشواهد .

والذي أعرفه بهذا الاسم موضع يقال له « البردان » بين ثرمدا ورغبة ، في شرق الكتيب الواقع بينهما ، فيه قصر ومزارع ، وأعرف موضعا يقال له « البرود » من قرى السر ، فيه مزارع وقصور ، ومائة يقال لها « الباردة » في عالية نجد الجنوبية ، وبلد « بريدة » التي مر ذكرها ، وجبل « برد » في غربي الطائف ، ومنها « البرود » بثر كثيرة الماء ، تقع في وادي المغس ، يربها السالك من مكة إلى نجد ، والذي عناه الشاعر موضع بريدة اليوم .

جش أعيار : قال صاحب معجم البلدان^(١) : هو من المياه الأملاح في بلاد فزارة ، مجاور جش أعيار عدنة ، وعدنة قد صار اسمها اليوم « بدنة » وأعرف جيبيلات صفار يقال لها « أعيار » والجيبيلات فيها ماء ملحة ، وربما كانت هي « جش أعيار » .
فأما ذوقار ، فقد تقدم الكلام عليه في مواضع كثيرة .

* * *

٢٦ — وقال النابغة :

فَلَمْ يَكْ نُولِكُمْ أَنْ يَقْدَعُونِي وَدُونِي عَازِبٌ وَبِلَادُ حَجَرٍ

عازب : جبل في اليمامة ، وعازب وعارمة متجاوران ، فأما عارمة فهي طرف العرمة الجنوبي ، وعازب واقع غربها في جبل اليمامة ، وهو الذي يصب منه وادي نساح ووادي الأوسط ووادي الح وجميعها قد مضى الكلام عليها عند ذكر اليمامة .

وحجر : هو حجر اليمامة الموجود اليوم في الرياض ، ولا يزال بهذا الاسم .
وعازب قد انقطع اسمه .

* * *

٢٧ — وقال النابغة :

لَقَدْ قُلْتُ لِلنُّعْمَانِ حِينَ لَقَيْتُهُ يُرِيدُ بَنِي حُنٍّ بِرُقَّةٍ صَادِرٍ
تَجَنَّبَ بَنِي حُنٍّ فَإِنْ لِقَاءَهُمْ كَرِيهٌ وَإِنْ لَمْ تَلْقَ إِلَّا بَصَابِرَ

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ١٠٦ .

مَنْ مَنَعُوا وَادِي الْقَرْيَ عَنْ عَدُوِّهِمْ يَجْمَعُ مُبِيدٍ لِلْعَدُوِّ الْمَكَايِرِ
مِنْ الْكَارِعَاتِ الْمَاءَ بِالْقَاعِ تَسْقِي بِأَهْجَازِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْجَنَاجِرِ
بُرَاخِيَّةٌ أَلَوْتُ بِلَيْفٍ كَأَنَّهُ عَفَاءٌ قِلَاصٍ طَارَ عَنْهَا تَوَاجِرِ
هُمْ طَرَدُوا عَنْهَا بَلِيًّا فَأَصْبَحَتْ بِلَى بَوَادٍ مِنْ تِهْلَمَةٍ غَائِرِ
وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحَجْرِ عَنُوتَ أَبَا جَابِرٍ وَاسْتَنْكَحُوا أُمَّ جَابِرِ

برقة صادر

برقة صادر : أكثر أهل المعاجم من ذكرها وذكر صادر ؛ فمنهم من قال : إنها في الشام ، ومنهم من قال : إنها في اليمن ، والذي أعرفه بهذا الاسم لم يتغير جبل على طريق المدينة يمر به السالك من الحناكية إلى المدينة ، ولا يزال يقال له « صادر » ، وعنده ماء يقال لها « الصويدة » يرد بها السالك لذلك الطريق ، وهي التي عناها النابغة ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أما « وادي القرى » قد مضى الكلام عليه .

بزاحة

بزاحة : اختلف أهل المعاجم في تحديدها ؛ فمنهم من قال : إنها في بلاد طى ، ومنهم من قال : إنها في بلاد بنى أسد ، والصحيح أنها في بلاد بنى أسد ، ولا تبعد عن سميراء ، وقد نسي اسمها اليوم ، ولكن هناك واديا بين جبال سميراء وجبل رمان يقال له « بزاخ » ولا شك أن بزاحة فيه أو قريبة منه ، وإليك رواية صاحب معجم البلدان عنها ^(١) بتامها ، قال الأصمعي : بزاحة ماء لطى بأرض نجد ، وقال أبو عمرو الشيباني : ماء لبنى أسد كانت به وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع طليحة بن خويلد الأسدي ، وكان قد تنبأ بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، واجتمع إليه أسد وغطفان ، فموى أمره ، فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد ، فقدم خالد أمامه عكاشة ابن محصن الأسدي حليف الأنصار ، فلقيه بزاحة ماء لبنى أسد ، فقتل عكاشة ، وكان عينة ابن حصن مع طليحة في سبعمائة من بنى فزارة ، وجاء خالد على الأثر ، فلما رأى عينة أن سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين قال لطليحة : أما ترى ما يصنع جيش أبي الفضل ؟ يعني خالد ابن الوليد ، فهل جاءك ذو النون بشيء ؟ قال : نعم قد جاءني وقال لي : إن لك يوما ستلقاه ، ليس لك أوله ، ولكن لك آخره ، ورَحَى كَرَاحَهُ ، وحديثاً لا تنساه ، فقال : أرى والله أن لك حديثاً لا تنساه ، يا بني فزارة هذا كذاب ، وولّى عن عسكره ، فانهزم الناس ، وظهر المسلمون ، وأسر عينة بن حصن ، وقدم به المدينة ، فخفّن أبو بكر دمه ، وخلّى سبيله ، وهرب طليحة فدخل جُبَا لَهُ فَاغْتَسَلَ وَخَرَجَ ، وركب فرسه وأهلاً بعمره ومضى إلى مكة وأتى مسلماً ، وقيل : بل أتى

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ١٦٠

الشام فأخذه غزاة المسلمين وبعثوا به إلى المدينة فأسلم وأبلى بعده في فتوح العراق ، وقيل : بل هو قدم على عمر بعد وفاة أبي بكر مساماً ، وقبله ، وقال له عمر : أقتلت الرجل الصالح عكاشة بن محصن ؟ فقال : إن عكاشة سَعِدَ بى وشَقِيتُ به أنا ، وأنا أَسْتَغْفِرُ الله ، فقال له عمر : أنت الكاذب على الله حين زعمت أنه أنزل عليك إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقُبِحَ أدياركم شيئاً فاذكروا الله قياماً فإن الرزوة فوق الصريح ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ذلك من فتن الكفر الذى هدمه الإسلام كله ، فلا تعنيف على بيعضه ، فأسكت عمر ، وقال التعقاع بن عمرو يذكر يوم بُزَاخَة :

وأفلتَهِنَّ الْمِسْحَلَانُ وقد رأى بعينه نَقْعاً ساطعاً قد تَكُونَتْ
ويوماً على ماء البُزَاخَة خالدٌ أثار بها في هَبْوة الموت عَثِيراً
ومَثَلٌ في حافاتها كلَّ مُثَلَّة كفعَل كلابٍ هَارَشَتْ ثم كَثَمَتْ

وقال ربعة بن مرقوم الضبي :

وقَوْمِي فَإِنْ أَنْتَ كَذَبْتَنِي يَقُولِي فَاسْأَلْ بِقَوْمِي عَالِماً
بنو الحرب يوماً إذا استلأموا حَسَبَتَهُمْ فِي الْحَدِيدِ الْقُرُومَا
فَدَنَى بِبُزَاخَة أَهْلِي لَمْ إِذَا مَلَكُوا بِالْجَمْعِ اخْرَيْدَ

وقال جحدر بن معاوية المخرزى اللص :

يَادَارُ بَيْنَ بُزَاخَة فَكَيْبِهَا فُلُوْى غَيْرَ ، سَهْلَهَا أَوْ لُوبِهَا
سَقَتِ الصَّبَا أَطْلَالَ رَبْعِكَ مُعْدِفَا يَنْبَلُ عَارِضُهَا بِلِسِ جِيوبِهَا
أَيَّامٍ أَرعى العَيْنَ فِي زَهْرِ الصَّبَا وَثَارَ جَنَاتِ النِّسَاءِ وَطَيْبِهَا

هذا آخر عبارة معجم البلدان على ذكر بُزَاخَة ، وأنت ترى جَحْدَرَا اللص قرن بُزَاخَة بلوى غير ، ودارة غير لبني الأَضْبَط من بني كلاب ، في عالية نجد الشمالية ، ولا شك أن بُزَاخَة في بلاد بني أسد ، ولوى الغيبر الذى قُوت به قريب منه ، قال شبيب بن البرصاء :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْحَيَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ تَوَى بَيْنَ صَحْرَاءِ الْغَيْبِ لُجُجُ

ولا أعلم موضعاً يقال له « غير » إلا بئراً في بلد الفرعة المجاورة لأشقر من أعمال الوشم ، يقال لها « غيراء » جاهلية عظيمة الماء ، إذا سقط فيها الرجل لم يُرَجَّ خروجه ، بل تكون هي مقبرته من بُعْد قمرها ووسع أسفلها ، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وقد ذكر بُزَاخَة أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم وأنشد عليه قول البعيث المجاشعي ،

يمدح الوليد بن عبد الملك :

وخالِكُ رَدَّ القوم يوم بُرَاحَة وكر حفاظا والأسنة تردم
والبعيث أراد بخاله قيس بن زهير العبسي ، ولا أعلم في بُرَاحَة يوما من أيام العرب إلا يوم
خالد بن الوليد على طليحة وكان معه عيينة بن حصن الفزاري وأخوه خارجة بن حصن ، والصحيح
أن بُرَاحَة في بلاد بني أسد ، وظنى أن النابغة لم يعن بُرَاحَة الواقعة في بلاد بني أسد ؛ لأنه لما
ذكر وادي القرى ذكر نخلة ووصفها بقوله « براخية ألوت بليف كانه - إلخ » وبراحة المدوحة
بجودة النخل واقعة في نواحي هجر ، كانت مشهورة بهذا الاسم في الزمن القديم ، ولا أعلم اليوم
لها ذكرا ، ومنهم من قال : إن بُرَاحَة موضع بلد المبرز اليوم التابع للأحساء .

تهامة : معلومة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى : ما كان بين جبال الحجاز والبحر ، يطلق
هذا الاسم على تلك القطعة الواقعة بين عدن والعقبة مما يلي ساحل البحر ، والشواهد كثيرة . وليس
في ذكرها فائدة ؛ لأن شهرة اسمها تغنى عن ذكر الشاهد عليها .

تهامة

الحجر : هو الموضع المعروف الذى ذكره القرآن الكريم في شأن قوم صالح عليه السلام ،
وبه بئر الناقة ، وهو يعد من وادي القرى ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذى عناه
بحيل في قوله :

الحجر

أقول لداعى الحب والحجرُ بيننا ووادى القرى : كَيْتِكَ مَا دَعَانِيَا
فَمَا أَحْدَثَ النَّأْيُ الْمُفَرَّقُ بَيْنَا سُلُوا وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعِ تَقَالِيَا
وموضعه قريب العلا ، بينه وبين تبوك .

* * *

٢٨ — وقال النابغة :

وَدَعَّ أُمَامَةً وَالتَّوْدِيْعُ تَعْذِيرُ وَمَا وَدَّعْتُكَ مَنْ قَفَّتْ بِهِ الْعِيرُ
وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا نَظْرَةً عَرَضَتْ يَوْمَ الثَّمَارَةِ وَالتَّمَاوُورِ مَا مُمُورُ
إِنَّ الْقُفُولَ إِلَى حَيٍّ وَقَدْ بَعْدُوا أَمْسَوْا وَدُونَهُمْ شَهْلَانُ وَالنَّيْرُ

الثمرة ، هضبة سوداء منقطعة من حرّة بنى سليم ، معروفة إلى هذا العهد بهذا الاسم ، وهى
واقعة في بلاد بنى سليم ، وبها يوم من أيام العرب ، وقد سألت غير واحد من بنى سليم ، فذكروا
أنها باقية بهذا الاسم .

الثمرة

شهلان والنير : والشلان في عالية نجد ، باقيان على اسميهما لم يتغيرا ، وقد مضى الكلام عليهما
وأوضحنا ما يتعلق بهما .

شهلان والنير

٢٩ — وقال النابغة :

ظَلَلْنَا بِبَرْقَاءِ اللَّهِيمِ تَلْفُنَا قَبُولُ نَسْكَادُ مِنْ ظِلَالَتِهَا نَمْسِي
إِذَا مَا تَدَاعَتْ مِنْ كِنَانَةِ عُصْبَةٍ عَلَيْنَا سَرَاوِيلُ الْحَدِيدِ أُولُو بَأْسٍ
هُمْ قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِنْ سَرَاتِنَا وَهُمْ حَبَسُوا الْأَمْلَاقَ بِالْمَحْبَسِ الشَّاسِ

اللهم

اللهم : رأيت في معجم البلدان وأخبار المغازي أنها بطن من الأرض في أرض الجزيرة ، في غربي تكريت ، وهو ماء للنمر بن قاسط ، يلتهم الماء ويفرغ في السحاب ، فسمى اللهم لالتهامه ماء ، والذي أعرفه في بلاد العرب موضعان أحدهما يقارب اسمه هذا الاسم ، الأول جبل يقال له « ليم » وعنده أبارق يقال لها « برقاء ليم » وهو قريب مسكة المعروفة في الحى شمالى ضرية ، في جهة الشمال الشرق لمسكة على مسافة نصف يوم ، والموضع الثانى جبال صغار يقال لها « اللهب » بين سواج وجبل نخج وأبان ، وعندها أبارق يقال لها « برقاء اللهب » وعندها ماء يقال لها « بقیعاء اللهب » وهى قريب أمرة ، واللهب هو الذى يقول فيه الأفوه الأودى :

وجرد جمعها بيض خفاف على جنبى تضارع فاللهيب

* * *

٣٠ — وقال النابغة .

عَفَا ذَوْحَى مِنْ فَرَنْتَا فَالْفَوَارِعُ فَشَطَا أَرِيكَ فَالتَّلَاعُ الدَّوَاغِعُ
فَمُجْتَمِعُ الْأَشْرَاجِ عَنِّي رُسُومَهَا مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ
تَوَهَّمَتْ آيَاتِ لَهَا مَا عَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

ذو حى

الفوارع

ذو حى : قد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة ، وهو في بلاد غطفان .
والفوارع : قد تغير اسمها ؛ ففي بلاد غطفان هضبة يقال لها « الفرعة » ويمكن أن تكون من الفوارع ، قال في معجم البلدان ^(٢) : تلال رمال مشرفة ، وقال في غير المعجم : كل ما ارتفع من تل أو جبل يقال له فارع .

شطا أريك

شطا أريك : أما أريك فهو جبل في بلاد غطفان قريب النقرة ، معروف ، له ذكر في كتب المعاجم بهذا التحديد ، وأنا لا أعرفه اليوم ، إلا أنى أعرف جبلا في تلك الناحية يقال له « ريك » به ماء ، ويمكن أن يكون هو الذى ذكره النابغة ، قال رجل من بنى مرة يصف ناقه :

إذا أقبلت قلت مشحونة أطاع لها الريح قلعا جفولا

فمرت بذى خُشْب غُدوةً وجازت فويق أريك أصيلا
تخبط بالليل حزَّانهُ كحبط القوى العزيز الذليلا
ويدل على أن أريكا جبلٌ قولُ جابر بن حنى التغلبي :
تصعد في بَطحاء عرق كأنها ترقى إلى أعلى أريك بسم
وقال عمرو بن خويلد أخو بني عمرو بن كلاب :

فكنا بنى أم جميعاً بيوتنا ولم يك منا الواحدُ المنفردُ
نفيل إذا قيل اظعنوا قد أتيتُم أقاموا وقالوا : الصَّبرُ أبقي وأحد
كان أريكا والفوارع بيننا لِثَامِنَةٍ من أول الشهر مَوْعِدُ

هذه الشواهد المذكورة تدل على أن أريكا هو الجبل الواقع قريب النقرة والذي يقال له في هذا العهد « ريك » سقطت منه الهمزة ، وهناك موضع آخر في بلاد عنزة ، وهي أكتبة مرتفعة يقال لها « وريك » بالواو ، وقد قُتل في هذا الموضع ناس من عنزة ، وفي القتلى عقاب العواجي وأخوه حجاب ، قتلهم ناس من عبدة بطنٍ من شمر ، في معركة قريب وريك المذكور ، وأكثر شعراء النبط من ذكر تلك الواقعة ، قال التبنيناوي وهو من شعراء شمر في قصيدة له :

* غطار بار وريك مثل الهاليل *

وقال ولد العواجي المقتول في قصيدة له يطلب فيها الأخذ بثأر أبيه :

لوى على من فاد عليا ثنيه بدور أبويه عند روس الخواوير
عليا : اسم فرس له ، وهي قصيدة طويلة ، فأجابه التبنيناوي على هذه القصيدة بقصيدة نبطية فمنها قوله :

أبوك ضرب بحربة شوشلية كرهه حبيبي كره الدلو في البير
ومن هنا يتضح أن أريكا الذي ذكره النابغة هو « ريك » الواقع في بلاد غطفان والذي يسمى اليوم بهذا الاسم ، وشطاه : جانباه .

فأما « الأشراج » فهي مجارى الماء التي تهبط من الجبال ، وتصب في الحرار ، وتشق بطون الأرض ، وشرح الذى يعنيه هنا قد مضى الكلام عليه في أشعار النابغة أيضا .

الأشراج

* * *

٣١ — وقال النابغة :

وَقَدْ حَالَ هَمْ دُونَ ذَلِكَ وَالْجِ مَكَانَ الشَّافِ تَنْقِيهِ الْأَصَابِعُ

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوِرْتَنِي ضَمِيلَةً مِنْ الرُّقْسِ فِي أُنْيَاهَا الشُّمُّ نَاتِعٌ

را كس : قد مضى الكلام عليه غير مستقصى ، قال العباس بن مرداس السلمي :

لأسماء رَسَمَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسا وَأَوْحَشَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكَا
وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ عَوْفٍ أَخُو بَنِي عَامِرٍ بَنِي رَبِيعَةَ :

وَأَنَا ذَمَمْنَا الْأَعْلَمَ بْنَ خُوَيْلِدٍ وَحَلَمَ عَقَالَ إِذْ فَقَدْنَا أَبَا حَرْبٍ
إِذَا مَا حَلَلْتُمْ بِالْوَحِيدِ وَرَاكِسٍ فَذَلِكَ نَصْرُ طَائِشٍ عَنْ بَنِي وَهَبٍ

ثُمَّ رَاكِسٌ فَقَدْ أَعْيَانِي الْوُقُوفَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَبَعْدَ طَوِيلِ الْبَحْثِ وَالتَّدْقِيقِ وَقَفْتُ عَلَى حَقِيقَتِهِ كَنَسَقِ الصَّبْحِ ، كُنْتُ فِي بَلَدِ الشَّعْرَى عِنْدَ تَصْنِيفِ كِتَابِي هَذَا ، وَعِنْدِي رَجُلٌ عَلَامَةٌ خَيْرُ بَيْلَادٍ هِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غُفْطَانَ ، فَعَزَمَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : ابْحَثْ لِي عَنْ رَاكِسٍ وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَذْكُرُ فِي بَعْضِ الْأَشْعَارِ مَقْتَرَنَا بِرَحْرَحَانَ ، فَقَالَ : أَنَا أَعْرِفُ رَحْرَحَانَ ، فَقُلْتُ : وَتَجِدُهُ يُقَرَّنُ فِي بَعْضِ الْأَشْعَارِ بِالْوَحِيدِ ، قَالَ : أَنَا أَعْرِفُ الْوَحِيدَ ، وَهُوَ جُبَيْلٌ صَغِيرٌ لَيْسَ عِنْدَهُ جِبَالٌ ، فَسَمِيَ بِهِ لِدَلِّكَ ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى السَّيْرِ إِلَى غَرَضِهِ قَالَ : سَأَتِيكَ بِالْخَيْرِ الْيَقِينِ ، فَنَابَ شَهْرًا ثُمَّ عَادَ إِلَيْنَا فِي بَلَدِ الشَّعْرَى ، فَقَالَ لِي : وَجَدْتُ رَاكِسًا وَهُوَ وَاقِعٌ شَرْقِي مَاءَةِ « بُلْغَةِ » الْمَاءِ الْمَعْرُوفِ بَيْنَ النَّقَرَةِ وَرَبْعٍ ، قَالَ فِي وَصْفِهِ : إِنَّهُ سَنَافٌ أَسْوَدٌ ، وَعِنْدَهُ أَبْرَقٌ يُسَمَّى « أَبْرَقُ رَاكِسٍ » فَتَطْلُبُ هَذَا « أَبْرَقُ » عَلَى هَذَا الْأَسْمِ فَلَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ إِلَّا بِلَفْظِ « أَبْرَقُ رَاكِسٍ » وَهُوَ قَرِيبُ الْجَبَلِ الشَّاهِقِ رَبِيعٍ ، وَهُوَ صَغِيرُ الْمَنْظَرِ يُقَالُ لَهُ « عَاجٍ »^(١) وَرَاكِسٌ وَعَاجٌ مُتَجَاوِرَانِ ، أَحَدُهُمَا قَرِيبٌ مِنَ الْآخَرِ .

الضواجع

الضواجع : قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ^(٢) : هِيَ هَضَابٌ ، ثُمَّ قَالَ : هِيَ مَوْضِعٌ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ

مِيبَانِي * وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ *

وَأَنَا لَا أَعْرِفُهَا بِهَذَا الْأَسْمِ فِي هَذَا الْعَهْدِ ، وَسَأَلْتُ الْخَبِيرِينَ بَيْلَادَ غُفْطَانَ عَنْ الضَّوَاجِعِ فَلَمْ يَجِدْهَا عِنْدَهُمْ ذَكَرًا .

٣٢ — وَقَالَ النَّابِغَةُ فِي قَسَمِهِ ، وَهُوَ يَعْتَزُّدُ إِلَى النَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَهَلْ يَأْمَنُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ
بِمُصْطَحَبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ يَزُرْنَ إِلَّا لَا سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ

(١) انظر لمعرفة عَاجٍ معجم البلدان ٨/٢٦ (٢) انظر معجم البلدان ٧/٤٤٢

سَمَامٌ تُبَارَى الرِّيحُ خُوصاً عُيُونُهَا لَهْنٌ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ
عَلَمِينَ شَعَتْ قَامِدُونَ لِحَجِّهِمْ فَهِنَّ كَأَطْرَافِ الْحِنَى خَوَاصِعُ
سَمَلَتْ عَلَى ذَنْبِهِ وَتَرَكْنَهُ كَذِي الْمُرِيكُوى غَيْرُهُ وَهُوَ رَانِعُ

لصاف

لصاف : منهل معروف في الصمان شرقي الدو ، وهو في طرف الشواجن من جهتها الجنوبية ، وهو من النحائت القديمة من أعلاه إلى أسفله ، منحوت في حجر ، وطوله خمسة وثلاثون باعا تقريباً ، على طريق السالك من نجد إلى الكويت ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال له « اللصافة » واستشهد صاحب المعجم عليه بيت النابغة المذكور ، ولكنه أكثر من الروايات عنه ؛ وبعضها صواب وبعضها خطأ : فما أخطأ فيه من رواياته قوله : لصاف ماء بقرب شرح وناظرة ، أما شرح وناظرة فهما قريب النباح الذي يقال له اليوم « الأسياح » يمر به حاج العراق فيمكن أن يقوتا قصد منهل على هذا الطريق يقال له « اللصف » لا يزال يعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فأما الذي أصاب فيه فقوله : قال أبو زيد : لصاف ماء بالدولبنى تميم ، هذا صحيح لصاف بالدو ، وهي من مياه بني تميم في الزمن القديم ، ولم يتغير هذا الاسم إلى اليوم ، إلا أن المتأخرين زادوا هاء فقالوا « لصافة » .

والدليل على أن لصاف منهل لبني تميم في الجاهلية قول المهوس الأسدي^(١) وهو يهجو بني تميم :

قَدْ كُنْتُ أُحْسِبُكُمْ أَسودَ خَفِيَةٍ فَإِذَا لَصَافٌ تَبَيَّضُ فِيهِ الْحَمْرُ
فَتَرْفَعُوا مَدَحَ الرِّثَالِ فَإِنَّمَا تَجْنَى الْهَجِيمِ عَلَيْكُمْ وَالْعَنْبَرُ
عَضْتُ تَمِيمَ جِلْدَ أَيْزٍ أَبِيكُمْ يَوْمَ الْوَقِيطِ وَعَاوَتْهَا حَضَجْرُ

والوقيط : يوم من أيام العرب ، ووقيط : منهل معروف إلى اليوم قريب أبان يقال له في هذا العهد « وقط » حذفوا منه الياء .

الوقيط

ثبرة : اسم ماء من مياه الشواجن ، وهو لبني تميم ، لبني منافع بن دارم ولبني مالك بن حنظلة يقال له في هذا العهد في ألسن عامة أهل نجد « وبرة » أبدلت ثاوؤه واوا ، وهو متاخم للصفافة في الجهة الشرقية منها ، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم تقريباً ، وهو في المنتصف بين اللصافة وقرية ، وبه يوم من أيام العرب ، وهو اليوم الذي فر فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب وأسلمه ابنه حَزْرَةُ بن عتيبة ، قتلته جعل بن مسعود بن بكر بن وائل ، وقتل وديعة بن عتيبة ، وأسر ربيع ابن عتيبة ، فنجى عتيبة بن الحارث ، وقتل ابنه حَزْرَةُ ووديعة ، وأسر ابنه ربيع ، فقال في ذلك اليوم في ابنه حزره :

ثبرة

(٢) معجم البلدان ٣ / ٦ .

(١) انظر معجم البلدان ٧ / ٣٢٩ .

نَجَّيْتُ نَفْسِي وَتَرَكْتُ حَزْرَةَ نَعَمْ الْفَتَى غَاذَرَتْهُ بَشِيرَةٌ
وَالْمُنْهَلَانِ مَعْرُوفَانِ يَهْدِيَنِ الْأَسْمِينَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ، أَمَا لِصَافٍ فَيُقَالُ لَهُ فِي هَذَا الْعَهْدِ «لِصَافَةٌ»
وَأَمَّا شَبْرَةٌ فَيُقَالُ لَهَا فِي هَذَا الْعَهْدِ « وَبَرَةٌ » .

إِلَال : هُوَ جَبَلٌ عَرَفَةٌ الَّتِي يُحِيطُ بِهِ الْحِجَابُ يَمْنَةً وَبَشِيرَةٌ يَوْمَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةٍ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ
الْيَوْمَ عِنْدَ عَامَةِ النَّاسِ يَجْبُلُ الصَّخَرَاتِ ، وَاسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَالٌ ، وَهَذَا النَّابِغَةُ قَدْ ذَكَرَهُ فِي شِعْرِهِ
فِي قَصِيدَتِهِ الْعَيْنِيَّةِ ، وَقَالَ النَّابِغَةُ أَيْضًا فِي لَامِيَّتِهِ الَّتِي مَدَحَ فِيهَا النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ :
فَأَرْسِلْ فِي بَنِي دُثَيْبَانَ فَاسْأَلْ وَلَا تَعْجَلْ إِلَى عَنِ السُّؤَالِ
فَلَا عَمْرٍ الَّذِي أَتْنِي عَلَيْهِ وَقَدْ رَفَعَ الْحَجِيجَ إِلَى إِلَالِ
لَمَّا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَاصْطَنَعْنِي وَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلُّ مَالِي؟
وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ يَذْكُرُ الْإِلَالَ ، فِي قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يُدَافِعُ فِيهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ وَمَنْ كُلِّ ذِي نَذَرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ إِلَالٌ إِلَى مُقْصَى الشَّرَاحِ الْقَوَائِلِ
وَتَوَقَّافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً يَقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرُّوَاهِلِ
وَقَالَ الرُّضَى الْمَوْسَوِي :

فَأَقْسِمُ بِالْوُقُوفِ عَلَى الْإِلَالِ وَمَنْ شَهِدَ الْجَمَارَ وَمِنْ رَمَاهَا
وَأَرَاكَانَ الْعَمِيقِ وَمَنْ بَنَاهَا وَزَمَزَمَ وَالْمَقَامَ وَمِنْ سَقَاهَا
لَأَنْتَ النَّفْسُ خَالِصَةٌ وَإِنْ لَمْ تَكُونِ بِهَا فَأَنْتَ إِذَا مَنَاهَا
وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِ هَذَا الْجَبَلِ بِاسْمِهِ الْجَاهِلِيِّ « إِلَالٌ » وَهَذَا الْاسْمُ قَدْ نَسِيَ الْآنَ ،
وَقَدْ صَارَ لَهُ اسْمٌ آخَرٌ ، وَهُوَ « جَبَلُ الصَّخَرَاتِ » وَإِذَا قِيلَ « مَشْعَرُ عَرَفَةٍ » فَهُمْ يَعْنُونَهُ ، وَهُوَ يَعْدُ
مِنَ الْمَشَاعِرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي الْإِسْلَامِ .

* * *

٣٣ — وَقَالَ النَّابِغَةُ :

فَمَا أَنَا فِي سَهْمٍ وَلَا نَصْرٍ مَالِكٍ وَمَوْلَاهُمُ عَبْدٌ بَنِي سَعْدٍ بِطَامِعٍ
إِذَا نَزَلُوا ذَا ضَرْغَدٍ فَعَتَانِدًا يُغْنِيهِمْ فِيهَا تَقَبُّقُ الضَّفَادِعِ
فَعُودًا لَدَى أُنْيَاتِهِمْ يُشْدُونَهَا رَمَى اللَّهُ فِي تِلْكَ الْأُتُوفِ الْكَوَانِعِ

ضرغد : قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وله لآبة عظيمة قد مضى الكلام عليها ، واسمه في هذا العهد « ضرغط » . أبدلت داله طاء .

عتائد : قال في معجم البلدان ^(١) : عتائد ماء بالحجاز لبني عوف بن نصر بن معاوية خاصة ، ليس لبني دهمان فيها شيء ، عن الأصمعي ، أما هذا الموضع فهو معروف قريب الطائف ، وقد تغير اسمه بعض التغير فصار يقال له « عتود » ، وهو في بلاد بني عوف بن نصر بن معاوية ، وقال أيضا في المعجم ^(٢) : قال العمراني في هضبات أسفل من أبر لبني مرة ، وهذا الموضع هو الذي عناه النابغة : لأنه قريب بلاد بني مرة ولأنه قرنه بضرغد ، وأنا أعرف واديا يقع بين ضرغد والحائط الذي كان يقال له في الجاهلية « فذك » يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد يقال له « عتاد » في موضع متسع ، وهو بين حرتين .

* * *

٣٤ — وقال النابغة ، وهو مطلع القصيدة التي مدح بها النعمان بن المنذر وقد أوردنا ذكر إلال منها :

أَمِنْ ظَلَامَةِ الدَّمَنِ الْبَوَالِي بِمُرْفَضٍ الْحَبِيِّ إِلَى وَعَالٍ
فَأَمْوَاهِ الدَّنَا فَعَوَّيْرَضَاتٍ دَوَارِسَ بَعْدَ أَخْيَاءِ حِلَالٍ
تَأْبَدَ لَا تَرَى إِلَّا صَوَارًا بِمَرْقُومٍ عَائِمِ الْعَهْدِ خَالِي
تَعَاوَرَهَا السَّوَارِي وَالْفَوَادِي وَمَا تُذَرِي الرِّيَّاحُ مِنَ الرَّمَالِ

الحبي : موضع في تهامة ، كان لبني أسد وكنانة ، وهو الذي قال فيه مُضَرِّسُ بْنُ رَبِيعٍ ^(٣) :

لعمرك إني بلوى خبي لأرجى عائنا حذرا أزوحا ^(٤)
أرى طيرا تمر بين سلمى وقبل النفس إلا أن تريحا

وخبي - بالضم وتشديد الباء مقصوراً - موضع في قول الراعي ، ومنهم من قال : إنه اسم امرأة ، ولكنه الموضع أقرب :

أَبَتْ آيَاتُ حَبِي أَنْ تُدِينَا لَنَا حَبْرًا فَأَبْكِينِ الْحَزِينَا

(١ و ٢) معجم البلدان ١١٦/٦ (٣) معجم البلدان ٣/٢١٥

(٤) وقع في معجم البلدان « أزوحا » بالراء المهملة - وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه بالزاي ، والأزوح : المتخلف المتباطيء المستأخر عن المسكارم ، قال الراجز :
جری ابن لیلی جریة السوح جریة لا کب ولا أزوح

ولا أعرف الآن موضعاً بهذا الاسم ، إلا منهلاً قريب نجران يقال له « حيتة » .
 أما « وُعَال » فقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وهناك جبل في عالية نجد الجنوبية
 يقال له « وعلة » ومنهم من يقول له « وعال » وهو جبل طرفه الشمالى منعقد في جبل كرش
 واقع قريب الصخرة ثمانية ملى مطلع سهيل ، وطرف وعال الجنوبى يتصل بحدود ماء « الكبدى »
 وهو منهل معروف في عالية نجد الجنوبية قد ذكرناه في ذكر الأملاح .

الدَّنا : قال في معجم^(١) البلدان : إنه موضع بالبادية ، وقيل : في ديار بنى تميم بين البصرة
 ونجامة ، واستدل بيت النابغة الذى أثرنه ، ثم انتقل إلى موضع ثان ، وقال : إنه قريب الكوفة
 واستدل بشطر بيت للمتنبى :

* وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثَمَّ الدَّنا^(٢) *

عويرضات : موضع ، قال عامر بن الطفيل :

وقد صبحن يوم عويرضات قبيل الصبح باليمن الحصيبا

وأنا لا أعرف موضعاً بهذا الاسم ، إلا موضعاً واحداً يقارب اسمه ذلك الاسم ، وأظنه الذى
 عه النابغة ، سِناف بين الثقرة والسواد ، منقطع من جبل النير في شريقه ، يقال له « متعرضات »
 طرفها الشمالى يتصل بوادى بحار ، وطرفها الجنوبى يتصل بوادى المصوب الذى كان يقال له في
 زمن القديم « المسلوقة » وغربها جبل النير ، وشرقها جبل الخوار ، وسيول تلك الناحية تصب
 في وادى طينان الذى يقطعه طريق السيارات بين القاعية وجبل ذريع ، وتصب تلك السيول
 في وادى خنوقة ، وخنوقة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، قال القحيف العقيلي :
 تحملن من بطن الخنوقة بعدما جرى للثريا بالأعاصير بارح
 وقد ذكرنا تفصيل تلك الأودية التى يصب سيلها في وادى الرشاء .

* * *

٣٥ — وقال النابغة من قصيدته التى رثى بها النعمان بن الحارث الغساني التى مطلعها :
 دَعَاكَ الْهُوَى وَاسْتَجْهَلْتَكَ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَاحِي الْمَرْءَ وَالشَّيْبُ شَامِلُ
 إلى أن قال في ذكر راحلته :

وَسَلَّيْتُ مَا عِنْدِي بِرَوْحَةٍ عِرْمَسِي تَحْبُّ بِرَحْلِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ

(١) معجم البلدان ٤ / ٨٩ (٢) صدره * ومسى الجمعى دأداؤها * وهو من قصيدة له يهجو
 فيها كافه را الأسود .

مُوثَقَةُ الْأَنْسَاءِ مَضْبُورَةُ الْفَرَى نَمُوبُ إِذَا كَلَّ الْعِتَاقُ الْمَرَايِلُ
كَأَنَّ شَدَّتُ الرَّحْلِ يَوْمَ شَدَّذَهُ عَلَى فَارِحٍ رِمًا تَضَمَّنَ عَاقِلُ

عاقل : قد مضى الكلام عليه ، يقال له اليوم « العاقل » يصب في وادى الرمة ، في جهته الجنوبية مما يلي الرس .

* * *

٣٦ — وقال النابغة في هذه المراثية :

فَأَبَ مُصْلُوهُ بِعَيْنٍ جَلِيلَةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ
سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُضْرَى وَجَاسِمٍ ثَوَى فِيهِ جُودٌ فَاضِلٌ وَنَوَافِلُ
وَلَا زَالَ يَسْقِي بَطْنَ شَرْجٍ وَجَاسِمٍ بِغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ قَطْرٌ وَوَابِلُ
الْجَوْلَانِ ، وَبُضْرَى : قد مضى الكلام عليهما .

جاسم : قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ ، على يمين الطريق إلى طبرية ، سميت باسم جاسم بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

فَقَعَا جَاسِمٍ فَأُودِيَةِ الصَّفَرِ مَغْنَى قَنَابِلٍ وَهَجَانِ

وقد نسب إليها عدى بن الرقاع العاملى الطائى الشاعر ، وقد قال :

لَوْلَا الْحَيَاةُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ عَسَى فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
وَكُنْهَآ بَيْنَ النَّسَاءِ أَغَارَهَا عَيْنُهُ أَخْوَرُ مِنْ جَادِرِ جَاسِمِ
وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرَنَقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَأَمِ

أما شرح فقد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة . وأما شرح الذى ذكره النابغة وقرّنه بجاسم فهو واد من أودية جاسم ، وكل واد يطلق عليه لفظ « شرج » .

* * *

٣٧ — وقال النابغة :

وَيَبْنَتْ حَوْدَانَا وَغَوْفًا مُنَوَّرًا سَأْتِبَعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلُ
بَكَى حَارِثُ الْجَوْلَانِ مِنْ فَقْدِ رَبِّهِ وَحَوْرَانُ مِنْهُ مُوَحِّشٌ مُتَضَائِلُ
سُجُودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ وَتُرْكُ وَرَهْطُ الْأَنْعَمِيِّينَ وَكَابِلُ

حارث الجولان ، وجولان ، وحوران : قد مضى الكلام عليهما في كتابنا هذا .

* * *

٣٨ — وقال النابغة ، وهو مطلع قصيدته التي ذكر فيها غزوة عمرو بن الحارث الأصغر

مضى لبنى مرة :

هَاجَلَكَ مِنْ أُنْتَمَاءِ رَسْمِ الْمَنَازِلِ بِرَوْضَةٍ تُعْمِي فَذَاتِ الْأَجَاجِلِ
رَبَّتْ بِهَا الْأَزْوَاحُ حَتَّى كَانَتْهَا تَهَادَيْنَ أَعْلَى تَرْبِهَا بِالْمَنَاجِلِ
وَكُلُّ مُلِثٍ مُكْفَهَرٍ سَحَابُهُ كَيْشِ الثَّوَالِي مُزْمِنٍ الْأَسَافِلِ

روضة نعى : قد مضى الكلام عليها ، ولا تكون إلا قريب وادى النعيم الذى ذكرناه روضة نعى

في شبة نجد .

ذات الأجاول : لم أجد لها ذكرا في بلاد العرب الآن ، ويمكن أنه قد تغير اسمها .

* * *

٣٩ — وقال النابغة :

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا وَصَاتِي ، وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ رَسَائِلِي
فَقُلْتُ لَهُمْ لَا أَعْرِفَنَّ عَقَائِلًا رَعَايِبَ مِنْ جَنْبِي أَرِيكَ وَعَاقِلِي

أريك ، وعافل : قد مضى الكلام عليهما .

أريك وعافل

* * *

٤٠ — وقال النابغة :

خِلَالَ الْمَطَايَا يَتَّصِلَانِ وَقَدْ أَتَتْ قَنَانُ أُبَيْرِ دُونَهَا وَالْكَوَاتِلِ
وَحَلُّوا لَهُ بَيْنَ الْجُبَابِ وَعَالِيجِ فِرَارَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاكِ الْمَزَايِلِ
وَلَا أَعْرِفَنِّي بَعْدَ مَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ أَجَادِلُ يَوْمًا بَيْنَ شَرَى وَحَائِلِ

قنان غير المضاف إلى أبير قد مضى الكلام عليه ، وأما القنان المضاف إلى أبير فلا أعلم مرسدا في بلاد العرب بهذا الاسم في هذا العيد ، إلا موضعا واحداً يقرب اسمه من هذا الاسم ، وهو من المدينة في جهة مطلع الشمس يقال له « البوير » ولا يزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الكواتل : قال في معجم البلدان ^(١) : الكواتل : جمع كوتل ، وهو مؤخر السفينة ، واسم موضع في أطراف الشام مر به خالد بن الوليد لما قصد الشام من العراق . واستدل ابن الكيتيت النابغة المذكور . ثم قال : الكواتل — بالناء — من نواحي أرض دُبَيَّان ، تلى أرض كلب .

وأنا أعرف موضعاً لا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الجباب : عطف عاجلاً عليها ، وقد مضى الكلام عليها .

الجباب

عالمج : قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وهو الأكتبة المرتكبة عن الأسياح شمالاً .

عالمج

شرى : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، في بلاد طى ، وهو من المياه المعروفة في تلك الناحية الشمالية في الجاهلية والإسلام ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قالت امرأة من طى (١) :

شرى

دَعَا دَعْوَةَ يَوْمِ الشَّرَى بِالْمَالِكِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْ عِنْدَ الْخَفِيزَةِ يَكَلِّمْ

فِيَا ضَيْعَةَ الْفَتَيَانِ إِذْ يَعْتَلُونَهُ بَيْطُنَ الشَّرَى مِثْلَ الْفَنِيْقِ الْمَسْدَلِ

أَمَا فِي بَنِي حِصْنٍ مِنْ ابْنِ كَرِيمَةٍ مِنَ الْقَوْمِ طَلَّابِ الثَّرَاتِ غُشْمِشَمِ

فَيَقْتُلُ خُرّاً بِأَمْرِي ، لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ ، وَلَكِنْ لَا تَكَايِلُ بِالْأَمْرِ

وشرى باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع في جهة « حائل » مما يلي مطلع الشمس على

مسافة يوم تقريباً .

حائل : قد مضى الكلام عليها ، وهي عاصمة قري الجبل ، ولا تزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ،

حائل

وأمرها اليوم عبد العزيز بن مساعد بن جنوى ابن عم جلالة الملك

* * *

٤١ — وقال النابغة :

تَحِينُ بِكَفِّهِ الْمَنَايَا وَتَأَرَّةَ تَسِجَّانٍ سَحَا مِنْ عَطَاءٍ وَنَائِلِ

إِذَا حَلَّ بِالْأَرْضِ الْبَرِيَّةِ أَضْبَحَتْ كَثِيبَةً وَجْهٍ غَبَا غَيْرُ طَائِلِ

يَوْمُ بَرْنَعِي كَأَنَّ زُهَاءَهُ إِذَا هَبَطَ الصَّخْرَاءَ حَرَّةُ رَاجِلِ

حررة راجل : قد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا .

حررة راجل

* * *

٤٢ — وقال النابغة في مرثية له في أخيه صحرار ، وهو أخوه لأبيه وأمه ، وأمه عاتكة :

لَا يَهْنَأُ النَّاسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلَالٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ مَالِ

بَعْدَ ابْنِ عَاتِكَةَ الثَّارِي عَلَى أَبَوَيِ أَضْحَى بِبَلْدَةٍ لَا عَمَّ وَلَا خَالِ

سَهْلِ الْخَلِيقَةِ مَشَاءَ بِأَفْدَحِهِ إِلَى ذَوَاتِ الدَّرَى ، تَحَالِ أَثْقَالِ

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأَى الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهِمَا ، وَهَذَا تَحْتَهُمَا بَالِ

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٤٥ ، والشرى في هذه الأبيات مقصور كفتى ، وفي بيت النابغة بوزن ظي

أَبَوَى - بفتح الباء - الذى ذكر النابغة أن فيه قبر أخيه : أَسْمُ موضع أو جبل بالشام ، وأما الذى يسكون الباء مقصورا فاسم لقريتين على الطريق السالك من البصرة إلى مكة منسوبيتين إلى طسّم وجديس ، واقمتين فى القصيم ، قال المثقّب العبدى :

أَلَا مَنْ مُبْلَغَ عَذَوَاتٍ عَنِ وَمَا يُفْنَى التَّوَعُّدُ مِنْ بَعِيدِ
فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ رَجَالَ أَبَوَى غَدَاةَ تَسَرَّبُوا حَلَقَ الْحَدِيدِ
إِذَا لَطَنْتَ جَنَّةَ ذِي عَرِينِ وَأَسَادَ الْغَرِيفَةَ فِي صَعِيدِ

والأبواء : موضع معروف بين مكة والمدينة ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد سئل كثير الشاعر : لماذا سميت الأبواء أبواء ؟ فقال : لأنهم تَبَوَّؤُا بها منزلا ، وهى قريب « الفرع » بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، قال ابن قيس الرقيات :

فَنَنَى فَالْجَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مُقْفَرَاتٍ فَبِلَدِّ خُشْرَاءِ
فَالْحِيَامُ الَّتِي بَعْضُهَا أَقْوَتْ مِنْ سُلَيْمَى فَالْقَاعِ فَلْأَبْوَاءِ

وبالأبواء قبر آمنه بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان السبب فى دَفْنِهَا هُنَا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَالرَّسُولَ اللَّهَ كَانَ قَدْ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ ^(١) يَمْتَارُ تَمْرَاتٍ بِالْمَدِينَةِ ، فَكَانَتْ زَوْجَتُهُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ بِنْتُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كَلَابِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ تَخْرُجُ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْمَدِينَةِ تَزُورُ قَبْرَهُ ، فَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ خَرَجَتْ زَائِرَةً لِقَبْرِهِ وَمَعَهَا عَبْدُ الْمُطَّلَبِ وَأُمُّ أَيْمَنٍ حَاضِنَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا صَارَتْ بِالْأَبْوَاءِ مُنْصَرِفَةً إِلَى مَكَّةَ مَاتَتْ بِهَا ، وَيُقَالُ : إِنَّ أَبَا طَالِبٍ زَارَ أَخْوَالَهُ بَنَى النَّجَّارَ بِالْمَدِينَةِ ، وَحَلَّ مَعَهُ آمَنَةُ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَجَعَ مُنْصَرِفًا إِلَى مَكَّةَ مَاتَتْ آمَنَةُ بِالْأَبْوَاءِ .

* * *

٤٣ - وقال النابغة :

بَآئَتْ سَعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أَنْجَدَمَا وَاخْتَلَّتِ الشَّرْعَ فَلَا أَجْزَاعَ مِنْ إِضْمَا
إِخْدَى بَلَى وَمَا هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا إِلَّا السَّقَاةُ وَإِلَّا ذِكْرَةُ حُلْمَا
لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أَغْقَابًا إِذَا انْصَرَفَتْ وَلَا تَبْدِيعُ يَجْنِبُنِي نَحْلَةَ الْبَرْمَا

الشرع : وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قريب صفينة به ماء يقال لها « الشارعة »
(١) المشهور أنه خرج فى تجارة قريش إلى الشام ، فلما كان فى طريقه عائدا إلى مكة مرض فعرج على المدينة ليتمرص فيها عند أخواله - وقيل : أخوال أبيه عبد المطلب - فمات بها .

وهي التي عنها الشاعر .

إضم : هذا الاسم يطلق على مواضع يسمى كل واحد منها بهذا الاسم : يطلق هذا الاسم على موضع بالعراق معروف بهذا الاسم ، والموضع الثاني : بطن كبير من الأرض في جهة النجاف ، وهو حنيظل وأبو الدود ، وبه قصور ونخيل ومزارع ، وهو من قرى الأسياح ، والموضع الثالث : وادي يصب من الجبال المجاورة للمدينة حتى ينتهي إلى البحر يقال له « إضم » وهو الذي عنه الشاعر ، وهو الذي عنه سلامة بن جندل ^(١) بقوله :

يا دار أَسْمَاءَ بالعلياء من إضم بين الدَّكَادِكِ من قَوْفٍ مَعصوب
كانت لها مرة دارا فغيرها مرَّ الرياح بساقِ التُّرْبِ مجلوب

الموضع الرابع : منهل في بلاد العرب ، وهو بضم الهمزة ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم ، وهو الذي قال فيه عنترة العبسي :

عجلت بنو شيبان مدتهم والبقعُ أَسْأَهُ بنو لأم
كنا إذا نفر المطيئ بنا وبدت لك أحواض ذى أضمر
نعدى فنظمن في أنوفهم تَحْتَارُ بين القتل والغنم
والشرع المتقدم ذكره المجاور لصفينة هو الذي يقول فيه بشامة بن العدير : ^(٢)
من الديار عَمَوْنَ بالجزع بالدوم بين بحار فاشرع
وهو الذي يقول النابغة فيه أيضا :

لسعدى بشرع فالبحار مساكن قفار تَعَقَّتْهَا شَمَالُ فداجن

نخلة : ذكروا أن العرب في الجاهلية لهم سوق ، إذا أفضت نخلة الشامية على بستان ابن عامر في مكان عين الجديدة اليوم ؛ هناك سوق تباع فيه على الحاج موجودات البلاد : ومنها البرم ، والبرم : أوان من الطين ، فيها الكبير والصغير ، والكبير منها يطبخ فيه الحنظل من الضأن ، والصغير يستعمل لشرب الماء ، ونخلة الشامية هي التي تمر في عين المضيق وتصب إلى وادي فاطمة جميع سيولها ، وهي التي يقول فيها كثير :

حلفت برب الموضعين عشي غيظان فليج دونهم فالشقائق
يمحئون صبح الحر حوصاً كأنها بنخلة من دون الوحيف المطارق
لقد لقينا أم عمرو بصادق من الصرم أوضاقت عليها الخلائق

* * *

(١) معجم البلدان ١ / ٢٨١ على اختلاف ضبطه في شعر سلامة وشعر عنترة . (٢) المعجم ٥ / ٢٥٢

٤٤ — وقال النابغة :

هَلَا سَأَلْتَ بَنِي ذِيانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا
وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرْلٍ تُرْجِي مَعَ الصُّبْحِ مِنْ صُرَادِهَا صِرْمَا
صُهِبَ الظَّلَالُ أَتَيْنَ التِّينَ عَنْ عُرْضِ يُرْجِينَ غَيْمًا قَلِيلًا مَأْوَهُ شِمَا

أُرْل : موضع ذكروا أنه في بلاد غطفان ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وامرؤ
تيس ذكره بضبط آخر حين قال :

تَخَطَّفَ خَزَانُ الشَّرْبَةِ بِالضُّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ

التين : جبل أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، وهو في بلاد بني أسد ، بالقرب من سميراء ،
وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم في الجاهلية وفي الإسلام ، وهذا الجبل قد رأيته ، أصله
وحد ، وأعلىه كأنه جبلان ، قال شاعر أسدي^(١) :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِأَسْفَلِ ذَاتِ الطَّلَحِ مَمْنُونَةَ رَهْبَا
وَهَلْ قَائِلُ هَذَا كُمُ التِّينِ قَدْ بَدَا كَأَنَّ ذُرَى أَعْلَامِهِ عَمَتِ عَصَا
وَلَا شَارِبَ مِنْ مَاءِ زَنْقَةِ شَرْبَةٍ عَلَى الْقَلِّ مَنَى أَوْ مُجَبِّرٍ بِهَارِكَا
وَأَشْدَ شَاعِرٍ آخِرَ أُسْدَى ، وَثَنَاهُ :

أَحَبُّ مَغَارِبِ التِّينِينَ إِنِّي رَأَيْتُ الْغَوْثَ يَأْلِفُهَا الْغَرِيبَ
كَأَنَّ الْجَارَ فِي شَمَجِي بَنِ جَرَمٍ لَهُ نَعْمَاءٌ أَوْ نَسَبٌ قَرِيبُ
وقال شاعر من بني قُتَيْسٍ ، وقد ثَنَاهُ أَيْضًا :

أَرْقَى اللَّيْلَةَ بَرَقَ لَامِعٌ مِنْ دُونِهِ التِّينَانِ وَالرَّبَائِعُ
وَالرَّبَائِعُ قَدْ مَضَى الْكَلَامُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ بِهَذَا الْأَسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ قَرِيبِ التِّينِ ، وَقَالَ
هَوَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

أَحَقًّا ذُرَى التِّينِينَ أَنْ لَسْتُ رَائِيًّا قَلَالَكُمَا إِلَّا لِعَيْنِي سَاكِبُ
وهناك جبل آخر يقال له « تين » واقع جنوبيَّ منهل القنصلية الواقعة في أسفل الوادي
وادي الخزيمة ، يبعد عنها مسافة نصف يوم ، وشرقيَّ بلد الخزيمة على مسافة يوم أو أكثر ، معروف
عند عامة أهل نجد بهذا الاسم

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ٤٤٤ وفيه « ممنونة رهبا »

٤٥ - وقال النابغة :

بَاتَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ وَاحِدَةً بِذِي الْحَاجَزِ تُرَاعِي مَنْزِلًا زَيْعًا
فَانْشَقَّ عَنْهَا عَمُودُ الصُّبْحِ جَافِلَةً عَذُو النَّحُوصِ نَحَافُ الْقَانِصِ اللَّحِمَا

وفيها :

تَحِيدُ مِنْ أَشْتَنِ سُودٍ أَسَافِلُهُ مَشَى الْإِمَاءُ الْقَوَادِي تَحْمِلُ الْحَزَمَا
أَوْدَى وَشُومٍ بِحَوْضِي بَاتَ مُنْكَسِرًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ جَادَى أَخْضَلَتْ دِيَمَا

ذو الحجاز

ذو الحجاز^(١) واقع في وادي المغس ، إذا قطعت وادي الشرايع المعروف وأنت قاصد مكة ، أتيت وادي المغس في الطريق على يسارك ، فإذا أنت حاذيت كبكب فهو هناك ، فيه آثار قديمة لا تزال ماثلة إلى هذا العهد ، وهو سوق من أسواق الجاهلية الشهورة ، ولكن هذا الاسم قد أمحى واضمحل إلا عند القليل ، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يخاطب أباسفيان في شأن أبي أزيهر ، وكان الوليد بن المغيرة المخزومي قتلته ، وكان أبو سفيان صهره ، فأراد حتن الدماء وأدى عقله^(٢) ، ولم يطالب بدمه ، فقال^(٣) :

غدا أهل ضَوْجِي ذِي الْحَاجَزِ كَلِيمَا وَجَارُ ابْنِ حَرْبٍ بِالْمُعَمَّسِ مَا يَغْدُو
وَلَمْ يَمْنَعْ الْعَبِيرَ الضَّرُوطُ ذِمَّارَهُ وَمَا مَنَعْتَ مَحْرَاةَ وَالِدِهَا هُنْدُ
كَسَاكَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ ثِيَابَهُ فَأَبْلَى وَأَخْلَقَ مِثْلَهَا جُدْدًا بَعْدُ

وقال المتوكل الليثي :

لِلْغَانِيَاتِ بِذِي الْحَاجَزِ رَسُومُ فِي بَطْنِ مَكَّةَ عَهْدُهُنَّ قَدِيمُ
لَا تَنْسَهُ عَنْ خَلْقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

حوضي

حوضي : جبل أسود في عالية نجد لبني عامر بن صعصعة ، عند ماء يقال لها « ورشة » يقع شرقيها ، على مسافة نصف ساعة للراجل ، وهو معترض شمالا وجنوبا ، من أحد طرفيه إلى طرفه الآخر مسافة ساعة للراجل ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد لم يتغير منه شيء ، وأحببت أن أورد ما حضرني من الشواهد لشعراء^(٤) الجاهلية وغيرهم ، قال أبو خراش الهذلي :

فَأَقْسَمْتُ لَا أُنْسِي قَتِيلًا رَزْنَتُهُ بِجَانِبِ حَوْضِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ

(١) الحجاز فيه بئر باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها « ذو الحجاز » وهي في الموضع الذي

ذكرنا تحديده ، يعرفها جميع أهل تلك الناحية (٢) العقل - بالفتح - الدية

(٣) انظر معجم البلدان ٣٨٥/٧ (٤) انظر جميع هذه الشواهد في معجم البلدان ٣٦٦/٣

وقال أبو ذؤيب :

من وحش حوضى يراعى الصيد مبتقلا كأنه صكوكب فى الجو منفرد ويرى منجرد
وقرأت فى نوادر أبى زياد : حوضى منازل بنى عقيل ، وفيه حجارة صلبة ، ليس بنجد أصلب
منها ، قال ذو الرمة :

إذا ما بدت حوضى وأعرض حارك . من الرمل تمشى حوله العين أعفر
لقد صدق غيلان فى هذا التشبيه ، لأن الحارك المرتفع من الرمل ، وحوضى يحاورها عرق سبيع
وهى فى ضفته الشرقية ، يرى جبل حوضى من مسافة يوم أو أكثر ، وهى أعظم دليل للسفار على
مائة « ورشة » وهى بئر واحدة لكنها لا تنضب على كثرة من يردّها . وقد وردت هذا المنهل
مراراً ، ومررت على حوضى فى طريقى للتجارة .

وقرأت فى بعض الكتب أن أعرابية توفى زوجها فخطبها ابن عم لها ، فأطرت وجعلت تنكت
الأرض بأصبعها حتى خدّت فيها حفيراً وملاّته بدموعها وقد دفن زوجها فى سفح حوضى ، ثم قالت :

فإن تسألانى عن هَوَاى فإنه مقيمٌ بحوضى أيُّها الرجلانِ
وإن تسألانى عن هَوَاى فإنه رهينٌ له بالث يافتَيانِ
وإنى لأستحييه والتربُّ بيننا كما كنت أستحييه وهُوَ يرانى
أهابك إجلالا وإن كنت فى التَّرى وأكره حقاً أن يسؤك مكانى

فقام الفتى وأيس منها ، ثم رآها بعدُ عند قبر زوجها فى أحسن زى ، فقال لرجل معه : أمارى
فلانة فى أحسن زى ؟ لقد خرجت متعرضة للرجال ، فلما دنت من قبر زوجها التزمته وأنشأت تقول :

يا صاحبَ القبرِ يا من كان يَنعمُ بى عيشاً ويكثر فى الدنيا مَوَاتانى
لما علمتكَ تهوى أن ترائى فى حَلَى وتهواه من ترجيع أصواتى
فمن رآنى رأى حَبْرَى مُفَجَّعةً بشهرة الزى أبكى بين أموات

ثم شهقت شهقة فارقت معها الدنيا ، فدفنت إلى جنب زوجها .

وقال القتال الكلابى ، وحوضى من بلاد قومه :

وما أنس مِلاً شيئاً لا أنس نسوة طوالع من حوضى وقد جَنَحَ العصر
ولا موقفى بالمرَّج حتى أجنها على من العُرْجَيْنِ أسبرة حر
طوالع من حوضى الرداة كأنها نواعم من مرَّانٍ أوقرها النشر
بشرقيّ حوضى أخترتنى منازل قفار ، جلالى عن معارفها القطر

تُنِيرُ وتُنْدِي اَريج في عَرَصَاتِهَا كما نَمُّ القُرطاسَ بالقلم الحَبْرُ
وخيَط نَعَامِي الرَبْدَ فِيهَا كَأَنَّهَا أَبَاعِرُ ضَلَالٍ بِأَبَاطِهَا نَشْرُ
وحوضي : واقعة شرق عِرْق سبيع وغربي جبل الصاقب .

* * *

٤٦ — وقال النابغة :

بَاتَ بِحَقْفٍ مِنَ الْبَقَارِ يَحْفِرُهُ إِذَا اسْتَكْفَ فَلَيْلًا تَرْبُهُ انْهَزَمَا
مَوْلَى الرِّيحِ رَوْقِيهِ وَجَبْهَتُهُ كَالْهَبْرِ قِيٍّ تَنْعَى يَنْفُخُ الْفَحْمَا

البقار

البقار : المواضع التي أعرفها بما يقرب من هذا الاسم في هذا العهد منها «أبقار» وهي أودية وسفان بين منهل غفيف ومنهل القاعية على الطريق السالك من مكة إلى الرياض ، وموضع «أبقار» بين المنبلين ، وهي التي قال فيها صاحب المعجم ^(١) : هي من الحمى ، واستدل بقول الشاعر :

إِلَّا كَذَا رَكْمٌ بِذِي بَقَرٍ الْحَمَى هِيَهَاتَ ذُو بَقَرٍ مِنَ الْمَزْدَارِ
وقال القحيف العقيلي وهو يقصد «أبقارا» المشار إليها ، لأنه من أهل تلك الناحية :

فِيَا حِجَابِي وَمَنْ طَارِقَ الْكَرَى إِذَا مَنَعَ الْعَيْنَ الرِّقَادَ وَسَهْدَا
وَمِنْ عِيرَةٍ جَاءَتْ شَائِبَ أَنْ بَدَا بِذِي بَقَرٍ آيَاتِ رَيْعٍ تَأْبَدَا

وأعرف وادياً يقرب اسمه من هذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو واقع بين الزلفى والأرطاوية ، يقال لذلك الوادي « بقر » ، وأعرف منهلًا في عالية نجد يعد من الأملاح ، يقال له « البقرة » وهو من أعذب الأملاح ، وأعرف مخلافا من مخاليف الطائف يقع جنوبي الطائف يقال له « بقران » .

* * *

٤٧ — وقال النابغة :

حَتَّى غَدَاً مِثْلَ نَضْلِ السَّيْفِ مُنْصَاتَا يَقْرُؤُ الْأُمَاءِزَ مِنْ لُبْنَانَ وَالْأَكْمَا
وَعَارَةَ ذَاتِ أَظْفَارٍ مُلْمَلَمَةً شَعْوَاءَ تَعْتَسِفُ الصَّخْرَاءَ وَالْأَكْمَا
أَقْدَمَتْهَا وَتَوَاصَى الْخَيْلُ شَاحِبَةً جَزْدَاءَ عِجَازَةً أَرَمَى بِهَاسًا قُدُمَا

لبنان

لبنان : شهرته تكفي عن تحديده ، ولكني أحب أن أورد عبارة صاحب معجم البلدان ^(٢) قال : لُبْنَانٌ — بالضم وآخره نون — قال رجل لآخر : لي إليك خُوَيْمِجَةٌ ، فقال : لا أفضيها حتى تكون لبنانية ، أي مثل لبنان ، وهو اسم جبل ، وهو فُعْلَانٌ منصرف ، كذا قال الأزهري ،

ولبنان : جبل مطل على حمص ، يحيى من العرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام ، فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، ودمشق سائر ، وبحلب وحماة وحمص لبنان ، ويتصل بأنطاكية والمصيصة فيسمى هناك الشكّام ، ثم يمتد إلى ملطية وسميساط وقاليقلا إلى بحر الخزر فيسمى هناك القتيق ، وقيل : إن فى هذا الجبل سبعين لسانا ، لا يعرف كل قوم لسان الآخرين إلا بترجمان ، وفى هذا الجبل المسمى لبنان كورة بحمص جليلة ، وفيه من جميع الفواكه والزروع من غير أن يزرعها أحد ، وفيه يكون الأبدال من الصالحين ، وقال

دَعُونِي لَقَى فِي الْحَرْبِ أَطْفُو وَأَرْسُبُ وَلَا تَنْبُونِي فَالْقَوَاضِبُ تَنْبُ
وَإِنْ جَهَلْتُ جِبَالَ قَوْمِي فَضَائِلِي فَقَدْ عَرَفْتُ فَضْلِي مَعَدُ وَيَعْرَبُ
وَلَا تَعْتَبُونِي إِذْ خَرَجْتُ مُغَاضِبًا فَمِنْ بَعْضِ مَابِي سَاحِلَ الشَّامِ يَغْضَبُ
وَكَيْفَ التَّذَادِي مَاءَ دَجَلَةٍ مَعْرَقَا وَأُمُوَاهُ لِبْنَانُ اللَّهِ وَأَعْذَبُ
فَالِي وَاللَّيَامُ لَا دَرَدَرُهَا تُشْرِقُ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا تَغْرِبُ

٤٨ — وقال النابغة :

أَبْلُغْ بَنَى دُيْمَانَ أَنَّ لَا أَخَالَهَمْ يَعْشَبُ إِذَا حَلَّوْا الدَّمَاحَ فَأَظْلَمَا
يَجْمَعُ كَلَوْنَ الْأَعْبَلِ الْجَوْنَ لَوْنُهُ رَرَى فِي نَوَاجِيهِ زُهَيْرًا وَجِدِيمَا

دماخ : لا أعرف موضعا بهذا الاسم إلا جبلا مشهوراً في عالية نجد يقال له «دماخ» وهو باقى حتى اسمه إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليه

فأما «أظلم» فأنا أعرفه ، وهو باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تراه عينك إذا كنت فى الحناكية ، يقع فى غربها الشمالى على مسافة أقل من نصف يوم ، وهو الذى قال فيه (١) كثير :

سَقَى الْبَكْدَرُ فَالْغَبَاءُ فَالْبَرْقُ فَالْحِمَى فَلَوَذَ الْحَصَى مِنْ تَغْلَمَيْنِ فَأَظْلَمَا

وأظلم معروف عند جميع أهل نجد فى تلك الناحية التى ذكرنا ، والمواضع التى ذكرها كثير فى هذا البيت - وهى : الكدر ، والغباء ، والبرق - كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، يظوف عليها الراكب فى يوم ونصف يوم ، أما أظلم فى شمالها وأما الغباء فى جنوبها .

وقد كنت فى الحناكية ضيفا عند أحمد بن نيف العلوى فى أواخر الحرب العظمى سنة ١٣٣٧

هجرية ، فينا نحن في قصره نشرب القهوة سألت أهل تلك البلد عن جبل معترض أشوَدَ فقالوا : هذا الجبل أظلم ، وقد كنت رأيت ذكره في الأشعار وفي كتب المعاجم ، فغربت الشمس عنا ونحن جلوس مما يلي طارفه الغربي ، ولا يبعد أظلم عن الحناكية أكثر من نصف يوم .

أما جبل دماخ فقد ذكرت أنى لا أعرفه ولا أعرف موقعه ، إلا أنى خرجت من الحناكية يوماً وسرت متجهاً إلى جهة الشرق قاصداً قريات الحمى مكة وضرية ، فلما خلفت جبل رَحْرَحَانَ المتاخِمَ للحناكية الواقع في جنوبها التفت على يميني ثم سألت رجلاً في صحبتنا من أهل تلك الناحية : ما هذه الهضبة ؟ فقال : هي « الدمخاء » وأعتقد أن الدمخاء هذه هي دماخ الذي ذكره النابغة ، فلما خلفنا الدمخاء المذكورة التفت على يميني فرأيت أبرق رملٍ مرتفعاً إلى السماء في أرض مصطحبة ، فقلت لصاحبي : ما هذا الأبرق ؟ فقال : هذا « قوز اللباء » الذي تسمع به ، نفع الله الناس به ، فقلت : ما سبب المنفعة ؟ قال : إن به جَنًا يسكنونه ، فإذا اشتكى المريضُ خرجوا به إلى هذا القوز ، فيذبحون عنده ويهدون إليه الحلى والحلل وخواتم المرضى ، فقلت له : إلى هذا العهد ؟ فقال : إلى هذا العهد ، ولكنه قد قل اليوم خوفاً من تأديب الحكومة ، وهذه إحدى خرافات الأعراب المقيمين في بلا غَطَفَان ، وثمة خرافة أخرى لأعراب عتيبة تتعلق بأبرق خنوقة الذي على طريق مكة ، إذا قطعت وادي الرشا وأنت فاصد مكة وخلفت جبل ذريع جهة منكبك الأيسر ثم التفت إلى يمينك رأيت هضبة شبيهة بها أبرق رملٍ له ذكر في أشعار العرب بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ولكن هذه الخرافات انقطعت ببركة جلالة الملك وهمنه وإقامته معالم الدين وإزالته البدع والخرافات .

وسبب نزول أحمد بن نيف بِلَدِ الحناكية الذي كنت ضيفاً عنده أنه لما كانت الحرب العظمى أخرج فخرى باشا جميع قبائل حرب من المدينة وضواحيها ، فنفرقوا في البلاد ، ونزل جماعة من بني على وغيرهم بِلَدِ الحناكية ، وبنو على المقيمون في العوالي الذين منهم أحمد بن نيف المذكور جميعهم رافضة ، إلا هذا الرجل ، وجدته شافعي المذهب ، له تَتْنٌ ودين ، فقلت له : ما السبب في تركك مذهب قومك ؟ قال : هلك والدي وأنا في حجر والدي ، فتزوجها رجل من أهل المدينة شافعي المذهب عالم في شرائع الإسلام ، فرباني ونشأت على تربيته ، وأحمد الله الذي وفقني وأخرجني من هذه الطمعة الضالة ، وليس لهذا الرجل إلا الدعاء له بالجنة

كَأَنَّ الشُّذَرَ وَالْيَاقُوتَ مِنْهَا عَلَى جِنْدَاءِ قَاتِرَةِ الْبُغَامِ
خَلَّتْ بِغَزَالِهَا وَدَنَا عَلَيْنَا أَرَاكَ الْجَزْعَ أَضْفَلَ مِنْ سَنَامِ
تَسْفُتُ بَرِيرَهُ وَتُرُودُ فِيهِ إِلَى دُبُرِ النَّهَارِ مِنَ الْقَسَامِ
كَأَنَّ مُشْعَشَعًا مِنْ خَفَرٍ بُضْرَى نَمَتْهُ الْبَخْتُ مَشْدُودَ الْخُتَامِ
تَحْمِيْنَ قِلَالَهُ مِنْ يَنْتِ رَأْسِ إِلَى لُقْمَانَ فِي سُوقِ مَقَامِ

سَنَام : أعرف ثلاثة مواضع يقال لكل واحد منها سنام ، اثنان منها في بلاد العرب ، والثالث
قمة أحدثها القنع الخارجي ، وهي التي عنها مالك بن الرِّيب في قوله حين خرج مع سعيد بن
غنم بن عفان إلى خراسان :

تَذَكَّرْنِي قَبَابُ التُّرْكِ أَهْلِي وَمَبْدَأُهُمْ إِذَا نَزَلُوا سَنَامَا
وَصَوْتُ حَمَامَةٍ بِجِبَالِ كِشٍ دَعَتْ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ الْحَمَامَا
فَبِتْ لَصَوْتِهَا أَرْقَا وَبَاتَتْ بِمَنْطِقِهَا تُرَاجِعُنِي الْكَلَامَا

والموضعان اللذان في بلاد العرب أحدهما جبل مجاور لبلد الزبير يقال له « سنام » وذكروا
فيه أخباراً كثيرة أغلبها قريب من الخرافات ، قالوا : إن بجانبه ماء كثير الساقى ، ولا شك أنه
سنة ستون ، قال صاحب معجم البلدان ^(١) : إنه أول ماء يرد الدجال من مياه بلاد العرب ، وذكروا
في رواية ثانية أنه سار من الحجاز حتى وقف مكانه الآن متاخماً لبلد الزبير ، ونباته الذي فيه من
جبال الحجاز : القطف ، والإذخر ، والقياء ، كلها موجودة فيه ، وقالوا : إن ذلك الجبل
صريقه وادى الرمة الذي يصب من قريب الحجاز وينتهي قريب الزبير ، ولكن هذه خرافات
لا تصورها العقل وقد اختصرناها ، وهذا الجبل قريب من الزبير ، ولم أرفيه أشعاراً وهو أشهر
موصفين المعروفين بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والجبل الثاني جبل صغير له رأس في بلاد غطفان ،
قريب ماء المرير ، يقال له « سنام » وهو الذي قال فيه شاعر من غطفان :

شَرِبْنِ مِنْ مَآوَانَ مَاءُ مَرٍّ وَمِنْ سَنَامٍ مِثْلَهُ أَوْشَرًا

أما قوله « من مآوان » فإنه قصد ماء المويه التي تحت جبل مآوان ، وهي من أمراء المياه ،
وقصد بسنام ماء المرير الذي يقول فيه الأعرابي حين حجت ناقته الماء :

هَذَا الْمَرِيرُ فَاشْرَبِيهِ أَوْ ذَرِي إِنَّ الْمَرِيرَ قِطْعَةٌ مِنْ أَخْضَرِ

وهذا الجبل يدخل في ذكر الحيين : حى الرَبْدَة ، وحى ضرية ، وهو الذى يقول فيه الشاعر
 أحقاً عبادة الله أن لستُ ناظراً
 سنَامَ الحى أخرى اللبالي العوار
 كأن فؤادى من تدكُّره الحى
 وأهل الحى يهفو به ريش طائر
 وهذه الأبيات للصمة بن عبد الله القسرى ، قالها وهو مريض في « طبرستان » وهى فى قصيدة
 طويلة ، ومات هناك من ذلك المرض .
 بصرى : قد مضى الكلام عليها .

بيت رأس : اسم لقريتين^(١) فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليهما الخمر : إحداهما بالبيت
 المقدس ، وقيل : بيت رأس كورة بالأردن ، والأخرى من نواحي حلب : قال حسان بن ثابت :
 كأن سيئة من بيت رأس
 يكون مزاجها عسل وماء
 فنشربها فتركنا ملوكاً
 وأسداً ما ينهبننا اللقاء
 وهذه الأبيات من قصيدة لحسان بن ثابت رضى الله عنه قالها فى فتح مكة : مطلعها :
 عفت ذات الأصابع فالجواء
 إلى عذراء منزهاً خلاء
 وقال أبو نواس يذكر بيت رأس :

دثار من غنية أو سليمى
 كن معاهد الأوضح منها
 أو الدهاء أخت بنى الحماص
 تجيد أغنى نوم فى الكناس
 وتبسم عن أغر كان فيه
 مجاج سلافة من بيت راس

* * *

٥٠ — وقال النابغة :

ولكن ما أتاك عن ابن هند
 فداء ما ثقل النعل منى
 من الحزم المبين والتمام
 إلى أعلى الذؤابة للهمام
 ومغزاه قبائل غائطات
 على الدهيوط فى لجب لهمام

إلى أن قال :

وأن القوم نصرهم جميع
 فأوردهن بطن الأثم شفتاً
 فنام مجنون إلى فنام
 يصن المشى كالحداء التوام

ذهيوط ، لا أعرفه بهذا الاسم في بلاد العرب ، ولا أعرفه في غيرها ، إلا أن صاحب معجم البلدان^(١) قال : ذَهْوُوطٌ على مثال قُصور : موضع عن ابن دريد ، وقال أيضاً : ذهيوط - بوزن عَـيُوط - واستدل بيت النابغة الذي أوله « ومغراه » .

الأثم : قيل : إنه موضع بالعراق ، والرواية الثانية أن الأثم قرئ واقعة في حرّة بنى سليم ، بين وبين المسلح تسعة أميال ، وهي من منازل حاج البصرة القاصدين لمكة ، وقال ابن سكيت^(٢) : الأثم اسم جامع لقرى أربع : حاذة ، ونقيا ، والحديث ، والقيما ، وأنا لا أعرف موضعاً بهذا الاسم ولا قرية من تلك القرى ، إلا حاذة فإنها باقية بهذا الاسم في بلاد بنى سليم ، وقريب منها صفينة والسوارقية ، وقريب منها بلد المهدي المعدن المعروف في بلاد بنى سليم ، وقد ذكر عمرو بن كلثوم الأثم في قصيدة له حين قال :

صَبَحْنَا هُنَّ يَوْمَ الْأَثَمِ شَعْنًا فَرَأَسَا وَالْقِبَائِلَ مِنْ غِفَارِ
ويمكن أن هذا الاسم باق في ألسن سكان تلك الناحية إلى هذا العهد بلفظة الأثم .

* * *

٥١ — وقال النابغة :

يُوصِّينَ الرُّوَاةَ إِذَا أَلْمَوْا بِشُمْتٍ مُسْكِرَةٍ بَيْنَ عَلَى الْمَطَامِ
وَأَضْحَى سَاطِعًا بِجِبَالٍ حِمْيَ دُقَاقُ الثَّرْبِ مُحْتَزَمَ الْقَتَامِ
فَهَمَّ الطَّالِبُونَ لِيُذَرِّكُوهُ وَمَا رَأَمُوا بِذَلِكَ مِنْ مَرَامِ
إِلَى صَعْبِ الْمَغَارَةِ مُنْذِرِيَّ نَمَاءً فِي فُرُوعِ الْمَجْدِ نَائِي

حِمْيَ : أحببت أن أورد عبارة كاملة لصاحب المعجم على حسي ، وهي^(٣) يجوز أن يكون حِمْيَ من الحِمْي ، وهو المنع ، وهي أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال ، قال الراجز :

جاورن رمل أيلة الدّهاسا وبطن حِمْيَ بدأ هِرْماسا

أى واسعا ، وأيلة : قرية من وادي القرى ، وحِمْيَ : أرض غليظة ، وماؤها كذلك ، لا خير فيها ، تنزلها جُدَام ، وقال ابن السكيت : حِمْيَ لجذام ، جبال وأرض بين أيلة وجانب نيه بنى إسرائيل الذي يلي أيلة ، وبين أرض بنى عُذْرَةَ من ظهر حرة نهيل ، فذلك كله حِمْيَ ، قل كثير :

(١) معجم البلدان ٤/ ٢٠٠ (٢) معجم البلدان ١/ ١٠٥ (٣) معجم البلدان ٣/ ٢٧٦

(٨ - صحيح الأخبار ٢)

سَيَانِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ جَاهِلِيَّ حَسْمَى قُورَهَا وَحُزُونَهَا
تَجَاوَبَ أَصْدَائِي بِكُلِّ قَصِيدَةٍ مِنْ الشَّعْرِ مُهْدَأَةً مَنْ لَا يُهِنُهَا

ويقال : آخر ماء نَضَبَ مِنْ ماء الطوفان حَسْمَى ، فَبَقِيَتْ مِنْ هَذِهِ الْبَقْعَةِ إِلَى الْيَوْمِ ، فَذَلِكَ هُوَ أَخْبَثُ مَاءٍ ، وَفِي أَخْبَارِ الْمُتَنَبِّئِي وَحِكَايَةِ مَسِيرِهِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْعِرَاقِ قَالَ : حَسْمَى أَرْضٌ طَيِّبَةٌ ، تَوْدِي لَيْنَ النَّخْلَةِ مِنْ لَيْنِهَا ، وَتَنْبِتُ جَمِيعَ النَّبَاتِ ، مَمْلُوءَةٌ جِبَالًا فِي كِبْدِ السَّمَاءِ مُتَنَاوِحَةٌ مُلَسَّ الْجَوَابِ إِذَا أَرَادَ النَّاضِرُ النَّظَرَ إِلَى قُلَّةٍ أَحَدَهَا قَتَلَ عُنُقَهُ حَتَّى يَرَاهَا بِشِدَّةٍ ، وَمِنْهَا مَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ ، وَلَا يَكَادُ الْقِتَامُ يَفَارِقُهَا ، وَلِهَذَا قَالَ النَّابِغَةُ :

فَأَصْبَحَ عَاقِلًا بِجِبَالِ حَسْمَى دَفَاقَ التُّرْبِ مُحْتَرِمَ الْقِتَامِ

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَفْسِيرِهِ وَلَمْ يَعْلَمُوهُ ، وَيَكُونُ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي يَوْمَيْنِ ، يَعْرِفُهَا مَنْ رَأَاهَا حَيْثُ يَرَاهَا ، لِأَنَّهَا لَا مِثِيلَ لَهَا فِي الدُّنْيَا ، وَمِنْ جِبَالِ حَسْمَى جَبَلٌ يَعْرِفُ بِإِرَمَ عَظِيمِ الْعُلُوِّ ، تَزْعُمُ أَهْلُ الْبَادِيَةِ أَنَّ فِيهِ كُرُومًا وَصُنُوبَرًا ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « تَخْرُجُكُمْ الرُّومُ مِنْهَا كَفَرًا كَفَرًا إِلَى سَبْكٍ مِنَ الْأَرْضِ » قِيلَ لَهُ : وَمَا ذَلِكَ السَّبْكُ ؟ قَالَ : « حَسْمَى جَذَامٌ » وَقُرَأَتْ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ اجْتَبَى مَاءَ إِرَمَ وَالْبَدِيعَةَ وَنَعْمَانَ وَعَمَلَانَ بَعَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذِهِ الْمِيَاهُ كُلُّهَا بِحَسْمَى ، وَفِي كُتُبِ السِّيَرِ وَأَخْبَارِ نُوحٍ أَنَّ حَسْمَى جَبَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى حَرَّانَ قَرِبَ الْجُودَى ، وَأَنَّ نُوحًا نَزَلَ مِنْهُ فِي بَنِي حَرَّانَ ، وَهَذَا بَعِيدٌ مِنْ جِهَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا أَنَّ الْجُودَى بَعِيدٌ مِنْ حَرَّانَ ، بَيْنَهُمَا أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ أَيَّامٍ . وَالثَّانِيَةُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بِالْجَزِيرَةِ جَبَلٌ يَقَالُ لَهُ حَسْمَى .

أَمَّا ذُو حَسْمَ الَّذِي ذَكَرَهُ لَبِيدٌ فِي شَعْرِهِ فَإِنَّهُ غَيْرُ حَسْمَى الَّتِي ذَكَرَهَا النَّابِغَةُ وَالَّتِي أوردنا عَلَيْهَا الشَّوَاهِدَ ، وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي حَسْمَى الْعِبَارَةُ الَّتِي أوردنا ، وَأَهْلُ تَبَوُّكَ يَرُونَ جَبَلَ حَسْمَى فِي غَرْبِهِمْ وَفِي شَرْقِهِمْ وَشُرُورِي ، وَهَذِهِ آيَاتُ لَبِيدٍ فِي ذِي حَسْمَ^(١)

لَيْبِكَ عَلَى النِّعَمَانِ شَرِبَ وَقَيْنَةَ وَمُخْتَبَطَاتِ كَالسَّمَاءِ أَرَامِلُ
لَهُ الْمُلْكُ فِي ضَاحِي مَعَدٍ ، وَأَسْلَمَتْ إِلَيْهِ الْعِبَادُ كُلُّهُمْ مَا يَحَاوِلُ
فِيَوْمًا عَنَاءَةً فِي الْحَدِيدِ يَكْفُهُمْ وَيَوْمًا جِيَادًا مُلْجَمَاتٍ قَوَافِلُ
بَذَى حُسَمٍ قَدْ عُرِّيَتْ وَيَزِينُهَا دِمَاطُ فَبِجِ رَهْوَهَا وَالْحَاوِلُ

وَذُو حَسْمَ لَا أَعْرِفُهَا بِهَذَا الْأَسْمِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ ، أَعْرِفُ حَالَاتٍ ، وَهِيَ هَضْبَتُ بَنِي شَعْبَى

وبين عريق الدسم ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٥٢ — وقال النابغة :

طَلَمُوا إِلَيْكَ رِأْيَةَ مَعْرُوفَةٍ يَوْمَ الْأُنَيْسِ إِذْ لَقِيتَ لَيْمًا
قَوْمٌ تَدَارَكَ بِالْمَقِيرَةِ رَكْضُهُمْ أَوْلَادَ زُرْدَةَ إِذْ تَرَكْتَ ذَمِيمًا

الأنيس : لا أعلم في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم ، إلا أنى أعرف جبلاً أحمر منقطعاً من جبال طخفة الواقعة في عالية نجد ، يقع في جنوبها بين وادي الريان وجبال كبشات يقال له « إنسان » في هذا العهد ، كأنه إنسان واقف ، وهو الذى يقول فيه الراجز^(١) :

خَلِيَّةُ أَبْوَابِهَا كَالطَّيْقَانِ أَحْمَى بِهَا الْمَلِكُ جَنُوبَ الرِّيَّانِ

فكبشات فجنوبى إنسان

والريان الذى قرن بإنسان : وادٍ عظيم بين طخفة وغول ، قد مضى الكلام عليه في معلقة امرئ القيس ، ليس بجبل ، ويمكن أن النابغة قصد هذا الجبل المسمى اليوم بإنسان .

العقيرة : لا أعرف في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم ، وأعرف موضعاً يقرب اسمه من هذا الاسم ، وهو مرسى هجر ، يقال له « العقير » في هذا العهد ، ويمكن أن اسمه كان في الجاهلية العقيرة ، لأن صاحب معجم البلدان قال : العقيرة مدينة على البحر ، بينها وبين هجر ليلة ، والموضع الذى تقارب هذا الاسم كثيرة : منها « عقار » موضع قريب اليمامة ، وفيه وقع يوم عقار على بنى تميم وكان فارسهم شهاب بن عبد قيس ، فقتله سيار بن عبيد الحنفى ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

وَأَوْسَفْنَا بَنَى يَرْبُوعَ طَعْنَا فَأَجَلُّوا عَنْ شِهَابٍ بِالْعُقَارِ

هذا عقار الواقع في اليمامة ، وهو الذى يقول فيه الضبابى حين أخذت ناقته إلى معاذ بن الأقرع القشبرى^(٢) :

قَلْتُ لَهَا بِالرَّمْلِ وَهِيَ تَضْجَعُ رَمْلَ عُقَارٍ وَالْعِيُونُ هُجَّعُ
بِالسَّلْعِ ذَاتِ الْخَلَقَاتِ الْأَرْبَعِ أَلِغُمَاذِ أَنْتِ أُمُّ لِلْأَقْرَعِ

وهذا الموضع واقع قريب الأملح من مياه الدبول قريب كتيب الدحى ، وهو الذى يقول فيه الفرزدق :

(١) انظر معجم البلدان ١ / ٣٥٢

(٢) معجم البلدان ٦ / ١٩١ وفيه أن عقار اليمامة بضم أوله ، والذى في شعر الضبابى بفتح أوله

أقول لصاحبي من التمرى وقد نكبن أكشبة العقر
أعيناني على زفرات قنب يحن برامتين إلى البوار
إذا ذكرت منازلها استهتت مدامع مسيل العبرات جاري

وهناك جبل في عالية نجد في جنوبها يقال له « العقر » وهناك جبال متصلة بمنهل البديعة الماء المعروف في عالية نجد يقال لها « العقر » وهناك جبل في عرض ابني شدم مرتفع إلى السماء يقال له « العاقر » وجميع هذه المواضع المذكورة باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، هذا الذي أعرفه من جبال نجد ، فأما لفظ العقر فإنه يطلق على كل قصر منيع ، ويطلق على الدار ، قال لبيد في ذكر^(١) القصر :

كعقر الهاجري إذا ابتناه بشبه حدين على مثل

وبنو شليل من بنيلة ، وشليل هو جد جرير بن عبد الله البجلي ، قال تأبط شرا في قصر بني شليل :

شئت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقارئها الرياح

ويطلق اسم العقر على عدة مواضع : منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، وقد روى أن الحسين بن علي رضي الله عنه لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال : ما اسم تلك القرية ؟ وأشار إلى العقر ، فقيل له : اسمها العقر ، فقال : نعوذ بالله من العقر ، فما اسم تلك الأرض التي نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء ، قال : أرض كرب وبلاء ، وأراد الخروج منها فنع ، وكان ما كان ، وهذا الموضع الذي يقال له العقر قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة في سنة ١٠٢ ، وكان خلع طاعة بني مروان ، ودعا إلى نفسه ، وأطاعه أهل البصرة والأهواز وفارس وواسط ، وخرج في مئة وعشرين ألفا ، فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسامة ، فواقفه بالعقر من أرض بابل ، فانبجست الحرب عن قتل يزيد بن المهلب ، وقال الفرزدق يشبب بعاتكة بنت عمرو ابن يزيد الأسدي زوجة يزيد بن المهلب :

إذا ما المزونيات أصبحن خسرا وبكين أشلاء على عقر بابل

وكم طالب بنت الملاء أنها تذكر ريعان الشباب المزايل

والعقر أيضاً : قرية بين تكريت والموصل ، تنزلها القوافل ، وهي أول حدود أعمال الموصل من جهة العراق ، والعقر : قرية على طريق بغداد إلى الدسكرة ، يسب إليها أبو الدرداء لؤلؤ

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ١٩٤ وما بعدها ، ونسب في اللسان (ق ر أ) بيت تأبط شرا إلى مالك بن الحارث الهذلي

ابن أبي الكرم بن لؤلؤ بن فارس القَعْرِيُّ ، من هذه القرية ، والعقر أيضاً : قلعة حصينة في جبال الموصل ، أهلها أكراد ، وهي شرقي الموصل ، تعرف بعقر الحنيدية ، خرج منها طائفة من أهل العلم وفي حمى ضرية جبال يقال لها العقر ، وهي التي قال فيها طفيل الفنوي :

وبالعقر دار من جميلة هيجت سواف حب في فؤادك منصب

وعقر السدن : من قرى الشرطة ، بين واسط والبصرة ، منها كان الضالُّ المضلُّ سنان داعية الإسماعلية ودجّالهم ومضلهم الذي فعل الأفاعيل التي لم يقدر عليها أحد قبله ولا بعده . والعقر - بالتحريك - من قرى الرملة في حسان السمعاني ، ونسب إليها أبو جعفر محمد بن أحمد بن إبراهيم القَعْرِيُّ الرملي ، يروي عن عيسى بن يونس الفاخوري ، روى عنه أبو بكر المقرئ ، سمع منه بعد سنة ٣١٠ .

قال مصنف هذا الكتاب : وأريد أن أنبه هنا إلى أن الذي أوردته عن العاقر والعقر والعقير فما كان من الحديث عن العقير الواقع في سواحل هجر إلى عالية نجد من المواضع التي تسمى بهذه الأسماء في بلاد العرب فإنني أعرفها وأعرف مواضعها ، وما كان منها خارج بلاد العرب فهي رواية صاحب معجم البلدان ، والذي ذكره النابغة بقوله العقيرة هو الواقع في سواحل هجر .

* * *

٥٣ — وقال النابغة :

أَلَيْمٌ بِرَسْمِ الطَّلِّ الْأَقْدَمِ بِجَانِبِ السَّكْرَانِ فَلَا يَمُومُ

السكران

السكران : ذكروا أنه وادٍ عظيم بمشرف الشام ، وهو الذي يقول فيه الأخطل ^(١) :

فراية السكران قفر فما بها لهم شبح إلا سلام وحرمل

وذكروا أنه وادٍ عظيم قريب الشام ، إذا خرجت من الشام قاصداً المدينة جعلته على يسارك

وهو الذي يقول فيه عبيد الله بن قيس ^(١) الرقيات :

زَوَدْتَنَا رَقِيَّةَ الْأَحْزَانِ يَوْمَ جَازَتْ حَمُولًا سَكْرَانِ

إن تكن هي من عبد شمس أراها فغسى أن يكون ذلك وكان ^(٢)

أنا من أجلكم هجرتُ بني بدٍ ومن أجلكم أحبُّ أبانا

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٩٧ (٢) هكذا وقع البيت في معجم البلدان ، وهو في ديوان

عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٢٦٢ أوردة على وجه آخر لا ضرورة فيه ، وهو :

إن تقل هن من بني عبد شمس فغسى ذلك أن يكون وكان

ودخلنا الديار مانشتها طمعا أن تنيلنا أو تدانا
وذكروا أن قريب المدينة جبل يقال له السكران ؛ فإذا صبح ذلك فمُبيد الله بن قيس الرقيات
يقصده ؛ لأنه شاعر حجازى .

وأحب أن أزيل عن القارىء بعض الالتباس ، هناك قصور ومزارع وفيها نخيل يقال لها
السكران ، واقعة بين « البرود » و « الفيضة » الواقعتين فى قرى السر ، وهذا الاسم حديث ،
بعثها على بن سكران وإخوته ، وهم أهل أشقر ، وهم بطن من قبيلة الوهبة من بنى تميم ، بعث
تلك الناحية فى أوائل القرن الرابع عشر ، فأول ما بُعث قصر واحد ، وسمى قصر ابن سكران ،
ثم زادت القصور والمزارع فاستمر الاسم « قصور ابن سكران » ثم حذفوا لفظ القصور فصار
« سكران » إلى هذا العهد ، فعلى لا تعرف عند عامة أهل نجد إلا بهذا الاسم ، وهناك فى كتيب
السر طريق مما يلي السكران يسلكه القاصد إلى قرى الوشم يسمى « خل السكران » فأما سُكَّر
بوزن زفر - فهو موضع بشرق صعيد مصر ، بينه وبين مصر يومان ، كان عبد العزيز بن مروان فى
ولايته يخرج إليه ويبعده من متزهاته ، وبه مات عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، ومات به
أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ، فقال نصيب يرثيه :

أصبت يوم الصعيد من سُكَّر مصيبة ليس لى بها قبْلُ
تالله أننى مصيبتى أبداً ما أسمعنى حنينها الإبلُ
ولا التبكى عليه أتركه كل المصيات بعده جبالُ^(١)
لم يعرف النعش ما عليه من السـمـرُف ولا الحاملون ما حَمَلُوا
حتى أجنَّوه فى ضريحهم حيث انتهى من خليه الأملُ

وأما عبد العزيز بن مروان والى مصر فى خلافة أخيه عبد الملك فقد ثبت أنه هلك فى حلوان
قرب مصر .

الأيهم : ذكروا أنه فى نواحي الشام ، وذكروا أيضاً أن أيهم وادٍ من أودية طى ، ولكنى
لم أجده ذكر إلا فى بيت النابغة الذى مر ذكره .

* * *

٥٤ — وقال النابغة :

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ أَبَا حُرَيْثٍ وَعَنْبِيَةَ الْفَلَامَةِ لِلْمُكَلِّمِ

(١) جلل ، هنا : أى هينة سهلة .

فَكَيْفَ تَرَى مُعَاقَتِي وَسَمْعِي بِأَذْوَادِ الْقَصِيمةِ وَالْقَصِيمِ

نحب أن ننبه القارئ على هذين البيتين لئلا يظن أن القصيم المذكور فيها هو القصيم المشهور الواقع في القطعة الشمالية من نجد .
القصيمة في اللغة : القطعة من الأرض ينبت فيها الغضى والأرطى والسلم ، وهي أيضاً ما سهل من الأرض .

* * *

٥٥ — وقال النابغة :

إِنِّي أَظُنُّ ابْنَ هِنْدٍ غَيْرَ نَارِكِكُمْ بِالْقُرَيْنَيْنِ وَلَمَّا يُفْرَجِ النَّعْمُ
حَتَّى تَرَاءَوْهُ مَمْعُوبًا بِلَهْمِهِ نَقَعُ الْقُنَابِلِ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ

القرنين : المواضع التي يطلق عليها اسم قريب من هذا اللفظ كثيرة ، يوجد في بلاد غطفان هضبتان يقال لهما « القرينتان » وكان يقال لهما « القرين » وهما اللتان فال فيهما ذو الرمة^(١) يردفن خشباً القرين وقد بدا لهنَّ إلى أرض الستار زياها

وهما قرينتان من الستار الواقع بين أبلئ وحدود حمى ضرية ، للموضع الثاني هضبة لها رأسان بين شقرا والقرين تسمى تلك الهضبة « القرين » وهناك موضع ثالث بين حريملا وملهم ، يقال لتلك البلد اليوم القرينة ، وهي التي قال فيها جرير^(٢) :

كَأَنَّ أَطْعَامَهُمْ تَحْدَى مَقْفِيَةً تَخْلُجُ بِلَهُمْ أَوْ نَخْلُجُ بَقْرَانَا

وفي بلد سدوس بئر كثيرة الماء عظيمة يقال لها القرينتان ؛ فأما القرية الواقعة بين ملهم وحريملا المعروفة اليوم بالقرينة فهي التي قتل فيها نجدة بن عامر الحنفي الحروري ، والقرينة أيضاً : اسم روضة بالصَّمان ، قال الشاعر في شَطْرُ بَيْتِ^(٣) :

* جرى الرمث في ماء القرينة والسر *

وقال صاعد ، وأنشده أبو زياد :

أَلَا يَا صَاحِبِيَّ قَفَا قَلِيلًا عَلَى دَارِ الْقُدُورِ فَحَيَّيَاهَا
وَدَارِ الشَّمِيطِ لَحْيَاهَا وَدَارِ الْقَرِينَةِ فَاسْأَلَاهَا
سَقَتَهَا كُلُّ وَاكْفَةٍ هَتُونِ تَرْجِيهَا جَنُوبٌ أَوْ صَبَاها

(١) انظر معجم البلدان ٧ / ٧٢ (٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٤٦

وشميط التي ذكرها قريب القرينة الواقعة في بلاد غطفان من أشمط الرضم المعروفة في هذا العهد بالأشمط وهي هضبات شهب .

* * *

٥٦ — وقال النابغة :

غَشِيَتْ مَنَازِلًا بِمَرِيَّتِنَا
فَأَعْلَى الْجَزَعِ لِلْحَيِّ الْمَيِّتِ
نَعَاقِدَهُنَّ صَرَفُ الدَّهْرِ حَتَّى
عَفَوْنَ وَكُلُّ مُنْهَمِرٍ مُرِنٌ

عريقتات

عريقتات : قد مضى الكلام عليها .

* * *

٥٧ — وقال النابغة :

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا
فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي
فَهُمْ دِرْعَى الَّتِي اسْتَلَامْتُ فِيهَا
إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ وَهُمْ يَحْيَى
وَهُمْ وَرُودَا الْجِفَارِ عَلَى تَمِيمٍ
وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عَمْكَازٍ إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ
أَتَيْتُهُمْ يَوْمَ الصَّدْرِ مِنِّي

يوم النصار

يوم للنصار : يوم عظيم من أيام العرب المشهورة . وهذه رواية صاحب العقد الفريد بتأليفه ، قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطى وغطفان ، ولحق بهم ضبة وعدى ، فعمروا بني عامر ، فقتلوا قتيلا شديداً ، فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر ، فتجمعوا حتى لحقوا طياً وغطفان وحلفاءهم من بني ضبة وعدى يوم الفجار ، فقتلت تميم طياً أشد مما قتلت عامر يوم النصار ، فقال في ذلك بشر ابن أبي خازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النصار فأعجبوا بالضيعة

وأحب أن أورد العبارات الواردة في النصار ، قال صاحب معجم البلدان ^(١) : النصار : جبال صفار كانت عندها وقعة بين الرباب وهوازن وسعد بن عمرو بن تميم ، فهزمت هوازن ، فلما رأوا الغلبة سألوا ضبة أن تشاطرهم أموالهم وسلاحهم ويحلوا عنهم ، ففعلوا ، قال ربيعة بن مقروم الضبي :

قَوْمِي فَإِنْ كُنْتُ كَذِبْتَنِي
بِمَا قُلْتُ فَاسْأَلْ بِقَوْمِي عَلِيَا
فَدَى بِيْرَاخَةَ أَهْلِي هُمْ
إِذَا مَلَتْهُوا بِالْجُوعِ الْقَضِيَا
وَإِنْ لَقِيتُ عَامِرَ بَالِنَسَا
ر مِنْهُمْ وَطَخَفَ يَوْمَا غُشُومَا
بِهِ شَاطَرُوا إِلَى أُمُوَاهُمْ
هُوَازَنَ ذَا وَفَرَهَا وَالْقَدِيمَا

وقال في معجم البلدان^(١) عن أبي عبيدة : النصار أجيال متساورة يقال لها الأنسر ، وهي التي تسمى النصار ، وكانت به وقعة قال النظار الأسدي :

ويوم النصار ويوم النضا ركانوا لنا مقتوى المقتوي
المقتوى : هو الخادم ، كأنه يقول : إنهم صاروا خدماً لخدمنا .

وأنا أعرف النصار المذكور يقينا ، كان به ثلاث وقعات في الجاهلية ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة ، بين عرب نجد ، وفي وقعة الأنسر المتأخرة يقول رباح الصانع أحد شعراء النبط :

كريم يبارق نوه حقوق يشعل أشمال أخيل ضوحة إلى حزات وجبات الصلاة
أمطر على وادي الأنصر وأرجعه من عقب الحال وسيل شعيب الخنوقة بعد ما سئل غثات
وهو يعرف عند عامة أهل نجد اليوم بالأنصر ، أبدلت سینه صاداً ، ومائة الأنصر مائة القاعية الواقعة على طريق السيارات السالكة من الرياض إلى مكة ، بين منهل عفيف وبلد الدوادي ، إذا طلعت على ماء القاعية فانظر على يمينك فإنك ترى جيالات صغاراً أصلها واحد ، ورؤسها ثلاثة . وحوالها أبارق ، يقال تلك الجيالات « الأنصر » والنصار هو الذي يقول فيه بشر بن أبي خازم^(٢) :

وسنت بنو أسد نساء كثيرة من نساء ذبيان ، فقالت سلمي بنت الحلق تعير جَوَاباً
والطفيل وغيرها : لحي الإله أبا ليلى بفرته يوم النصار وقنب العير جَوَاباً
كيف الفخار وقد كانت بمعترك يوم النصار بنو ذبيان أرباباً
لم تمنعوا التوم إذ أشكوا سوامكم ولا النساء ، وكان القوم أحزاباً
النصار : جبل أصله واحد ورؤسه ثلاثة كأنها أنسر وقع على ظهر ذلك الجبل ، فسميت الأنسر ، فبقيت على هذا الاسم في الجاهلية ، ثم تداولته الألسن حتى صار هذا الاسم الأنصر ، وعنده أبارق وجيلات كان يقال لها فيما سبق الأناسر ، ويقال لها اليوم « الأنصر » .

الجفار : منهل في^(٣) عالية نجد ، وبه وقعة عظيمة في الجاهلية بين بكر بن وائل وتميم بن مر الأسر فيه عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع ، أسره قتادة بن مسلمة ، وقال شاعر بكر :

أسر المحشر وابنه وحويرث والنهشلي ومالك وعقلاً
وقال الأعشى :

وإن أخاك الذي تعلمين ليالينا إذ تحل الجفارا

(١) انظر معجم البلدان ٢٨٤/٨ وما بعدها (٢) انظر معجم البلدان ١١٢/٣

تبدّل بعد الصبا حمّه وَقَنَمه الشيب منه خمارا

والجفار : موضع معلوم ، إذا انقطع جبل شعبي في الجهة الجنوبية منها فهناك موضع يقال له « الجفر » ذكروا عنه أخباراً كثيرة ، منها أنه من مياه الضباب ، وبلى ، قبلي ضرية على ثلاث ليال يشبه هذا الماء ماء السماء يخرج من عيون تحت هضبة كأنه وشل وليس بوشل ، وناسمع أمير نقي عمر بن ريعان هذه العبارة خرج بأصحابه يلتمس تلك العين ، فلم يجدها في جنبات الموضع الذي يقال له « الجفر » ، ويلييه في جهته الجنوبية الغربية منه هضبة يقال لها « مصودعة » إذا رأيتها فكأنها متصدعة ، ويضاف هذا الجفر إليها فيقال له « جفر مصودعة » . وهو الذي يقول فيه الشاعر الضبابي (١) :

كفى حزنا أنى نظرت وأهلنا بهَضْبِي شامِخ الطوال طول
إلى ضوء نار بالجديف يَشْبِيَا مع الصبح سنج الساعدين طويل
على لحم ناب عَضَهُ السيفُ عَضَةً فَخَرَّ على اللحيين وهو كليل
أقول وقد آيقت أن لَسْتُ فاعلا ألا هل إلى ماء الجفار سبيل
وقد صدر الورّاد عنه وقد طأ بأشهب يشقى لو كرهت غليل

وهذا الجفر هو الذي كان يقال له « الجفار » في الزمن القديم ، وهو الذي كانت به الوقعة المشهورة بين بكر وتميم . وقد صار اسمه في هذا العهد « الجفر » وقد أكثر الشعراء من ذكره شعراء العرب المتقدمين وشعراء العرب المتأخرين الذين سلكوا في الشعر المنهج النبطي ، ومن هؤلاء متعب بن جبرين ، وهو من رؤساء بني عبد الله بن غطفان ، وله ذكر في قيادة الفرسان ، وهو من أحلاس الخليل ، وكانت زوجته قد هلكت وهم حلول في سفح الهضبة المعروفة بهذا الاسم «المصودعة» فدفنت زوجته في سفح الجفر المذكور ، فقال أبياتا نبطية منها :

مَصُودَعَةُ عَلَّكَ من الوسم رَعَاد سبيل على سبيل ووبل يهبل
عساه يسقى لبة الجفر من غاد حيثن فيها بالتويجن هل لي

ومتعب بن جبرين هذا أخبار طريفة ، وكان تريحيب بن شري بن بصيص من مطير ، وهو من فرسان أهل نجد في أوائل القرن الرابع عشر ، حتى إن كل معركة وقعت بين مطير وعتيبة لم يتخلف عن واحدة منها ، وقد قتل في آخر وقعة قريب ماء الغريز القريب من وادي الحيسية قتله فاجر السلات من الروقة من ذوى عطية ، وكان متعب بن جبرين المذكور أخاً له من أمه ،

فقال قصيدة بنطية منها :

يَهْلُ الرَمَكُ زِيدُوهُنَّ فِي الْبَرِيرَةِ نَبِي نَدَوْرَ فَوْقَهُنَّ اِتْرِيحِيْب
لَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يَشُوْرُ صَبِيْرَةَ عَسَامُهُ أَكْبَرُ مِنْ خَشُوْمِ الْعِرَاقِيْبِ
الرَمَكُ : الخليل ، والصبيْرَةُ : هو القَتَامُ ، والنَّسَامُ : نوع من القَتَامِ ، العِرَاقِيْبِ : أ كُتُبَةُ تَقَعُ
جَنُوبِي جَبَلِ النَّيْرِ .

ومن طرائف أخبار متعب بن جبرين ما حدثني به دعييس الصفياني من عتيبة سنة ١٣٤٥ هـ وعمره في ذلك الوقت قريب ثمانين سنة ، قال : كنا قاطنين على ماءة « دغيجبة » المعروفة قريب المويه ، وكنت إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة ، فقال لي والدي : إن لنا غرضاً عند أهل « تنضبة » الماء الواقعة في وادي العميق قريب عشيرة والمحدثه ، وإني لا أقدر أن أترك إبلي خشية الأعداء ، ولكن انظر إلى هذا الجبل ، فإني والله لا أعلم ناقة ولا جملاً يرُدَّانه عن طريقه ، فاركبه ، فإني رأيت أحداً فأنهزم به فإنك تنجو إن شاء الله ، قال : فأخذت مزادتي وزادتي ، وركبته لما بزغ الفجر ، فقصدت أهل تنضبة تارةً يسيراً عجلًا وطوراً يرقل إرقالا ، فلما اشتدت القيولة إذا أنا قد قربت جبيل ببيان التناخيم لماءة المحدثه في ركبة ، فقلت في نفسي : أرتاح قليلاً ويرتاح جلي ، فأنخته في ظل دَوْحَةٍ ، ووضعت عنه زادتي ومزادتي ، وقيدته ، فتركته يرعى في الشجر ، واضطجعت على جنبتي ، فما شعرت وأنا في النوم إلا بالأصوات المرتفعة ، وإذا جيش يبلغ عدده مئة من المهاري النجُوب ، وإذا السابقون من هؤلاء إلى جلي يحاوزون العشرين وهم مختلفون على هذا الجبل الواحد ، كل منهم يقول : أنا السابق إليه وهولي ، فما شعرت إلا برجل يقول : يا صاحب الجبل من أنت وما قبيلتك ؟ فقلت : من عتيبة ، فقال : عليك اللعنة مأخوذ ومجحود ، أقبل إلى وخذ أمتعتك معك ، فجنّت بها ، وكان هذا الشيخ هو متعب بن جبرين ، فلما أتيتته بأمتعتي قال : ضعها على جملك واركبه ، وقف ، ثم التفت إلى هؤلاء فقال لهم : أيها المختلفون ، إني أريدُ أن أترك صاحب هذا الجبل حتى يصل إلى تلك الشجرة ، ونأمره يندفع في السير ، ثم أنتم تنيرون على أثره ، فمن لحقه فهو له ، فرضى الجميع بذلك ، فالتفت إلى وقال : اندفع على جملك ، فاندفع الجيش على أثرى فما مضى إلا قليل ، ثم التفت فلم أر من القوم إلا ثماناً ، ثم اندفعت أيضاً والتفت فلم أر إلا أربعا ، ثم اندفعت قليلاً ثم التفت فلم أر إلا اثنين ، فأنخت جلي وأخذت حثوات من التراب فرميت بها أمام وجوههم ، وركبت جلي ، فانطلقت إلى ماءة تنضبة ، فأنجاني الله منهم ، ووصات قومي سالماً والذي أعرفه في بلاد العرب من المواضع التي يقال لها « الجفر » هو هذا الموضع المذكور ،

وهو الجفار الذي ذكره النابغة . وأعرف منهلا بين القصيم وحائل يقال له « الأجر » وأعرف منهلا كثير الماء في عالية نجد جنوبي عرض باهلة يقال له الجفر جفر بتران ، و بتران : جبل أسود رفيع القمة مُطل على هذا الجفر ، فأضيف الماء إلى هذا الجبل ، فقليل له « جفر بتران » وقد مضى الكلام عليه في ذكر أملاح الديول ، و بتران قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وهناك موضع آخر يقال له « الجفر » في أسفل بيشة ، وهو هضبات حمر بها ماء يقال له « الجفر » مطل على النقيع البلدي الواقعة في وادي بيشة وفي بلد أشيقر بئر يقال لها الجفر .

وعكاظ : قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا ، وسيأتي لنا بحث وافٍ عنه في آخر هذا الكتاب

عكاظ

* * *

٥٨ — وقال النابغة :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى يَرِيدٍ مِنْ الْفَخْرِ الْمَضَالِ مَا أَتَانِي
كَأَنَّ النَّاجِ مَعْقُودٌ عَلَيْهِ لِأَذْوَادٍ أُخِذْنَ بِذِي أَبَانٍ
فَحَسْبُكَ أَنْ تَهَاضَ بِمُحْكَمَاتٍ يَمُرُّ بِهَا الرَّوِيُّ عَلَى لِسَانِي

أبان : قد مضى الكلام عليه مفرداً ومثنى ، وذكرنا تحديده و بينا أن وادي الرمة ينفذ إلى جهة القصيم من بينهما وهذا المنفذ يقال له الخلق .

أبان

* * *

٥٩ — وقال النابغة :

أَتَهْدِي لِي الْوَعِيدَ بِذَاتِ وَجٍّ كَأَنِّي لَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي
فَإِنْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ أَبُو قُبَيْسٍ تَمَطَّ بِكَ الْمَعِيشَةُ فِي هَوَانٍ

وج : هو وادي الطائف ، واسمه باقٍ إلى هذا العهد ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن آخر وطأة الله وج » وهو الطائف ، وأراد بالوطأة الغزاة ها هنا ، وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : سميت وجا بوج بن عبد الحق من المالقي ، وقيل : من خزاعة ، وقد ذكر خبر وج مستقصى في معجم البلدان على ذكر الطائف ، وقال أبو الصلت والد أمية يصف وادي وج ^(١) :

وج

- نحن المبتون في وج على شرف تلقى لنا شفعا فيه وأركانا
إنا لنحن نسوق العير آونةً بنسوة شُمت يزجين ولدانا

(١) معجم البلدان ٨ / ٤٠٠

وما وأدنا حذار الهزل من ولد
ويا نعا من صنوف الكرم عنجدنا
قد اذهأمت وأمت ماؤها غدق
إلى خضارم مثل الليل متجنا
فيها كواكب مثلج مناهلها
ومقربات صفون بين أرحلنا

وقال عروة بن حزام :

أحقاً يا حمامة بطن وج
غلبتك بالبكاء لأن ليلى
وأنى إن بكيت بكيت حقاً
فلمست وإن بكيت أشد شوقاً
فنوحى يا حمامة بطن وج

وقال كعب بن مالك الأنصاري :

قضينا من تهامة كل إرب
نائلها ، ولو نطق لقلت
فلمست لملك إن لم نزركم
ونتزع العروش عروش وج
بخير ثم أغمدنا الشبوا
قواطع دوسا أو ثقيفا
بساحة داركم منا ألوفا
وتصبح دوركم منا خلوفا

وفي وادي وج أحاديث كثيرة ، منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن وادي وج حرام ، لا يُعصد شجره ، ولا يقتل صيده » وهذا حديث لم تثبت صحته .

أبو قبيس : هو الجبل المشهور المطّل على الكعبة ، قيل : إنه سمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى به قبة ، قال أبو المنذر هشام : أبو قبيس الجبل الذي بمكة ، أول من كناه بهذا الاسم آدم عليه السلام حين اقتبس منه هذه النار التي في أيدي الناس إلى اليوم من مَرَحَتَيْنِ نزلتا على أبي قبيس من السماء فاحتككتا فأورتا ناراً ، فاقبس منها آدم ، فذلك مَرَحٌ إذا حك أحده بالآخر خرجت منه نار ، وكان في الجاهلية يسمى الأمين ؛ لأن الركن كان مستودعاً فيه أيام الطوفان ، وهو طرف أحد الأخشين ، والروايات في ذلك كثيرة ، قال عمرو بن حسان أحد بني الحارث بن همام ، وذكر الملوك الماضية :

ألا يا أم قيس لا تلومي وأبقى إنما ذا الناسُ هامُ
أجدك هل رأيت أبا قيس أطل حياه النعم الركام
وكسرى إذ تقسمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحم
تمخضت المنون له بيوم أنى ، ولكل حاملة تمام
وهو باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الجبل المعروف الآن بمكة .

* * *

٦٠ — وقال النابغة :

إنا أناس طالِبُونَ لِإِثَارِنَا فَالْحَقْ بِأَرْضِكَ خَارِجَ بَنِ سِنَانِ
لَا أَعْرِفُ شَيْخًا يَجْرُؤُ بِرِجْلِهِ بَيْنَ الْكَثِيبِ وَأَبْرِقِ الْخَنَانِ

أبرق الخنان : لا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو متاخم لمائة الصخرة ، يقع في الجهة الشمالية منها ، بينها وبينه أقل من نصف يوم ، والصخرة قد مضى الكلام عليها ، وهو منقطع من كتيب الصخرة ، قال في معجم البلدان ^(١) : هو مائة لبني فزارة ، فأما المائة فهي مائة الصخرة المعروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فأما أبرق الخنان فهو كتيب مرتكم ، إذا ارتكمت رماله وتساقت بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حنين ، ولا يزال الناس يسمعون ذلك إلى هذا العهد ، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه إلى أسفله ، وفي رواية صاحب معجم البلدان : قالوا ^(٢) سمى ذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فيقال : إن الجن فيه تحنُّ إلى مَنْ قفل عن ذلك المنهل ، هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : إنا نبئت تحت هذا الكتيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجرس ، ولانستك أنها أصوات الرمال إذا تهايل بعضها على بعض ، قال كثير ^(٣) :

لمن الديار بأبرق الخنان فالبرق فالهضبات من أدمان
أقوت منازلها وغيَّرَ رُثْمَهَا بعد الأيس تعاقبُ الأزمان
فوقفت فيها صاحبي وما بها يا عزم من نعم ولا إنسان

ولا أعرف في نجد كتيباً له حنين وأصوات إلا هذا الكتيب الذي في هذا الموضع ، أعرف أكتبة مرتكبة في الجنوبي الغربي من ثادق وهي أكتبة ارتكمت بعضها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكام وسار قليلاً قليلاً وترك مدينة ثادق على شماله وهو يمشی وتناخه محلة من تلك المحلات

(١) انظر معجم البلدان ١ / ٧٦ .

يقال لها الشعبية مختلطة بمدينة ثادق ، فعزم أهل تلك القرية أن يحجزوا دونه ، واستصرخوا بأهل المدينة ، فلم يُجَدِ ذلك شيئا ، بل ردم مافيها ، ودَفَنَ القصور والنخيل ، واضطر أهلها إلى أن يرحلوا عنها ، ورأيتها بعد ذلك فإذا القصرُ الذى طوله خمس عشرة قامة إلى عشرين قامة ، لا يظهر منه غير شرفاته العالية ، وإذا النخلة السامقة فى الجولا ترى منها إلا أطراف جريدها ، وعلى الجملة فإن هذه القرية قد انطمست تحت الرمال ، وخرج يتبنى ويمشى قليلا قليلا فسلمت منه مدينة ثادق الواقعة فى مفيض العتق مما يلى بلد القصب تقع عن البكرات والغرابة جنوبا ، وقد سلم أهل تلك القرية من الرمال ، ومع هذا فإنك لا تسمع فيها أصواتا كالتى يتحدث الناسُ عنها فى أبرق الحنان ، ولا أشك أنها من الرمال وسقوط بعضها على بعض .

* * *

٦١ - وقال النابغة :

لِسُمْدَى بِسْرِعٍ فَأَلْبِحَارِ مَسَاكِينُ فَفَارُ تَفَفَّتْهَا شَمَالُ فَدَاجِنُ

سرع - وقع اختلاف فى هذا اللفظ ، فبينما تجده فى هذه القصيدة فى نسخة ديوان النابغة التى جمعها الشيخ عبد الرحمن سلام بالسين المهمة ، إذا أنت تجده فى مراجع أخرى منها معجم البلدان لياقوت بالشين المعجمة ، وقد وجدنا سرعا بضم السين والراء المهملتين فى كلام ابن مقبل ، وهو من شعراء نجد المشهورين ^(١) :

فَالْتِ سُمَيْمَى بِبَطْنِ الْقَاعِ مِنْ سُرْعٍ لَا حَيْرَ فِي الْمَرْءِ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ
وأما « شرع » فقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، قال بشامة بن الغدير ^(٢) :

مَنْ الدِّيارِ عَفْوَنَ بِالْجَزْعِ بِاللَّوْمِ بَيْنَ بُحَارٍ فَالْشَّرْعِ

وأنت تجد الشرع قد قرن ببچار فى بيت بشامة هذا ، كما قرن به فى بيت النابغة الذى أثناه وأنا لا أعرف ذلك الموضع بهذا الاسم فى هذا العهد ، إلا أن يكون « الشارعة » التى هى ماء قريب صفينة .

أما بچار : فهو وادٍ معروف ، يقسم جبل النير نصفين من غريبه إلى شرقيه ، جميع أودية النير التى تتجه إلى جهة الشرق تصب فى وادى بچار ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهذا اسمه فى الجاهلية والإسلام ، قال الفر بن تولب ^(٣) :

وَكُنْهَا دَقَرَى تَحِيلُ نَبْتَهَا أَنْفُ يَغْمُ الضَّالُّ نَبْتَ بَحَارِهَا

(١) انظر معجم البلدان ٧٠ / ٥ (٢) معجم البلدان ٢٥٢ / ٥ واستشهد له أيضا بيت النابغة وجعله بالمعجمة . (٣) معجم البلدان ٦٤ / ٢ وما بعدها إلى آخر هذا البحث

الدقري : الروضة الكثيرة للماء والنّدى ، وقال النابغة الجدي في يوم شغب جيلة وهذا الوادي ليس بالبعيد عن جيلة :

ونحن حَبَسْنَا الحَيَّ عِسا وعامرا مَحَبَّانَ وابنِ الجونِ إذ قيل أقبلا^(١)
وقد صعدت عن ذى بحار نساؤهم كإصعادِ نَسْرِ لا يرومون منزلا
عَطَفْنَا لهم عَطْفَ الضُّرُوسِ فصادفوا من الهَضْبَةِ الحراءِ عِزًّا ومعتلا

يعنى بالهضبة الحراء شعب جبلة ، وهو معدود من بلاد بنى عامر بن صعصعة ، وتختص به بنو عمرو بن كلاب ، قال شاعر منهم :

عَفَا ذو بحار من أميمة فَالْهَضْبُ وأقفر إلا أن يُلِمَّ به الركب
وقال بشر بن أبى خازم :

لللى على بعد المزار تذكُّر ومن دون لىلى ذو بحار فنور

منور فى قول بشر بن أبى خازم إما أن يكون قد عنى به النير ، وألجأته الضرورة ، أو يكون جبلا يقال له « منور » وقد درس ذكره اليوم ، وبحار الواقع فى عالية نجد جميع سيوله تأتى مع الوادى الذى يقال له « طينان » المعترض فى طريق نجد بين مكة والرياض ، بين جبيلات ذريع وماء القاعية ، وهناك فى بلاد بنى سليم جبل يقال له « بُحَار » وهو الذى يقول فيه البريق الهذلى :
وَمَرَّ عَلَى القرائن من بُحَار فكاد الوَبْلُ لا يُثَبِّقُ بُحَارَا

وهناك بين بلاد بنى سليم وبلاد غطفان هضبات يقال لهن « القرائن » إلى هذا العهد ، وأما الواقع فى جبل النير فهو باقٍ على اسمه إلى هذا العهد .

* * *

٦٢ — وقال النابغة :

كَأَنَّ حُدُوجَهَا فِي الآلِ ظُهُرًا إِذَا أَفْرَغْنَ مِنْ نَشْرِ سَفِينٍ
أَوِ النَّخْلَاتُ مِنْ جَبَّارِ قَرْحٍ تُرَبِّيهُنَّ يَعْجُوبُ مَعِينٍ
قَطَنُ الدَّارِ نَمَفَ عُرْيَتَيْنِ فَجَزَعُ أَرِيكَ فَانْتَقَلَ الْقَطِينُ

قريح^(٢) هو موضع فى سيف القطيف من ديار هجر يقال له « القراح » وهو الذى قال فيه جرير :
ظلعائن لم يَدِنَّ مع النصارى ولم يدرين ما سَمَكُ القُراحِ

(١) فى معجم البلدان « بحسان وأبى الجون » ولا يستقيم عليه الوزن

(٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٤٠

فمن كان من أهل تلك الناحية يقال له « قُرَاحِيٌّ » كما قال أبو عمرو في قول الشاعر :

* وَأَنْتَ قُرَاحِيٌّ بِسَيْفِ السَّكَاظِمِ *

وتلك الناحية معروفة بجودة النخل ، وقد سمعت في بيت النابغة الذي يقوله في صفة النخلة :

* بُرَاخِيَّةٌ أَلُوتَ بَلِيفَ سَأْنِهَا * وقد مررنا على هذا البيت في كتابنا هذا ، وأوردنا الشواهد على بُرَاخِيَّةٍ ، وأعرف موضعاً في بلاد العرب في جبل اليمامة مما يلي وادي سدير يتفرع منه واديان : أما أحدهما فهو وادي المشقر ، الذي يصب سيّله عند الجمعة وقراها وبلد حرمة ، وهذه الناحية معروفة بجودة النخل أيضاً ، وأما الوادي الثاني فإنه يصب عند بلد الحريق ، ويتجه إلى بلد القصب ، ويشرب من هذا الوادي نخيل البلدين وزروعهما ، وفروع الواديين يقال لها « القرح » وأما لفظة القراح فكثير في بلاد العرب وفي جهة بغداد ، وأما القراح المذكور فهو باقي بهذا الاسم إلى هذا العهد أما عريّنتان فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا .

عريّنتان

* * *

٦٣ — وقال النابغة :

رَبَاغِيَّةٌ أَضَرَّ بِهَا رَبَاعُ بِذَاتِ الْجُرُجِ مَسْحَاجُ شُنُونُ
تَرَبَّعَتِ الشَّهَاقُ سَجَانِيْنُهُ وَلَا قَاهَا مِنَ الصَّمَانِ عُونُ
نَهَزَنَ الْبَقْلَ بِالْفَيْعَانِ حَتَّى تَعَالَى النَّبْتُ وَالْتَقَّتِ الْبُطُونُ

شهاق : موضع ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد ، ولم أره في أشعار العرب إلا في هذا البيت من كلام النابغة ، ولكنك تجد قرنه بالصمان ، فلا بد أن يكون من الصمان أو من نواحيه فاما الصمان فقد مضى الكلام عليه .

* * *

٦٤ — وقال النابغة :

وَقَالَ الشَّامِتُونَ هَوَى زِيَادُ لِكُلِّ مَنِيَّةٍ سَبَبٌ مُبِينُ
حَلَفْتُ عَمَّا تَسَاقُ لَهُ الْهَدَايَا عَلَى التَّأْوِيبِ يَعْصُمُهَا الدَّرِينُ
بِرَبِّ الرَّاكِضَاتِ بِكُلِّ سَهَبٍ بِشُمْتِ الْقَوْمِ مَوْعِدُهَا الْحُجُونُ

الحجّون : هو الجبل المعروف في أعلى مكة ، لا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذي يقول فيه مُضَاضُ بْنُ عَمْرِو الْجُرْهُمِيِّ :

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجَّونَ إِلَى الصَّفَا أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَازَالَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْمَوَاتِرُ
وهذا الجبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وبه اليوم تَلْفِيَةٌ يسلك فيها السائر بين
المعبدة وجرول ، وتقع مقابر أهل مكة القديمة والحديثة في منتصف هذا الطريق .

اتمى بنا القول على المواضع الواقعة في شعر النابغة الذبياني ونأخذ ، بعده - إن شاء الله - في
القول على المواضع الواقعة في قصيدة عبيد بن الأبرص الممدودة في جملة المعلقات ، نسأله تعالى أن
يسددنا في القول والعمل ؛ إنه ولي ذلك .

١٠

عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِيُّ

عبيد بن الأبرص

هو عبيد بن الأبرص ، ينتهي نسبه إلى أسد بن خزيمة ، وهو من لحول شعراء مضر في الجاهلية ، واشتهر بعدم إقامته وزن الشعر حتى قال أبو العلاء المعري في إحدى لزومياته :
وقد يُخطئ الرأى امرؤ وهو حازمٌ كما اختلَّ في وزن القريض عبيدُ
وقد هلك عبيد بن الأبرص في سنة ١٧ قبل الهجرة (٦٠٥ من الميلاد) وسنورد في هذا المكان من كتابنا المواضع التي وردت في قصيدته المعتمدة عند بعض العلماء من التعليقات .

* * *

١ — قال عبيد بن الأبرص :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ فَالذَّنُوبُ
فَرَاكِسٌ فَتُمَيْلَاتُ فَذَاتُ فِرْقَيْنِ فَالْقَلِيبُ
فَعَرْدَةٌ فَفَقَا حَبْرٌ لَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبُ
وَبَدَلْتُ مِنْهُمْ وَحُوشًا وَغَيَّرْتُ حَالَهَا الْخَطُوبُ

ملحوب : معروف في الجاهلية بهذا الاسم ، ومعروف موقعه ، وقد أكثر الشعراء من ذكره منهم ليبيد بن ربيعة العامري حين قال : * وصاحب ملحوب فجئنا بموته - إلخ * وقد ذكرنا هذا الشطر فيما مضى ، وصاحب ملحوب الذي أشار إليه ليبيد هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد مات بمحلوب .

ملحوب

وقال عامر بن عمرو الحنصلي ثم المكارى^(١) :

بَسْمَلَةٌ دَارَ غَيْرَتِهَا الْأَعَاصِرُ تَرَاوَحَهَا وَالْعَادِيَاتُ الْبَوَاكِرُ
قَطَارٌ وَأَرْوَاحٌ فَاضَتْ كَأَنَّهَا صَحَائِفُ يَتْلُوهَا بِمَلْحُوبٍ وَابِرُ
وَأَقْفَرَتْ الْقَبْلَاءُ وَالرَّسُ مِنْهُمْ وَأَوْحَشَ مِنْهُمْ يَثْقُبُ فَقَرَارُ

قال في معجم^(١) البلدان : قال الكلبي عن الشرق : سمي ملحوب ومليحيب بابني تريم ابن مهيبي بن عردم بن طسم ، فأما تلك الأسماء فقد تغيرت ودرست وليس لها اليوم ذكر .

أما ملحوب فهو يعرف اليوم بمكحول ، ومليحيب يعرف اليوم بالعظيم - بصفة التصغير - وهما في بلاد بني أسد ، أما مكحول فهو منهل عظيم كثير الماء ، والعظيم : جليل على سطح وادٍ

(١) معجم البلدان ١٤٨/٨ ، وفيه « والعاديات البواتر » تحريف ما أثبتناه .

به منهل ، وقد تحول الاسمُ اليومَ لهذا المنهل ، وبين المنهلين أقل من نصف يوم ، يقعان في شرفي سميراء ، على مسافة أكثر من يوم ، وجبل حبش المعروف بهذا الاسم واقع بين سميراء ومكحول ، وهذه من مناهل بني أسد ، متصل بعضها ببعض : العظيم ، ومكحول ، والجُرثمى وهو المنهل الذي ذكره زهير بن أبي سلمى في قوله :

تبصر خللى هل ترى من ظمائن تحمّلن بالعلاء من فوق جرّهم

القطبيات : ذكر أهل اللغة وأصحاب المعاجم ^(١) أن القطبيات ، أو القطبية ، في جبل سِوَاَج أو قريب منه ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم في هذا العهد ، ولكني أعرف في عالية نجد الجنوبية ثلاث هضبات حمريقال لها : « الحصيات » وهناك ملازم مياه قريب جبل الينوفى يقال لها : « الرقيات » فهذا الذى أعرفه مقار باللفظ القطبيات .

الدنوب أما الدنوب فهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي جيبيلات صغار يقال لها « الدنائب » وهي متفرقة قريب ست أكلات ، جمعها الدنائب ، ومفردها الدنوب ، والدنيبة والدنيبة مصغرها ، قال صاحب معجم البلدان على ذكر الدنائب : هي جمع ^(٢) أذنية ، وأذنية : جمع دنوب ، وهي الدلو الملائى ماء ، وقيل : القريبة من الملائى ، وهي ثلاث هضبات بنجد ، قل : وهي عن يسار فلجة لمصعد إلى مكة ، وفي شرح قول كثير :

أمن آل ليل دمنّة بالدنائب إلى ليث من ريعان ذات نظارب

الدنائب : في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة ، والنظارب : الطريق الصغار .

يَبُوحُ بِأَطْرَافِ الْأَجْدَةِ رَسْمُهَا بِذِي سَلَمَ أَطْلَاهَا كَالْبُدَاهِبِ

ذو سلم : واد ينحدر على الدنائب ، وبها قبر كُتَيْبِ بْنِ وَائِلٍ ، قل مهبل أخوه يرثيه :

أَلَيْتَنَّا بِذِي حُسْمٍ أَنْبَرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرَى

فإن يك بالدنائب طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير

فلو نَدِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلِيبٍ فَيُخْبِرُ بِالْدَنَائِبِ أَيْ زِيرِ

يوم الشعثمين أقرّ عينا وكيف لقاء من تحت القبور

وأنى قد تركت بواردات يُجَيِّرَا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ

فولوا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تفرّع بالدكور

وقال أبو زيد : الدنائب من الحمى حمى ضمرية في غربي الحمى ، والله أعلم .

(١) انظر معجم البلدان ١٧١/٧ فلم يزد على أنه اسم جبل (٢) معجم البلدان ١٩٧/٤

وقال بشر بن أبي خازم :

أى المنازل بعد الحىَّ تَعْتَرِفُ أم هل صباك وقد حكمت مُطَرَفُ
كأنها بعد عهد العاهدين بها بين الذنوب وحَزْمى واهبُ مُحَفُ

أما حزمًا واهب فهما معروفان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، بين الذنوب وبين الحرب والاساسة
وعندها ملزم ماء يسمى « خفق واهب » وما حوله من السفين مضاف إليه ، وهو معروف بهذا
الاسم إلى هذا العهد .

والذنائب باقية بأسمائها إلى هذا العهد ، إذا كنت على ماءة الخضارة على الطريق بين مكة
والرياض فالتفت على شمالك وأنت مشرق فإنك ترى جيالات الذنائب هناك ، ينقطع جذيب
الخضارة في جهته الشمالية قريباً منها ، والجذيب هو الذى يسمى اليوم « سمر الخضارة » وهو
جيالات سود متصل بعضها ببعض ، ذكروا فى أوائل القرن الرابع عشر أن امرأة من قبيلة الروقة
من ذوى عطية يقال لها « مرساء » وهى من شواعر النبط كانت مسافرة إلى مكة مع قومها
للاختيار ، فسمعت منادياً ينادى ، وهو طوراً يقول « لبن ، لبن » وتارة يقول « حليب ، حليب »
فنادته وقالت : ما تقول ؟ قال : أبيع حليباً ، فقالت له : أين حليبك ؟ فرفع لها السطل ، فالتفتت
إليه وقالت : الحليب ليس فى سَطْلِكَ ، بل الحليب عند خونان بن عقيل^(١) فى الدعيكة ، ثم
اندفعت تقول أبيتا نبطية مها :

يالى اتنادى باللبن ما لنا فيه أبأ ذكره وإن كنت للذَّربِ غاوى
خشم الينوفى والحوم بارك فيه وسيحان والبرة وعبله ملاوى
ووادى الجرير إلى حدر من علاويه وخشم الذنيبة والجذيب متساوى

الينوفى ، والحوم ، وسيحان ، والبرة ، وعبله ملاوى : جميعُ هذه المواضع المذكورة فى
الموضع الذى كان يسمى فى الجاهلية المطلق ، ويسمى اليوم العبله ، وبعضها فى حمى سجا الذى حماه
صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود لمواشيه فأما الذنيبة فهى التى كنا فى
نذكرها ، والجذيب هو جذيب الخضارة ، ووادى الجرير معروف عند عامة أهل نجد ، وقد مضى
الكلام عليه ، وهو الذى كان يقال له فى الجاهلية « الجريب » وهو أعظم واد من الأودية التى
تصب فى الرمة ، قالت العرب على لسان الرمة^(٢) :

(١) خونان بن عقيل من رؤساء عتية من الدعاجين ، صاحب إبل كثيرة ، والدعيكة موضع صالح
لرعى الإبل فى حمى سجا ، النبل العروف فى عالية نجد ، يقع فى نصف الطريق بين مكة والرياض .

(٢) انظر معجم البلدان ٩١/٣

كل بنى فإنه يحسنى إلا الجريب إنه يروى
وهو من أصلح البلاد لرعى الإبل ، قال الشاعر :

سيكفك بعد الله يا أم عاصم بحاليج مثل الهضب مصبورة صبرا
عوادئ من حمض الجريب ، وتارة تعاتب منه خلة جارة جأرا
وقال عمرو بن شاس الكندى :

قلت لهم إن الجريب وراكسا به إبل ترعى المزار رناع
وقال المهدي بن الملوخ :

إذا الريح من نحو الجريب تنسمت وجدت لريّاها على كبدى بردا
على كبدٍ قد كاد يُبدى بها الجوى ندوباً ، وبعض القوم يحسنى جلدًا
أما سيول الذنائب وما حولها فأما ما كان منها يتجه إلى جهة الشرق فإنه يصب في وادى
الجريب المعروف بوادى الجرير اليوم ، وما كان منها يتجه إلى جهة الغرب فإن سيوله تجتمع حتى
تصب في الشعبة التى تتجه إلى المدينة ، وقد مضى الكلام عليها .

ووادى الجريب من أصلح بلاد الله لرعى الإبل ، ويقتل عنده قبائل العرب من أجل الكلاء
وقد قتل فى ذلك الوادى من رؤساء عتبية عدد كثير : منهم تركى بن حميد أكبر رئيس فى عتبية فى
زمانه ، قتله الشريف أحد بنى عبد الله بن غطفان ، ثم من بعده ابن عمه سلطان بن هندی بن حميد
وهو من أكبر الرؤساء فى زمانه ، وقتل فى ذلك الوادى زايد بن محيا رئيس الحناتيش من الروقة ،
وقتل بعده ابن عمه فلاح بن محيا ، وقتل فى ذلك الوادى أيضاً شليل بن نجم ، ومارق الضيط قتلته
حرب ، وهو رئيس العضيان من الروقة ، وغزا بعد ذلك ابنه بدر بن مارق ليأخذ ثار أبيه فألحقته
حرب بأبيه ، وقتل فى ذلك الوادى جدى بن زريبة قتله دواس أحد الفيادين ، وهم بطن من حرب ، وقد
وقعت على أثر هذه القتل حروب كثيرة . وأما القتلى الذين ليسوا برؤساء فهم كثيرون فى هذا الوادى .
راكس : سنان متصل به أبرق فى أسفل وادى بلغة قريب الجبل المشهور الذى يقال له
عاج ، وهو فى بلاد غطفان ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا .

ثعلبات ، لا يزال معروفًا إلى اليوم ، وقد صار اسمه « الثعلبي » وهو من مناهل الجبلين أجأ
وسلى أو قريب منها ، وهو غير الثعلبية التى فى طريق حاج البصرة ، وفى ثعلبات يقول بعض
شعراء الجاهلية ^(١) :

أجْدُكَ نَنْ تَرَى بِعَيْنَيْكَ وَلَا بِيَدَانِ نَاجِيَةً ذَمُولَا

وَلَا مِتْلَاقِيَا وَالشَّمْسُ طَفَلٌ بِيَعِضِ نَوَاشِغِ الْوَادِي حَمُولَا

ذات فرقين : هو جبل له رأسان ، إذا كنتَ في « نفى » تراه بعينك ، وقد مضى الكلام عليه

في كتابنا هذا ، وعامة أهل نجد يعرفونه باسم « فرقين » قال شاعر نبطي :

الرَّكَايِبُ وَطَنُ فَرْقَيْنِ وَالْفَضَى مَدَهْلُهُ حَرَمُهُ

عَقِبَكُمْ يَا مَقَرَّ الزَّيْنِ عُرْوَةُ الْقَلْبِ مَنْصَرَمُهُ

القلب : قد مضى الكلام على هذا الموضع ، وهو معروف بهضب القلب ، وعبيد ترك كلمة

الحضب للضرورة واكتفى بالقلب ، وهو معروف مقابل لطرف كشب الشمالى .

عردة : باقية بهذا الاسم ، إلا أنها أبدلت هاؤها نونا ، فيعرف هذا الموضع اليوم عند عامة أهل

نجد بعردان ، وهو أبرق بين ظلم وأجله ، وبه حجارة ورمال ، وهو الذى يقول فيه طهمان^(١)

صَعَلَا تَذْكُرُ بِالسَّاءِ وَعَرْدَةُ غَلَسَ الظَّلَامُ فَأَبْهَنَ رَنَالَا

يَا وَجِجَ مَا يَفْرِى كَأَنَّ هَوِيَّةً مَرِيخَ أَعْسَرَ أَفْرَطَ الْإِرْسَالَا

وقال عبد بن معرض الأسدى :

لَمَنْ طَالَلْ بَعْرَدَةَ لَا يَبِيدُ خَلَا وَمَضَى لَهُ زَمَنٌ بَعِيدُ

والسفاء الذى قرنه طهمان بعردة هو « سفوات » المعروفة اليوم بهذا الاسم ، وسفوات وعردان

معروفان عند عامة أهل نجد بهذين الاسمين اليوم ، وهما فى شمالى المطلق ، ومن حدود حمى سجا ، فى

الجهة الغربية منه .

قفا حبر : حبر : جبل أسود معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع فى عالية نجد فى الجهة

الشمالية منها ، إذا خرجت من ماء الدفينة قاصداً عفيفاً ، وكنت بين ماء الدفينة وماء الخضارة ،

وأنت إلى ماء الدفينة أقرب ، فالتفت صَوْبَ يَمِينِكَ فَإِنَّكَ تَرَى رَأْسَ عَرْدَانَ الَّذِى ذَكَرَهُ عَبِيدُ

معلته باسم « عردة » ثم التفت صوب شمالك فَإِنَّكَ تَرَى رَأْسَ حَبْرٍ ، وَأَنْتَ فِى مَكَانٍ وَاحِدٍ ، وَالْمَوْضِعَانِ

مُتَقَابِلَانِ ، وَبَيْنَهُمَا الطَّرِيقُ النَّجْدِيُّ النَّافِذُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الرِّيَاضِ ، وَحَبْرٌ كَمَا قُلْنَا لَمْ يَتَغَيَّرْ اسْمُهُ إِلَى

هَذَا الْيَوْمِ مِنَ الْعَهْدِ الْجَاهِلِيِّ ، وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهِ ، قَالَ الْقَعْمَسِيُّ وَهُوَ يَرْتِى أَخَاهُ بَدْرًا^(٢)

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْأَحَادِيثَ وَالْمَتَى وَطَيَّرَا جَرَّتْ بَيْنَ السَّعَافَاتِ وَالْحَبْرِ

(١) معجم البلدان ٦ / ١٤٢ (٢) معجم البلدان ٣ / ٢٠٨ والذى فى شعر المرار بكسر الحاء

وسكون الباء ، والذى فى بيت ابن مقبل بكسرتين فراء مشددة كالذى فى بيت عبيد وجعلهما ياقوت موضعين

وقاتل تثریب العیافة بعد ما زجرتُ فما أغنى اعتیافی ولا زجری
وما للقفول بعد بدرٍ بشاشة ولا الحی یأتیهم ولا أوبة السفر
تذكرنی بدرا زعازع لزبة إذا أعصبت إحدى عشیاتها الغبر
وقال ابن مقبل :

سلي الدار من جنبي حبرٍ فواهب إلى ما ترى هضب القلب المضيق
والمضيق في قول ابن مقبل « هضب القلب المضيق » معطوف على القلب ، لأن بين المضيق
وهضب القلب مسافة ثلاثة أيام أو أربعة ، والمضيق باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد .
والمواضع الذي ذكرها عبيد : خبر ، وعردة ، والدنوب ، والقلب ، هذه يرى بعضها من
بعض ، وهي باقية إلى هذا العهد بما ذكرنا من الأسماء ، وملحوب ، وراكس ، وذات فرقين :
لا يبعد بعضها عن بعض ، وأما القطيبات فلا أعلم موقعها .

* * *

٢ — وقال عبيد بن الأبرص :

أخلف ما بازلاً سدوسها لاحقة هي ولا نيوب
عبرانة مؤجدة فقاارها كأن حاركها كئيب
كأنها من حمير غاب جون بصفحته ندوب^(١)

إلى أن قال :

كأنها اقوة طلوب تحير في وكرها القلوب
باتت على إرم عذوبا كأنها شينة رقوب

غاب : لا أعرف موضعاً في بلاد العرب يقال له غاب ، ولكني أعرف موضعاً يقال له « الغابة »
وهو موضع تجتمع فيه سيول وادي القصب ووادي الحريق المجاورين لجبل طويق .
إرم : هو - كما ذكره عبيد - مرقب في رأس جبل ، وكل مرقب يقال له « إرم » وليس
بموضع مخصوص .

(١) رواية التبريزي « كأنها من حمير غابات » والعانات : جمع عانة ، وهي الجماعة من حمير
الوحش ، وذكر الرواية الأخرى « من حمير غاب » ثم قال : « وغاب مكان » . والجون : الأيض ،
وهو الأسود أيضاً ، ضد ، واندوب : جمع ندب - بالفتح - وهو الجرح .
(١١ - صحيح الأخبار ٢)

القسم الثاني

من الكتاب

في ذكر أماكن وردت في غير المعلقات لشعراء مختلفين

١ — قال عمرو بن كلثوم يهجو النعمان بن المنذر ويعبره بأمه :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَنْبَتِ بَعْدَ فِرْتَاكِ وَقَدْ تَكُونُ قَدِيمًا فِي بَنِي نَاجِ
إِذَا لَا تُرَجَّى سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَهَا مَنْ بِالْخَوَزَنْجِ مِنْ قَيْنٍ وَلَسَاجِ
وَأَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِهَا حُرُوسُ وَلَا تُكْفَفُ قُبُطِيًّا بِدِيَالِجِ^(١)
تَعْنِي بِمِذْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ مَشَى الْمُقَيْدِ فِي الْيَنْبُوتِ وَالْحَاجِ

فرتاج

أما فِرْتَاكِ الذي ذكره عمرو بن كلثوم فكأنى أراه ، هضبات بها ماء يقال لها « فرتاج » إلى هذا العهد : فرتاج ، والغيار ، والقعاء ، جميع هذه الهضبات بها مياه ، وهي من هضبات سميراء لا تبعد عنها أكثر من نصف يوم ، وفرتاج في الجهة الغربية منها ، قال زيد الخيل الطائي^(٢) :

فَلَوْ أَنَّ نَصْرًا أَصْلَحَتْ ذَاتَ بَيْنَهَا لَصَجَّتْ رَوِيْدًا عَنْ مَطَالِبِهَا عَمْرُو
وَلَكِنْ نَصْرًا أَدْمَنْتْ وَتَخَاذَلَتْ وَقَالُوا : عَمْرُنَا مِنْ مَحَبَّتِنَا الْقَفْرِ
فَإِنْ تَمْنَعُوا فِرْتَاكِ فَالْفَعْرَ مِنْهُمْ فَإِنْ لَمْ يَأْبِ جَرِثُمُ وَالْفَعْرَ
وفي كلام زيد الخيل وهو مخضرم ذكر فرتاج والفعر وجرثم الذي ذكره زهير ، وهذه المواضع الثلاثة يرى بعضها من بعض : فرتاج ، والغيار ، والجرنمي ، وقال الراعي النميري يذكر فرتاجا^(٣) :

مَا زَالَ يَفْتَحُ أَبْوَابًا وَيُفْلِقُهَا دُونِي وَأَفْتَحَ أَبَا بَعْدَ إِرْتَاكِ
حَتَّى أَضَاءَ سِرَاجَ دُونَهُ بِقَرِّ حَوْرُ الْعَيُونِ مِلَاحَ طَرْفُهَا سَاجِ
يَكْشُرْنَ لِلْهَوِّ وَاللذَاتِ عَنْ بَرْدِ تَكْشُفُ الْبَرْقِ عَنْ ذِي لَجَةِ دَاجِ
كَأَنَّمَا نَظَرْتُ دُونِي بِأَعْيُنِهَا عَيْنُ الصَّرِيْمَةِ أَوْ غَزْلَانُ فِرْتَاكِ
وقال رجل من عُذْرَةَ :

بِفِرْتَاكِ مِنْ أَرْضِ الْخَلِيفَيْنِ أَرَقَّتْ جَنْبُوبٌ وَلَا لَاحَ السَّمَاءِ وَلَا النَّسْرِ
وَمِنْ دُونِ مَسْرَاهَا الَّذِي طَرَقَتْ بِهِ شَمَارِجُ مِنْ رِيَانٍ يَرَوِي بِهَا الْفَعْرَ^(٤)
وهذا الشاعر العذري ذكر فرتاجا والغيار وكان يسمى الفعر في الزمن القديم .

* * *

(١) هذه رواية ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦ ووقع في بعض الأصول :

* كما تلفف قبطنى بديباح *

(٢) معجم البلدان ٦/٣٥٤ وفيه في ثالثها « ما بين جرثم والفعر » (٣) المعجم في الموضع نفسه

(٤) في معجم البلدان « الفعر » وفسره فقال « الفعر : ولد الأروية ، والجمع غفرة وأغفار »

٢ — وقال لبيد بن ربيعة العامري^(١) :

لَهْنَدٍ بِأَعْلَى ذِي الْأَغَرِ رُسُومٌ إِلَى أَحَدِ كَأَنَّهُنَّ وَشُومٌ
فَوْقَ فُسْلَى فَأَكْنَفِ ضَلْفِجٍ تَرْبَعٌ فِيهِ تَارَةٌ وَتَقِيمٌ
بِمَا قَدْ تَحُلُّ الْوَادِيَيْنِ كِلَيْهِمَا زَنَايِرُ مِنْهَا مَسْكَنٌ قَدُومٌ

في هذه الأبيات الثلاثة أربعة مواضع كلها باقية بأسمائها إلى هذا العهد ، وهي : سلى ، وضلفع ، وزناير ، وتدوم .

أما زناير فهي هَضَبَات على وادي رنية في المنتصف بين رنية وجرش الذي يقال له اليوم زناير « أبا الجرشي » يقع وادي رنية بينهما .

فأما سلى فهو جبل أسود ، ليس بالكبير ، على ضفة وادي رنية ، على جانبه الجنوبي مما يلي موضعاً يقال له « الخرقان » مزارع ، وهو حد المعمور من رنية من جهة الشرق ، وجبل سلى مجاور لذلك الموضع ، ووادي رنية يأتي بينهما : الخرقان على ضفته الشمالية ، وسلى على ضفته الجنوبية وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وضلفع : جبل يقع في الجهة الجنوبية من جبل سلى ، على مسافة نصف يوم ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يربيه السالك من نجد إلى بيشة ، وضلفع هذا في الجهة اليمانية من نجد ، وهو غير ضلفع الذي ذكره متم بن نويرة وهو يرثى أخاه مالكا حين قال^(٢) :

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ وَغِيثٌ يَسُحُّ أَمَاءَ حَتَّى تَرْبَعَا
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ذِهَابَ الْفَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
وَأَثَرَ سِيلِ الْوَادِيَيْنِ بِدَيْمَةٍ تَرْشَحُ وَشِمِيًّا مِنَ النَّبْتِ خِرْوَعَا
فَمَنْعَجِ الْأَجْنَابِ مِنْ حَوْلِ شَارِعٍ فَرَوَى جَنَابَ الْقَرِيَّتَيْنِ فَضْلَعَا
تَحِيَّتَهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَا وَأَمْسَى تَرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقَعَا

أما ضلفع الذي ذكره متم بن نويرة فهو الموضع الذي في أعلى القصيم ، يقال له في هذا العهد « الضلفعة » وذلك لأن مالك بن نويرة قتل في البطاح ، والبطاح من أودية الرس ، ودُفن في وادي الضلفعة المعروف بهذا الاسم اليوم ، ولكن أهل المعاجم الذين يوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها وما اختلف ، وضلفع الذي ذكره لبيد في شعره هو الذي يقول فيه

(١) البيتان الأولان في معجم البلدان ٥/١١٨ وفي ٨/٥٣٠ ، وثالثها وحده فيه ٢/٣٧٢ ، وثلاثها

مجتمعة في ٤/٤٠٦ (٢) معجم البلدان ٥/٤٣٩

جامع بن عمرو بن مُرخية^(١) :

بَدَتْ لِي وَلَتِيصِي صِهْوَةً ضَلَفَعُ عَلَى بَعْدِهَا مِثْلَ الْحَصَانِ الْمُحْجَلِ
وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد في تلك الناحية .

تدوم أما تدوم فهو جبل مُغَبَّر الجنبات ، ليس بالكبير ، يقع في الجهة الجنوبية من رنية ، على مسافة ساعة ، وهو الذي يقول فيه الراعي وقد غضب عليه مروان بن الحكم وتوعده ، فذهب إلى بلاد قومه ، وقال :

خُبِّرْتُ أَنَّ الْفَتَى مَرْوَانَ يُوعِدُنِي فَاسْتَنْقِ بَعْضَ وَعِيدِي أَيُّهَا الرَّجُلُ
وفي تدوم إذا اغْبَرَّتْ مَنَاقِبُهُ ودارة الكور عن مروان مُتَعَزِّلُ

سألت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم قاضي رنية في سنة ١٣٦٦ هـ عن تدوم ، قال : والله إنني إذا رأيته أذكر بيت الراعي الذي يقول فيه :

* وفي تدوم إذا اغْبَرَّتْ مَنَاقِبُهُ - البيت *

وأما الكور الذي ذكره الراعي فهو جبل عظيم أسود ، يطل على بلد رنية ، يقع في غربها ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ووادي رنية يقسم هذا الجبل نصفين ، وفيه نخل يقال له الأملح ، في وادي رنية في مقسم تلك الجبل ، وهذا المقسم كان يقال له في الجاهلية ثنية الكور ، وكان به يوم من أيام العرب بين بني عامر وبين اليمن ، وفي هذه الثنية التي تسمى اليوم الأملح كانت أيام وحروب في أوائل القرن الرابع عشر بين سبيع بين بريهة وبين الزكور ، والكور يقال له « ضلع الجامعة » والجامعة : بطن من سبيع ، والحروب التي وقعت بين بطنين عظيمين من سبيع : بين بريهة ، وهي التي تسكن جبل الكور والأملح ، والزكور ، وهم سكان رنية ، وبين الموضعين أقل من مسافة نصف يوم ، وأنا أعرف في بلاد العرب أربعة جبالٍ تعد من الجبال السود ، وكل جبل في ضفته الشرقية بلد : أحدها أبان الأسود ، وهو الشمالي من أبانين ، في ضفته الشرقية « النباهية » وبها قصور ونخيل ومزارع ، وثانيها جبل شعبي ، في شرقيه مسكة وضرية ، وهو جبل الحمى المشهور ، وثالثها جبل شعلان ، وفي ضفته الشرقية الشعراء ، وهي ذات قصور ومزارع ونخيل حديثة ، ورابعها جبل الكور الذي مر ذكره ، وفي ضفته الشرقية رنية ذات قصور ونخيل ومزارع . وهي لعقيل بن عامر ، وربما أن سبيع بطن من عقيل .

* * *

٣ — وقال الخطيئة ، وهو شاعر مخضرم ^(١) :

أَقَامُوا بِهَا حَتَّى أَبْنَتْ دِيَارَهُمْ عَلَى غَيْرِ دِينِ ضَارِبٍ بِحِرَانِ
عَوَاسٍ بَيْنَ الطَّلَحِ يَرْجَمُ بِالْقَنَا خُرُوجَ الظُّبَاءِ مِنْ حِرَاجِ قِطَانِ

قطان : وادٍ عظيم كثير الظباء ، سبله يأتي من جهة الجنوب إلى جهة الشمال ، أعلاه متناخم
نبريم الواقع في شرقي حضن ، ومتناخم لجبال الرحي ، يقطعه طريق السيارات بين ركبة وقصر
تمويه ، يصب سبله في الأرض السبخة التي تلي دغيبجة المنهل المعروف في جبل كشب ، وقد
حسن الخطيئة في ذكره الظباء ؛ فإن وادي قطان من أعلاه إلى أسفله مجمع للظباء ، ولا يزال معروفا
بسم قطان إلى هذا العهد .

* * *

٤ — وقال الأعشى ^(٢) :

لِمَنِ الدَّارُ تَعَفَّى رَسْمَهَا بِالْفَرَابَاتِ فَأَعْلَى الْعَرَمَةِ

العرمة ، والفَرَابَات : معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، قال رؤبة الراجز ^(٣) :

* وعارض العرق وأعناق العرم *

الفَرَابَات : هي جبال صفار سود في العتك ، بين القصب وثادق ، عند ما ينقسم جبل
نخامة هناك .

وأما العرمة : فهو جبل عظيم طرفه الجنوبي مما يلي السهلاء ، وفيه منهل وسيع ، ومنهل أبي جفان ،
ومناهل كثيرة : منها رماح وغيره ، ورماح هذا هو الذي يقول فيه جرير :

يَذْكُرُنِي فَوَادِي مِنْ هَوَاهُ ظُعَانٌ يَحْتَزَعْنَ عَلَى رِمَاحِ

وطرف العرمة الشمالي يعتقد في جبل مجزل ، وقد قال صاحب معجم البلدان عن مجزل : هو
جبل أوروقة ، ولكنني أعرف أنه جبل ، ولا يزال باقيا بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٥ — وقال الحارث بن عمرو الفزاري ^(٤) :

تَحَرَّمُ قُطَيَّاتٍ إِذَا الْبَالُ صَالِحٌ فَكَبْشَةُ مَعْرُوفٍ فَعُولًا فَقَادِمًا

قُطَيَّاتٍ : قد مضى الكلام عليها ، وغول كذلك .

وأما كبشة فهو اسم لواحد من كبشات ، وكبشات ثلاثة أجبل سود عظام ، إذا أفردت
كبشة

(١) معجم البلدان ١٢٠/٧ (٢) معجم البلدان ١٥٧/٦ و ٢٧٢ (٣) معجم البلدان ٢١٣/٧

أحدها قلت كبشة ، وإذا جمعت يقال لها كبشات ، وهي باقية على أسمائها إلى هذا العهد ، وهي لم تدخل في حمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودخلت في حمى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال الأصمعي : كبشات جبال في الحمى : كبشة بنى جعفر ، وكبشة لقيطة ، وهي لغنى ، وكبشة الضباب ، وهي حدود حمى عثمان ، بينها وبين بلد ضرية مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس .

* * *

٦ — وقال الخطيب لما حَبَّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ^(١) :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاجِ بَيْدِي مَرِيحٍ زُغَبِ الْخَوَاصِلِ لَأَمَاءٍ وَلَا شَجَرٍ
أَلْقَيْتَ كَأْسِيهِمْ فِي قَعْرِ سُطْلِمَةٍ فَأَغْفِرْ فِدَاكَ جَمِيعَ النَّاسِ يَا عُمَرُ

الموضع المشهور عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو واد يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الزلفي ، قريب روضة السبلة وقريب نفوف الضويحي ، وادٍ عظيم يقال له « مرخ » وهو الذي ذكره أبو وجزة في قوله :

مرخ

وَاخْتَلَّتِ الْجَوَّاءُ فَالْأَجْزَاعُ مِنْ مَرِخٍ فَمَا لَهَا مِنْ مَلَا حَاةٍ وَلَا طَلَبٍ

وبين المدينة وفدك واد عظيم يقال له « مرخ » وظنى أن هذا الوادى الحجازى هو الذى عناء الخطيب ؛ لأنه سجن فى المدينة ، وربما كانت فراخه قريبا منه .

* * *

٧ — وقال عروة بن الورد العبسى ^(٢) :

سَقَى سَلْمَى وَأَيْنَ مَحَلِّ سَلْمَى إِذَا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ
إِذَا حَلَّتْ بَارِضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلَكَ بَيْنَ إِمْرَةٍ وَكَبِيرِ
ذَكَرْتُ مَنَازِلَ مَنْ آلٍ وَهَبٍ مَحَلِّ الْحَيِّ أَسْفَلَ ذِي النِّعِيرِ

إمّرة : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، جبل صغير ، كانت به أبارق ، بين أبانين وخزاز وجبل كبير معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، من أجلة الخامر ، بين الشبيكة والرس ، لا يزال يطلق عليه جميع الناس اسم « كبير » .

إمّرة
كبير

* * *

٨ — وقال أبو زياد الكلابى ^(٣) :

أَرَاكَ إِلَى كُثْبَانٍ يَبْرِينَ صَبَّةً وَهَذَا لَعَمْرِي لَوْ قَنَعَتْ كَثِيبُ
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى إِلَى وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحِيبُ

يبرين : منهل كثير المياه ، به عيون ونخيل ، باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، في شرق الدهناء
مما يلي الخرج ، في الجهة الشرقية الجنوبية من الخرج ، وهو الذي يقول فيه جرير :
لما تذكرت بالديرين أرَّقني صوتُ الدجاج وضربُ بالنواقيس
فقلت للركب إذ جدَّ الرحيلُ بنا يا بُعدَ يَبْرِينَ من باب الفرديس
وهو من مياه بني تميم في الجاهلية ، ويسكنه الآن آل مرة .

* * *

٩ — وقال القحيف العقيلي ^(١) :

أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ شَعْبٍ مُرِيفٍ سَقَتِكَ الْغَوَادِي مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شَعْبٍ
سَقَتِكَ الْغَوَادِي رُبَّ جَوْدٍ غَزِيرَةٍ أَصَاخَتْ لِحْفُضٍ مِنْ عَنَانِكَ أَوْ نَصَبٍ
فَإِنْ يَرْتَحِلْ صَحْبِي بِحُثْمَانٍ أَعْظَمِي يَقُمْ قَلْبِي الْمَخْزُونُ فِي مَنْزِلِ الرُّكْبِ

مريفق : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو ماء عذب ، بل هو أعذب المياه التي في
جهته ، في شمالي الزيدى مما يلي الصخة ، وعليه شجرة أراك عظيمة ، معروفة بحسن المساويك ،
وقد وردت ذلك المنهل وأخذت مساويك من تلك الشجرة .

* * *

١٠ — وقال أبو ذؤيب الهذلي ^(٢) :

لَعَمْرُكَ مَا عَيْنَاءُ تَنْسَأُ شَادِنَا يَمِينُ لَهَا بِالْجَزْعِ مِنْ نَحْبِ النَّجْلِ

نحب : وادٍ من أودية الطائف ، وهو من الأودية العظام ، يقع جنوباً الطائف ، على طريق
الحجاز ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وأبو ذؤيب الهذلي من شعراء تلك الناحية ، وقال
شاعر من ثقيف :

حَتَّى سَمِعْتُ بِكُمْ وَدَعْتُمُ نَحْبَا مَا كَانَ هَذَا بِحَيْنِ النَّفَرِ مِنْ نَحْبِ

وهذا الوادي المسمى نحباً فيه أحجار لم أر مثلاً ، كبيرة الحجم جداً ، حتى إنك لترى الحجر
منفرداً ، وترى الحجر عليه حجر ثانٍ لا يقدر أن يضعه فوقه مئآت من الناس ، وعليه حجر ثالث
مثله ، رأيت جملة من الأحجار على هذه الصفة ، وهو بين وادي الطائف ووادي لثة ، وهو لقوم

(١) معجم البلدان ٤٢/٨ غير منسوبة (٢) المعجم ٢٧٣/٨ واللسان (ن خ ب)

(١٢ - صحيح الأخبار ٢)

يقال لهم وقدان ، هم أهل في هذا العهد ، وهم من العرب ، لكنهم ليسوا من ثقيف ولا من عتيبة على ما ظهر لي .

* * *

١١ — وقال عبدة بن الطيب ، وهو تميمي النسب وأسلم^(١) :

كأن ابنة الزيدى يوم لقيتها هنيذة مكحول المدامع مرشقة
تراعى خذولا ينفض المرء شادنا تنوش من الضال القذاف وتعلق
وقلت لها يوما بوادي مبايض ألا كل قان غير عانيك يعتق
بصادف يوما من ممالك سماحة فيأخذ عرض المال أو يتصدق
وذكرنيها بعد ما قد نسيتهما ديار علاها وابل متبعق
بأكناف شمات كأن رؤومها قضيم مناع في أديم منق

مبايض

مبايض : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان به يوم من أيام العرب بين تميم وبكر ، وكانت بنو بكر قد لجأت إلى وادي مبايض فتألبت بنو تميم فجاءت إلى بني بكر ، ورئيس بني حنظلة أبو الجداء ، ورئيس بني سعد بن زيد مناة فدكي ، ورئيس بني العنبر طريف ، ورئيس بني بكر هاني بن مسعود الشيباني ، فالتقوا في وادي مبايض ، فقتلوا قتلا شديداً ، وانهرمت بنو تميم ، وقتل طريف وهو فارس تميم على الإطلاق ، قتله حمصة بن جندل الشيباني . ومبايض في جبل مجزل مما يلي شمالي العرمة ، يقع شرقي وادي سدير ، سكنته في هذا العهد الأخير فييلتان من بريه : بطن من مطير ، وهم الهوامل والعفسة .

* * *

١٢ — قال شاعر من بني إنسان بن عمرو^(٢) :

أتينا بنو نصر ترح وطابها وخرقناها مسمومة للزود
إذا ما برثتم من بريم وأهله فردوا عكاظيا بكم للتصعد
فإني أرى أن المخاض أصابها بني عامر أهل التهدي ونهمد
سرت من جنون الليل عزفا فأصبحت بشعفين يا هذا بإدلاج أعبد
وقال ابن مقبل :

تأمل خليلي هل ترى ضوء بارق يمان مرثه ربيع نجد فقرا

(١) انظر معجم البلدان ٣٧٩/٧ (٢) انظرها وأبيات ابن مقبل في معجم البلدان ٢٧٥/٥

مرته الصَّبَا بِالْمَوُورِ غُورٌ تِهَامِيٌّ فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُنَّ شَعْفَيْنِ أَمَطُوا

بريم
شعفان

أما بريم فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد يقع شرق جبل حَضَن .
وأما شَعْفَانُ فهو جَبيلَانِ صغيران في قطعة من الأرض تسمى اليوم عند عامة أهل نجد
« الحزَم » واقعة بين المويه والحزمة ، وهما مختلفا الألوان ، يقال لأحدهما « شَعْفُ الْأَسْوَد » ويقال
لثاني « شَعْفُ الْأَعْفَر » والغفار : البياض ، والنسافة بينهما للسائر على قدميه ثلاث ساعات ، أحدهما
مقابل الآخر ، الأسمر مما يلي مغرب الشمس ، والأعفر مما يلي مطلعها ، وأما المثل السائر عند العرب
إلى هذا العهد « لَكُنْ شَعْفَيْنِ كُنْتَ جَدُودًا » فقد قال في معجم البلدان : إن أصل هذا المثل أن
عروة بن الورد وجد جارية بشعفين وقد أنحى عليها الزمان فأتى بها أهله ورباها ، حتى إذا سمعت
وبطنت بطرت ، فرآها يوما وهي تقول لجواركن يلاعنها وقد قامت على أربع « احلبوني
فإني خَلْفَةٌ » فقال لها عروة « لَكُنْ شَعْفَيْنِ كُنْتَ جَدُودًا » يضرب مثلاً لمن نشأ في ضرثم ترفع
عنه فبطر ، والجدود : هي التي انقطع لبنها ، وهذه لغة باقية إلى الآن ، وقد غلط صاحب معجم البلدان
في قوله « إن شعفين أكنتان بأنسى » والصحيح أنهما أكنتان بالحزَم ، وأما السى فهو القطعة من
الأرض الواقعة بين جبل كشب ووادي العقيق والذي فيه جبل بسان .

* * *

١٣ — وقال شاعر جاهلي اسمه عوف بن الخريص أحد بني الرباب (١) :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى عَرَفْتَ الدِّيَارَا يَجْنِبُ الشَّقِيقَ خِلَاءَ قَفَارَا
وَقَفْتُ بِهَا أَصْلًا مَا تَبِينَ لِسَائِلِهَا الْقَوْلَ إِلَّا سَرَارَا

وقال ابن مقبل :

خِيَاضُ ذِي بَقَرٍ ، فَحَزَمُ شَقِيقَةٍ قَفَرٌ ، وَقَدْ يَفْنِينُ غَيْرَ قَفَارِ

الشقيق : جمع شقيقة ، وهو كل ما غلظ من الأرض وانخفض بين كثيبين ، وتسميها عامة أهل
نجد اليوم « الخبة » وأعرف موضعاً في بلاد العرب باقياً بهذا الاسم الذي مر ذكره .
الشقيقة : قطعة من الرمال واقعة بين عنيزة والمذنب ، تقع في غربيهما ، يحدها شمالاً وادي
الرمة ، ويحدها جنوباً الخزما وخريمان التي تجتمع بها سيول أودية نجد الوسطى .
قال نصر بن زياد العقيلي :

مَرَّتْ حَوْلَهُمْ سَفْحَى شَبِيرَةٍ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ وَالْقَلْبُ مُسْتَلْ

قال في معجم البلدان : الشبيرة كأنها تصغير شبيرة ضرب من النبات ، وهو ماء للضباب

بالحمى حتى ضرية ، وأقول : شبيمة في خارج حدود الحمى الجنوبية .

١٤ — وقال حين بن جبلة الحارثي ، وهو شاعر جاهلي :

أَلَا إِنَّ جِيرَانَ الْمَشْيَةِ رَائِحٌ دَعَتْهُمْ دَوَاجٍ مِنْ هَوَى وَمَنَادِحُ
فَسَارُوا لِمَيْثٍ فِيهِ أَغَى وَغُرَبٌ فَدَوْ بِقَرٍ فَشَابَةٌ فَالذَّرَائِحُ

أغى وغرب : جبل قريب بعضهما من بعض ، في عالية نجد ، لا تزال بهذا الاسم إلى هذا العهد
أما غرب فهي جبال سود في طرف أجلة الحارث في جنوبها مما يلي عرق سبيع .

غرب

أغى

وأما أغى فيقال لها في هذا العهد « بنى غى » وهي سفان بين الحرة والسواد ، بين غرب

وعرق سبيع ، تقع في جهة مطلع الشمس من غرب .

أما ذو بقر ، وشابة : فقد مضى الكلام عليهما .

ذو بقر

والذرائح : لا أعلمها بهذا الاسم في هذا العهد .

الذرائح

١٥ — وقال شاعر ، وأنشده أبو الندى ^(١) :

وَرَيْتَ جَرِيرًا يَوْمَ أَذْرِعَةِ الْهَوَى وَقَادَتِكَ الرِّيَاحُ الْجَنَائِبُ
سَقَى اللَّهُ نَجْدًا مِنْ رَيْبٍ وَصَيْفٍ وَخَصَّ بِهَا أَشْرَافَهَا فَالْجَوَائِبُ
إِلَى أَجَلِي فَلَمَطْلَيْنِ فَرَاهِصٍ هُنَاكَ الْهَوَى لَوْ أَنَّ شَيْئًا يَقَارِبُ

أما أجلى : فهي معروفة ، وقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا ، إذا قطعت وادى الحضارة
متجهاً إلى غيف ثم أتيت وادى الثعل ، فانظر على شمالك تجدها ، ويقال لها في هذا العهد « أجلة »
والمطلان : موضع الحمى اليوم حتى سجا والعبلة ، تقع جنوبيه ، فإن أفرد أحدهما بلفظة
المطلى فهي تكفي للحمى أو العبلة .

أجلى

المطلان

وأما راهص : فهو باق بهذا الاسم ، هضبات متصل بعضها ببعض ، يقال لها الآن « الرواهص »
تقع بين جبل المردمة وجبل العلم ، معروفة عند عامة أهل نجد .

راهص

١٦ — وقال الراعي النميري ^(٢) :

بُشُوقُهَا تَرْعِيَّةٌ ذُو عَبَاءَةٍ عَمَّا بَيْنَ نَقَبٍ فَالْحَيْسِ فَأَفْرَمًا ^(٣)

قال ياقوت في معجمه : هذا نقب ضاحك ، طريق يصعد في عارض اليمامة . قال المصنف :

نقب

أنا أعرف هذا النقب ، طريق بين مدينة ثادق البلد المعروفة من مدن اليمامة وبين بلد عودة سدير ، وهي طرف قرى سدير الجنوبية ، يقال لهذا الطريق اليوم «ثنية ضاحك» جميع أهل تلك الناحية لا يزالون يعرفونه بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

١٧ — وقال طهمان بن عمرو الكلابي ^(١) :

أَقْدَ سَرَنِي مَا جَرَّفَ السَّيْلُ هَانِئًا وَمَا لَقِيَتْ مِنْ حَدٍّ سَنِي أَنَامِلُهُ
وَمَتَرَكُهُ بِالْبَرَّتَيْنِ مُجْدَلًا تَنُوحُ عَلَيْهِ أُمُّهُ وَحَلَّائِلُهُ

البرتان : جبالان صغيران في حد حى سجا الجنوبي ، يقال لكل واحد منهما البرة ، وهما معروفان عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان عندهما يوم من أيام العرب بين بنى عامر وبنى أسد ، وكانت النصره فيه لبنى عامر ، وقال مُحَايِرُ بْنُ الْأَشِيمِ الْأَسَدِيُّ يَرَى قَرَةً وَعَلْقَمَةً ابْنَى عَمَهُ :

أَحَقًّا أَبُ قَرَةٍ لَا أَرَاهُ فَمَا أَنَا بَعْدَهُ بِقَرِيرٍ عَيْنِ
وَعَلْقَمَةٍ الَّتِي قَدْ كَانَ عَزَى وَإِنْ حَفَلَ الْمَجَالِسُ كَانَ زَيْنِي
إِذَا قَالَ الْخَلِيلُ تَعَزَّ عَنْهُمْ ذَكَرْتُ رَئِيسَ يَوْمِ الْبَرَّتَيْنِ
أَلَا لِأَخْلَدَ بَعْدَ كَمَا ، وَلَكِنْ نُحَاءُ الْوَرْدِ بَيْنَكُمَا وَبَيْنِي

قال صاحب معجم البلدان : البرتان جبالان بالمطلى أرض لبنى أبى بكر بن كلاب ، وهى مختلطة فيها ، وقال أيضاً فى معجم البلدان : والبرتان هضبتان حميراوان مقترنتان بأعلى خنثل ، هذه العبارات قريبة من الصواب ، أما قوله « بأعلى خنثل » فإنهما ليستا بأعلى خنثل ، ولكنهما قريبتان منه ، وقال أيضاً فى اشتقاق الأسماء : كأن هذا الموضع يبرأهله بالخصب والربيع ، وهذه عبارة جيدة ، فإن تلك الناحية من أخصب أرض الله وأمرأها لرعى الإبل ، وأما البرتان اللتان ذكرهما يحيى بن طالب الحنفى فى أشعاره فهى البرة الواقعة فى اليمامة ، وهى التى يقول فيها يحيى بن طالب الحنفى ^(٢) :

خَلِيلٌ عُوْجَا بَارَكَ اللهُ فِيكَمَا عَلَى الْبَرَّةِ الْعَلْيَا صُدُورَ الرِّكَائِبِ
وَقَوْلَا إِذَا مَا نَوَّهَ الْقَوْمُ لِلْقِرَى أَلَا فى سَبِيلِ اللهِ يَحْيَى بْنُ طَالِبٍ

وكلتا البرتين - البرة التى فى المَطْلَى بالقرب من سَجَا ، والبرة التى فى اليمامة - باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد . وعندها بلد يقال لها « رغبة » كما أن عند البرة التى فى حى سجا جبل يقال له رغبة .

* * *

١٨ — وقال الراعي التَّمْبَرِي (١) :

فَلَنْ تَشْرَبِي إِلَّا بِرِيقٍ وَلَنْ تَرَى سَوَامًا وَحِشًا بِالقَصِيبَةِ وَالبِشْرِ
وقالت وَجِيبَةُ بنت أوس الضَّبَّية :

وَعَادِلَةٌ هَبَّتْ بِدَلِيلٍ تَلْمُؤِي عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمْنَحْ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي
فَكَأَيَّ إِنِّ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَحْبَبْتُ طَرْفَاءَ القَصِيبَةِ مِنْ ذَنْبِ

القصبة

قال ياقوت (٢) : قال ابن أبي حفصة : القصبة من أرض اليمامة لبني امرئ القيس

وقال ياقوت (٣) في موضع آخر : القصبات من قرى اليمامة لم تدخل في صلح خالد بن الوليد أيام مسيلة .

قال المصنف : هي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، مدينة من ملحقات وشُم اليمامة يقال لها القصب إلى هذا العهد أغلب إنتاجها البر ، موقعها بين الكتيب والعتك .

* * *

١٩ — وقال سرية الفزاري ، وقالوا : إنها لابن ميادة (٤)

يَا صَاحِبَ الرَّحْلِ تَوَطَّأً وَاكْتَفِلَ وَاحْذَرْ بِدَغْنَانَ مَجَانِينَ الْإِبِلِ
كُلَّ مُطَارٍ طَامِحِ الطَّرْفِ رَهْلٍ أَلْزَمَهَا الرَّاعِي صِرَارًا لَا يُحْلُ

أي : فرزها حتى سميت ، وقال شاعر كلابي :

مِنْ الْأَعْزِ اللَّائِي رَعَيْنَ نُحْمَرًا وَدَغْنَانَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِنَّ قَانِصُ

دغنان

دَغْنَانَ : هو ركن من أركان النير الجنوبية ، جبال متصل بعضها ببعض ، تسمى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها دغانين ، ودغنون ، ودَغْنَانَ ، كل هذه الأسماء تطلق عليها ، وهي مشرعة في الحى ، والحى هو الأرض الواقعة بين المصلوب والمردمة .

* * *

٢٠ — وقال أبيد بن ربيعة العامري (٥) :

فَصَلَفْنَا فِي مُرَادٍ صَلَقَةٍ وَصُدَّاءُ أَخْلَقَتْهُمْ بِالسَّلَلِ
لَيْلَةَ الْمُرْقُوبِ حَتَّى عَامَرَتْ جَعْفَرًا تَدْعَى وَرَهْطَ ابْنِ شَكَلِ
وَمَقَامِ ضَيْقٍ فَرَجَّتُهُ بِلِسَانِي وَبَيَانِي وَجَدَلِ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلٌّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَرَحَلِ

العرقوب : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، متاخم لدغنون الذى تقدم ذكره ، لا يفصل بينهما غير أرض الحمى ، دغنون فى جهة الحمى الشمالية ، والعرقوب فى جهة الحمى الجنوبية الشرقية وكان به يوم من أيام العرب بين بنى عامر وبين اليمن ، وهو الذى يقول فيه معاوية المرادى :

لقد علم الحَيَّانِ كمْبُ وعامر وحَيَّا كلابٍ جَعْفَرُ وعبيدُها
بأننا لَدَى العرقوبِ لم نَسَامِ الوَغَى وقد قلمت تحت السروج لُبُودُها
تركنا لَدَى العرقوبِ والخيلُ عَكَفَتْ أساودَ قَتْلِي لم تَوَسَّدْ خدودُها
ورُحْنَا وفينا أبنا طفيلٍ بغلةٍ بنا قَرَحَى عَادَ فَلَا شَرِيدُها

العرقوب : جمعه عراقيب ، وهى واقعة فى الجهة الجنوبية الغربية من ماء المصلوب التى كانت نسي فى الجاهلية المسلوق ، وقد كان بها اليوم المذكور من أيام العرب ، وقد وقع فيه فى الربع الأول من القرن الرابع عشر يوم بين العرب المتأخرين بين علوى وبنى عبد الله بن عطفان ، أما علوى فكان رؤسائهم فى هذا اليوم : بدر بن محمد الدويش ، ووطبان الدويش ، وكانوا قد رجعوا من غزوتهم مفلسين من عتبية ، وكان بنو بدير قاطنين على ماء المصلوب ، ورئيسهم محمد بن حوكة وأخوه سالم بن حوكة ، فعزم الغزاة المنفسون على أخذ غنم ذوى بدير ، وكلهم قبيلة واحدة ، ولا تُحِلُّ لهم تقاليد البدو أن يغيروا عليهم فى حال السلم : لأنهم يد واحدة ، ولكنهم أرادوا مخالفة هذه التقاليد ، فأغاروا عليهم ، وأخذوا الأغنام ، وثار عليهم بنو عبد الله بن عطفان ، وهم من ذوى بدير ، على ماء المصلوب ، فلحقوهم ، فكانت المعركة عظيمة ، واسترجعوا أغنامهم ، فصمموا على أخذ ركبتهم ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرس تحت بدر بن محمد الدويش ، والثانية تحت مشارى بن بصيص رئيس الصعران بطن من مطير ، فما رأى الدوشان ومن معهم أنهم قد أدركوا دخلوا على مشارى ابن بصيص وسألوه أن يمنعهم من ذوى بدير ولو أنهم معتدون عليهم ؛ لأن صنعهم هذا يسيء إلى ما بين قبائلهم ، فرجع مشارى بن بصيص ، واجتمع رؤساء القوم محمد بن حوكة وأخيه سالم فطال الجدال بينهم ، فانتهى الأمر بقبول وساطته للكف عنهم ، وقد حدثنى رجل من ذوى بدير يقال له الحميدى البديرى كان حاضراً تلك الواقعة قال : ما اختلفنا فى الغنائم والعقائر من الإبل ، وكان منارجل يقال له عتيق من الذين عُرفوا بإصابة المرعى ، فسمع الرمي ، واعترض للمهزمين ومعه بندقيته من الصمغ ، فلما اختلفوا عند العقائر من جيش الأعداء قال : ما أدركه مضرب السهم منها فى ملكك العرقوب من يمين فهوى ، وما أدركه مضرب السهم فى غير هذا الموضع فلا أنازعكم فيه قال : فوجدنا ما أصابه السهم منها فى الموضع الذى ذكره خمس عشرة ناقة ، ذلك لأنه معروف

بجودة الرمي عند قبيلته وعند كثير من أهل نجد، فأخذها ، والعقوب والعرايب يكون إذا خرجت من ماء المصلوب قاصداً مكة على شمالك من حين تمشي من الماء حتى تصل الحمى ، أبارق وأحجار منعقد بعضها ببعض .

* * *

٢١ — وقال طهمان بن عمرو الدارمي^(١) :

ألا يا اسلمًا بالبئر من أم واصل	ومن أم جبر أيها الطللان
وهل يعلم الربعان يأتي عليهما	صباح مساء نائب الحدائق
ألا هزئت منى بنجران إذ رأت	عشاري في السكبلين أم أبات
كأن لم ترى قبلي أسيراً مكبلاً	ولا رجلاً يُرمى به الرجوان
عذرتك يا عيني الصحيحة والبكى	فما لك يا عوراء والهملان
كفى حزناً أنى تطاللت كي أرى	ذرى قلتي دمنخ كما تريان
كأنهما والآل يجرى عليهما	من البعد عينا برقع خلقان
ألا حبذا والله لو تعلمانه	ظلالكما يا أيها العلمان
وماؤكما المذبذب الذى لو وردته	وبى نافض الحمى إذا لشفاني
وإنى والعيسى فى أرض مذحج	غريبان شتى الدار مختلفان
غريبان مجفوان أكثرهما	وجيف مطايانا بكل مكان

دمنخ

دمنخ : جبل عظيم فى عالية نجد الجنوبية ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال شاعر من بنى كلاب :

أفغترباً أصبحت فى رامهرمز ؟ نعم كل نجدى هناك غريب
فيا ليت شعرى هل أسيرن مضيداً ودمنخ لأعضاء المطى جنيب
وقد أكرت الشعراء من ذكره ، وهو متاخم لجبل تهلان ، ولونه كلونه .

* * *

٢٢ — قال ساعدة بن جؤية الهذلى^(٢) :

أخيل برقا متى حاب له زجل إذا يفتّر عن توماضه حلجبا

(١) المعجم ٤ / ٧١ (٢) المعجم ٥ / ٢٩٦ ودويان الهذليين ٢ / ٢٠٩ .

مُسْتَأْرَضًا بَيْنَ بَطْنِ اللَّيْثِ أَيْعُهُ إِلَى شَمْنَصِيرٍ غَيْثًا مَرَسِلًا مَعَجَا

الليث : موضع معروف على ساحل البحر بين مكة والقنفذة ، مرسى لأهل تلك الناحية ، وهو لبني حسن بطن من أشراف تهامة ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أما شمنصير فهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، منقطع من جبال كشب الغربية يبعد عنها مسافة نصف يوم ، أقرب ما يليه من الأودية المعمورة وادي رهاط ، له ذروة شاهقة لا يستطيع أحد أن يرتقيها ، وفيه نبات لا يوجد في جبال الحجاز كالنخيل والغرب والشوحط وهذا الجبل هو الذي ذكره أبو صخر الهذلي في قوله من قصيدته التي رثى بها ابنه تليدا :

وَذَكَرْنِي بُكَائِي عَلَى تَلِيدِ حَمَامَةٍ مَرَجَاوَبَتِ الْحَمَامَا
تَرْجِعُ مَنْطَقًا عَجِيبًا وَأَوْفَتِ كَنَاحُهُ أَتَتْ نَوْحًا قِيَامَا
تَنَادَى سَاقِ خَرٍّ ظَلْتُ أَدْعُو تَلِيدًا لَا يُبِينُ بِهِ الْكَلَامَا
لَعَلَّكَ هَالِكٌ إِمَّا غَلَامٌ تَبَوَّأَ مِنْ شَمْنَصِيرٍ مَقَامَا

ويلى شمنصير جبال ، هي عمدان والعرضاء ، قال شاعر من الروقة نبطي :

اسأل عمدان والعرضاء واسالك يا شمنصير وسال عدن عليه الورد يسقى كل فجرا
اسأله عن ابكار ما عليها الا البواكير غدت نهار التفريق بين بدوان وحضرا
البواكير : وسوم للابل كية بالنار ، ولا أعلم أن بواكير بهذا المعنى تستعملها أعراب تلك الناحية غير قبيلة الهمارقة من سكان الحجاز ، ومياهمم العقيق ، ويرجعون في النسب إلى قبيلة المقظة قبيلة ابن حميد ، والعد الذي ذكره هو رهاط الذي يجاور شمنصير ، وشمنصير تعرفه عامة أهل نجد .

* * *

٢٣ — وقال شاعر من بني كلاب (١)

وَمَا أُمُّ طِفْلٍ قَدْ تَجَمَّعَ رَوْقُهُ تُفَرِّقِي بِهِ طَلْحًا وَسَدْرًا تَنَاسَقُهُ
بِأَسْفَلِ غُلَّانٍ الْعَفِيفِ مَقِيلُهَا أُرَاكَ وَسَدْرٌ قَدْ تَحْضُرُ وَارِقُهُ

عفيف : هو النهر المعروف على طريق السيارات إلى مكة ، بين الدفينة والقاعية ، عمر في هذا العهد الأخير ، وأقيم به بلد ، وكثرت به القصور والدكاكين ، وبه مركز للحكومة فيه أمير وقاض ، وتصل في الجمعة ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٢٤ — وقال البريق الهدلى ^(١) :

سَقَى الرَّحْمَنُ حَزْمَ يُنَابَعَاتٍ مِنْ الْجُوزَاءِ أَنْوَاهِ غِزَارَا
بِمُرْتَجَزٍ كَأَنَّ عَلَى ذَرَاهُ رِكَابَ الشَّامِ يَحْمِلُنَ الْبَهَارَا
يَحِطُّ الْمُعْصَمَ مِنْ أَكْنَافِ شِعْرِ وَلَمْ يَتْرِكْ بِنْدَى سَاعِ حِمَارَا

شعر : جبل أسود ملحم طويل ، إذا خرجت من ماء عفيف قاصداً الرياض ، وسرت بالسيارة
ثلث ساعة انعرج طريق على شمالك ، وهو طريق القصيم ، سالتُ هذا الطريق يمر بشعر ، وبه
بئر يقال لها الأشعرية في وسط هذا الجبل ، تقف عنده السيارات ، إذا انعرج الطريق المذكور
فالتفت على شمالك فإنك ترى شعرا ، ليس حوله جبال مثله ، أسود طويل ملحم ، يبعد عن الطريق
المذكور مسافة نصف يوم لللال حاملمة الأثقال ، ولكنني است على ثقة أن البريق عناءه ، وأغلب
ظنى أنه قصد جبل شعر الواقع غربى كشب ، ولا يزال يقال له شعر إلى اليوم ، تعرفه عامة أهل
نجد ، وهو في المنتصف بين كشب وجبال الحجاز ، وأما شعر المتقدم ذكره فهو الذى يقول
فيه ذو الرمة :

أقول وشعر والعرائس بيننا وسُمِّرُ الذرى من هضبة ناصفة الخمر

والعرائس : هضبات ثلاث حمر متاخات لشعر في جهته الشرقية ، تبعد عنه أقل من نصف
يوم ، تعرف بالعرائس إلى هذا العهد ، قال الخطيم العكلى :

وهل أرى بين الحفيرة والحصى حصى النير يوماً أو بأ كسبة الشعر

والذى يدل على أن الخطيم قصد شعرا المذكور أنه متاخ للدير ، قال غسان بن ذهل السيلطى ^(٢) :

تَسَائَلْنِي جُنُبَاءُ أَيْنَ عَشَارَهَا قُتِلَتْ لَهَا تَعْلَ عَثْرَةٌ نَاعِسِ

إِذَا هِيَ حَلَّتْ بَيْنَ عَمْرُو وَمَالِكٍ وَسَعْدُ أُجِيرَتْ بِالرَّمَاكِ الْمَدَاعِسِ

وهان عليهما ما يقول ابن ديسق إذا نزلت بين اللوى والعرائس

اللوى : هو طرف عريق الدسم لأنه متاخ للعرائس وشعر ، والعرائس هى الهضبات المذكورة
آنفاً ، متاخة لشعر المذكور ، وشعر به يوم من أيام العرب بين بنى عامر ، وعطفان ، عطش في
ذلك اليوم غلام شاب يقال له الحكم بن الطفيل فحشى أن يؤخذ فحش نفسه فسمى ذلك اليوم
« يوم التخاق » .

* * *

٢٥ — وقال ذو الجوشن الضبابي^(١) :

أَمْسَى بِكَوْدَ أَثَالٍ لَا بَرَّاحَ لَهُ بعد اللقاء ، وأمس خائفاً وجِلاً

هذا الموضع قتل فيه الصميل بن الأعور الضبابي ، وهي هضبة حمراء يقال لها في هذا العهد
« الكودة » وهي هضبة شاهقة ، وهي التي يقول فيها الراجز :

* مثل عمود الكود ، لا ، بل أعظما * وهي معروفة عند عامة أهل نجد بهضبة الكودة .
لما يتغير اسمها إلى هذا العهد . لا تبعد عن هضبات العرائس أكثر من ساعتين ، وشعر والعرائس
والكودة متصل بعضها ببعض .

* * *

٢٦ — وقال عدى بن الرقاع العاملي^(٢) :

فَذَرِّدَا ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ وَمِیْضًا تَرَى مِنْهُ عَلَى بُعْدِهِ لَمْعًا
تَصْعَدُ فِي ذَاتِ الْأَرَابِ مَوْهِنًا إِذَا هَزَّ رَعْدًا خِلَتَ فِي وَدْفِهِ شَفْعًا

ذات الأراب : على اسمها إلى اليوم لما تتغير إلا قليلاً فإنها تعرف اليوم باسم « أرينية » وهي ذات الأراب
هضبات صغار قريب العرائس المذكورة ، وهي أصغر منظرًا من الهضبات التي مر ذكرها ، إذا
خرجت من ممبل عفيف سائرًا نحو الشرق ، وكنت في أودية أبقار ، فالتفت على شمالك فإنك ترى
جبل شعر ، وإذا خرجت من أبقار وهبطت وادي المعلق فالتفت على شمالك فإنك ترى الكودة
والعرائس وأرينية : العرائس هضبات حمر شاحخة ، والكودة : هضبة واحدة ، وأرينية : هضبات
صغار ، وهذه الهضبات المذكورة يطوف عليها الراكب في أقل من نصف يوم ، لا تزال كلها
بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وجميعها على شمالك وأنت خارج من عفيف .

* * *

٢٧ — وقال سالم بن دارة^(٣) :

تَرَكْنِي فَرَقُهُ فِي مَمْلَقٍ أَنْزَلَ جَبَلَ مُرَّةٍ وَأَرْتَقِ

* عن مرة بن دافع وأتقى *

صار اسم هذا الموضع اليوم « المعلق » فشدوا لأمه ، وابن دارة قصد في أرجوزته وادي
معلق ، وجبل المعلق ، وهذا الوادي إذا أنت قطعت أودية أبقار وجبالها وأنت قاصد القاعية من
عفيف رأيته هناك ، يقطعه الطريق ، ثم إذا التفت صوب شمالك رأيت جيلاً ملهماً شاهقاً إلى

السما يقال له جبل الملق .

* * *

٢٨ — وقال نصيب^(١) :

وَقَدْ كَانَ فِي أَيَّامِنَا فِي سُؤْيَقَةٍ وَلَيْلَاتِنَا بِالْجَزْعِ ذِي الطَّلَحِ مَذْهَبُ
إِذَ الْعَيْشُ لَمْ يَمُرَّرْ عَلَيْنَا، وَلَمْ يَحُلْ بَنَا بَعْدَ حِينٍ وَرَدُّهُ الْمُتَقَلِّبُ
وقال ذو الرمة :

أَقُولُ بِذِي الْأَرْضَى عَشِيَّةً أَتَلَعْتُ إِلَى نَبَا سِرْبِ الطُّبَاءِ الْخَوَازِلِ
لَأَدْمَانَةٍ مِنْ بَيْنِ وَحْشِ سُؤْيَقَةٍ وَبَيْنِ الطَّوَالِ الْعُفْرِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ
أَرَى فِيكَ يَا خِرْقَاءَ مِنْ ظُبِيَةِ اللَّوَى مَشَابِهَ مَنْ حَيْثُ اعْتَلَقَ الْحَبَائِلِ
سؤيقة : هضبة معروفة تقع جنوبي جبال حليت ، معروفة بهذا الاسم عند عامة أهل نجد ،
وكانت بها وقعة من وقعات بكر وتغلب ، وهي التي قال فيها مهلهل :
غَدَاةَ كَأَنَّنا وَبَنِي أَيْنَا بَحْنَبِ سُؤْيَقَةٍ رَحِيًّا مُدِيرِ^(٢)
وقال كثير :

لَعَمْرِي لَقَدْ رُعْتُمُ غَدَاةَ سُؤْيَقَةٍ بَيْنَكُمْ يَا عَزَّ حَوَّْ جَزُوعِ
وقال ابن هرمة :

عَفْتُ دَارَهَا بِالْبُرُوقَيْنِ فَأَصْبَحْتُ سُؤْيَقَةٍ مِنْهَا أَقْفَرْتُ فَنَظِيمَهَا
وقالت تماضر بنت مسعود أختي ذو الرمة :

لَعَمْرِي لَجُوءٌ مِنْ جِوَاءِ سُؤْيَقَةٍ أَوِ الرَّمْلِ قَدْ جَرَّتْ عَلَيْهِ سَبِيلُهَا
أَحْبُّ إِلَيْنَا مِنْ جَدَاوِلِ قَرْيَةٍ تَعْوِضُ مِنْ رَوْضِ الْفَلَاةِ فَسِيلُهَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي لَأَحْبَسْتُ بِقَرْيَةٍ بَقِيَّةَ عَمْرٍِ قَدْ أَتَاهَا سَبِيلُهَا
وقالت تماضر أيضاً :

لَعَمْرِي لِأَصْوَاتِ الْمَكَارِكِ بِالضَحَى وَصَوْتِ صَبَا فِي مَجْمَعِ الرَّمْثِ وَالرَّمْلِ
وَصَوْتِ شِمَالِ هَيَّجَتْ بِسُؤْيَقَةٍ أَلَاءِ وَأَسْبَاطَا وَأَرْضَى مِنَ الْحَبْلِ
أَحْبُّ إِلَيْنَا مِنْ صِيَاحِ دَجَاجَةٍ وَدِيكَ وَصَوْتِ الرِّيحِ فِي سَعَفِ النَّخْلِ
وكانت تماضر بنت مسعود قد تزوجت في مصر من الأمصار فحنت إلى وطنها فقالت هذا الشعر

(١) المعجم ١٨٠/٥ وكل ما ذكر معه من الشواهد .

(٢) هكذا وقع في ١٨٠/٥ من المعجم ، وورد في ٢٣٤ / ٦ « بَحْنَبِ غَيْرَةٍ »

وقال الفطّش الضبي :

لعمري لجؤ من جواء سُوَيْقَة أسافله ميث وأعلاه أجرج
أحب إلينا أن نجاور أهلها ويصبح منا وهو مرأى ومسمع
من الجؤسق الملعون بالرئ لا يني على رأسه داعي المنية يلع

قد أطلنا الكلام على سويقة ، ففي بلاد العرب التي أعرفها مواضع كثيرة بهذا الاسم : الأول سويقة ، جُبَيْل في جنوبي الحمار الواقع في عالية نجد . والموضع الثاني : سويقة ، جُبَيْل في وسط العبلة بين سجا ووادي خنثل ، الموضع الثالث : جُبَيْل في غربي الحناكية يقال له سويقة ، وعنده موضع يقال له النظمان في هذا العهد ، وهذه المواضع هي التي عنها ابن هرمة حين قال :

* سويقة ونظيمها * والموضع الرابع هو الذي ذكرنا أنه في طرف حليت الجنوبي ، وأنه هضبة طويلة يقال لها « سويقة » منقطعة من جبل حليت ، لكن جبل حليت أسود كأنه غراب ، وتلك الهضبة لونها أشقر بين الحمرة والسواد ، وهناك هضبات تقع جنوبي ضرية على مسافة أقل من نصف يوم ، يقال لها « النظيم » وفي شرق الدهناء كثيب أحمر مما يلي حُزْوى موضع يقال له سويقة ، وهو الذي عناء ذو الرمة ، وتماضر ابنة أخيه ، وهو الذي عناء الفطش الضبي ، وهناك موضعان بين شقرا وثرمداء ، قصران يزرعان يقال لأحدهما « سويقة » وللآخر « النظيم » وقرأت على الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى رحمه الله وهو من سكان شقرا وله اليد الطولى في فن اللغة وأشعار العرب هذا البيت بيت إبراهيم بن هرمة :

عفت دارها بالبرقتين فأصبحت سُوَيْقَة منها أفقرت فنظيمها

فسألته : هل تعلم سُوَيْقَة والنظيم ؟ فقال : أعلم هذين القصرين سويقة والنظيم الواقعين بين شقرا وثرمداء ، قلت : إن هذين القصرين حديثان ، فقال : لعل هذه الأسماء قديمة وقد أحدث القصران في موضعيهما ، أو لعلهما بثران جاهليان بُعِثا اليوم ، قلت له : أنا أعلم موضعين في بلاد العرب يقال لكل منهما سويقة والنظيم ، أما أحدهما فهي الهضبة المجاورة لحليت والنظيم الهضبات المجاورات لضرية ، يقال لها سويقة ، وقريب منها جبيلات بها ماء يقال لها النظمان ، فقال : الآن صح أن ابن هرمة قصد الموضع القريب من الحناكية ؛ لأنه شاعر حجازي ، وهناك وطنه .

* * *

٢٩ — وقال جرير ^(١) :

لَمَنْ رَسْمٌ دَارٍ هَمْ أَنْ يَتَغَيَّرَا تَرَاوَحَهُ الْأَرْوَاحُ وَالْفَطَرُ أَعْصُرَا
وَكُنَّا عَهْدَنَا الدَّارَ وَالْدارُ مَرَّةً هِيَ الدَّارُ إِذْ حَلَّتْ بِهَا أُمُّ يَعْصُرَا
ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدًا عَلَى الْهَجَرِ وَالْبَلَى وَلَا بَدْءَ الْمَشْمُوفِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
أَجْنُ الْهَوَى مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ مَوْقِفًا عَشِيَّةَ جِرْعَاءِ الصَّرِيفِ وَمَنْظَرَا
تَبَاعَدَ هَذَا الْوَصْلُ إِذْ حَلَّ أَهْلُنَا بِقَوٍّ وَحَمَاتِ بَطْنِ عَرَقِ فَعْرَعَرَا

الصريف

الصريف : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، به قصور تزُرع ، يقع شرق مدينة بريدة على مسافة أقل من اليوم ، وكان في هذا الموضع يوم من أيام العرب في الجاهلية ، وكان به يوم بين العرب المتأخرين في أوائل القرن الرابع عشر ، قال الأعشى وقد نسب الخمر إلى هذا ^(١) :

صريفية طيبٌ طعمُها لها زبدٌ بين كوزٍ ودَنْ

ولكني لأطمئن إلى أن الأعشى عنى ذلك الموضع ؛ فإن بيع الخمر في نجد نادر في الجاهلية ، وظنى أن الأعشى عنى موضعا يقال له صريفون في سواد العراق على ضفة نهر دجيل إذا أذن بها المؤذن سمعوه في عكبراء ، وبينها وبين مسكن وقعت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ساعة من نهار ، وظنى أن الأعشى إنما نسب الخمر إليها ؛ لأنه لم يُذكر في كتب اللغة ولا في المعاجم أن صريفا الواقع في جهة القصيم تباع فيه الخمر ، ولأن المعروف عن عرب نجد في جاهليتها أنهم يستهجنون شرب الخمر والاتجار فيه .

* * *

٣١ — وقال شاعر من الضباب يخاطب بنى جعفر ^(٢) :

قَدْ عَلِمْتُ مَطَرَفَ خَضَابُهَا نَزَلُ عَنْ مِثْلِ النَّقَا ثِيَابُهَا
أَنْ الضُّبَابَ كَرَمَتْ أَحْسَابُهَا وَعَلِمْتُ طَخْفَةَ مَنْ أَرْبَابُهَا

طَخْفَةُ : هضبة حمراء شاهقة إلى السماء ، لها رؤوس كثيرة متفرقة ، موقعها بين نقي وضريبة تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ووادي الريان الذي ذكره ليبيد في معلقته حين قال :

فدافع الريان عُرَى رُسْمُهَا خلقا كما ضمن الوحي سلامها

يأتى سيله من جَبَاتِ طَخْفَةٍ أو قريبا منها ، وهو أيضا باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يسير بين طخفة وعَوَل ، قال الأحوص بن عمرو بن قيس بن عتاب :

(١) ذكر ياقوت أن الخمر منسوبة إلى « صريفين » قرية كبيرة غناء بالعراق .

(٢) المعجم ٦ / ٣٢

وَقَادُوا بِكَرْهُ مِنْ شَهَابٍ وَحَاجِبٍ رُؤُوسَ مَعَدٍّ بِالْأُزْمَةِ وَالْخَطْمِ
عَلَا جَدُّهُمْ جَدَّ الْمَلُوكِ فَأُطْلِقُوا بِطَخْفَةِ أَبْنَاءِ الْمَلُوكِ عَلَى الْحُكْمِ
وعلى هذه القصيدة التي منها هذان البيتان أخبار طويلة في ذكر أبناء الملوك .
وقال ربيعة بن مَرُوم الضبي :

وَإِذَا لَقِيتُ عَامِرَ النِّسَاءِ مِنْهُمْ وَطَخْفَةَ يَوْمًا غَشُومًا
بِهِ شَاطَرُوا الْحَيَّ أَمْوَالَهُمْ هَوَازَنَ ذَا وَفَرَهَا وَالْعَدِيمَا
وَسَاقَتْ لَنَا مَذْحِجٌ بِالْكُلَّابِ مَوَالِيَهَا كُلَّهَا وَالصَّمِيَا

وقالت أم موسى الكلابية ، وقد تزوجت بحجر اليمامة :

لَهُ دَرَى أَيْ نَظْرَةَ نَظَرٍ نَظَرْتُ وَدُونِي طِخْفَةَ وَرَجَائِمَهَا
هَلِ الْبَابُ مَفْرُوجٌ فَأَنْظُرُ نَظْرَةَ بَعِينِي أَرْضًا عَزَّ عِنْدِي مَرَامَهَا
فِي أَحْذَا الدَّهْنِ وَطِيبُ تَرَابِهَا وَأَرْضُ فُضَاءٍ يَصْدَحُ اللَّيْلُ هَامَهَا
وَنَصُّ الْعَذَارَى بِالْعَشِيَّاتِ وَالضَّحَى إِلَى أَنْ بَدَتْ وَحَى الْعَيُونُ كَلَامَهَا

وقال جرير :

بِطَخْفَةِ جَالِدَنَا الْمَلُوكَ وَخَيْلَنَا جَرِينَ بِيَسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى نَحْبِ

وقال جرير أيضاً :

وَقَدْ جَعَلْتُ يَوْمًا بِطَخْفَةَ خَيْلَنَا لَالُ أَبِي قَابُوسٍ يَوْمًا مَكْدَرًا

وفي طخفة يوم من أيام العرب مشهور ، وهو الذي تشير فيه شعراء بني تميم إلى أسر الملوك ،
وفيها يوم بين العرب المتأخرين في سنة ١٣٤٨ هـ بين حرب وعتيبة ، انهزمت فيه العتيبان ،
وانتصرت فيه حرب .

* * *

٣١ — وَقَالَ الْأَزْوَُرُ الْبَجَلِيُّ (١) :

لَقَدْ عَلِمْتُ بِجَمِيلَةٍ أَنَّ قَوْمِي هُمْ تَرَكَوْا سَرَاهُ بَنِي سُلَيْمٍ
بِكُلِّ مَهْنَدٍ وَبِكُلِّ عَضْبٍ تَرَكَنَاهُمْ بِشُقْرَةٍ كَالرَّمِيمِ
وَأَبْنَا قَدْ قَتَلْنَا الْخَيْرَ مِنْهُمْ وَأَبُوا مَوْتَرِينَ بِلَا زَعِيمِ
بَنِي سَمْدٍ أُولُو حَسْبٍ كَرِيمِ كَأَنَّ رُؤُسَهُمْ فَلَقَى الْهَشِيمِ

الشقرة : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقع شمالاً الحناكية على مسافة يوم ، وادٍ به دَوم ، وبه جبال شُقَر ، سمي ذلك الوادى بشقرة تلك الجبال ، كان به يوم بين بحيلة وبنى سليم .

قال مصنف هذا الكتاب : وردتُ هذا الماء ماءَ الشقرة في رجب سنة ١٣٤١ هجرية ، متجهاً إلى المدينة للتجارة ، وخرجت من بلدى ، وكان طريقى على القصيم ثم الحائط الذى كان يقال له فى الجاهلية فُذَك ، وبتُّ فى الحويط ، ثم خرجت من الحويط صباحاً ، وبتنا على منهل يقال له « صفيط » ونحن ثلاثة نفر : المصنف ، وصاحب لى شريك فى البضاعة يقال له عبد الله ابن فاضل ، ومعنا رجل من عوف من قبائل حرب اتخذناه أماً يمنعنا من قبائل حرب ، وهذه عادة جارية بين قبائل نجد ، إذا أخذت رجلاً من قبيلة فهو يمنعك من جميع بطون هذه القبيلة ، وكنا فى ذلك العهد نخشى الخطر من غزوات الحجاز التى يبعثها الشريف ، وعلينا خطر آخر من السرايا التى يبعثها جلالة الملك لمصادمة ركبنا الحجاز أن تعتدى علينا ، وذلك قبل أن يتأكد الأمن ، ثم مشينا من ماء صفيط صباحاً ، ودلّلنا الرجل الذى من حرب ، وهو يقول : نبيتُ على ماء الشقرة ، فلما كنا فى المنتصف بين ماء الشقرة وماء صفيط وجدنا أثرَ ركبٍ قد أجذوا فى الفارة متجهين إلى جهة الحناكية ، على ما ظهر لنا من الأثر ، تبلغ ركبهم مائة ، فتوجسنا الشر ولكن الله لطيف بعباده ، وعلمنا أن الجيش الذى هذه آثاره يقوده راشد السحيمى أحد بنى حرب ومعه غزاة قد بعثهم شريف المدينة للنهب والسلب ، وهو أجراً رجل فى الحجاز ، فلما رأونا على بعد ظنوا أننا من سرايا جلالة الملك ، فانهزموا إلى الحناكية ، وتحصنوا بها ، فأتينا ماء الشقرة قبل غروب الشمس ، ونحن خائفون ، ومنعنا إيقاد النار ، فسمعنا صوتاً فى أعلى الوادى ، فقلت لصاحبى : سأذهب فى سواد الليل الآن وآتيك بخبر هذا الصوت ، فأخذت بندقيتى وذهبتُ آنحس الصوت قليلاً قليلاً ، حتى قربت منه ، فوجدتها هامة على حَجَرٍ ، وهى التى تسمى البومة فرجعت إلى صاحبى فقلت له : كأن صدرك ضائق ، قال : كيف أخاف ؟ والله لا يمسنا سوء إن شاء الله ؛ فلما ذهب من الليل ثلثه ركبنا رواحلنا وأدجلنا ليلتنا ويومنا وأول ليلتنا الثانية حتى نزلنا « العوالى » فى المدينة على رجل من بنى على يقال له دغيمان بن جعيدان ، وهو رجل شجاع كريم مهيب فى قومه : فأقمنا فى المدينة سبعة أشهر فى أمور التجارة وما يتعلق بها ، ثم حُبِستُ بتهمة أن لى دخلاً فى الأمور السياسية ، وأمرُ الحبس صادر من الحسين شريف مكة ، ولكن لم يثبت على شئ مما اتهمت به ، وأقوى معين لى على الخروج من الحبس هو الرجل الذى كنت

عنده ضيفا لأن السلطة في المدينة في ذلك العهد لقبائل حرب ، وليست للدولة .

* * *

٣٢ — وقال عنتره ^(١) :

بِكَلِّ هَتُوفٍ مُجْبِئُهَا رَضْوِيَّةً وَهُمْ كَسِيرَ الْحَيَرَى الْمُؤَنَّفِ
فَإِنَّ يَكُ عَزٍّ فِي قُضَاعَةِ ثَابِتٍ فَإِنَّ لَنَا بِرَحْرَحَانَ وَأَسْقُفٍ
كُتَابٍ شُهَبًا فَوْقَ كُلِّ كُتَيْبَةٍ لَوَاهِ كُظَلِّ الطَّائِرِ الْمُتَصَرِّفِ

رحرحان . جبل عظيم أسود ، يقع جنوبي الحناكية ، يبعد عنها مسافة نصف يوم ، وبه يومان من أيام العرب ، وأشهرهما الثاني ، وهو لبني عامر بن صعصعة على بني تميم ، وأسرفه معبد ابن زُرارة وأخوه حاجب بن زُرارة رئيس تميم ، وكان سبيه أن الحارث بن ظالم قتل خالد بن جعفر ابن كلاب ، وهما ضيفان عند النعمان بن المنذر ، ثم هرب الحارث بن ظالم فأتى بني زُرارة بن عدس فاستجارهم ، فأجاره معبد بن زُرارة بن عدس ، فخرج الأحوص بن جعفر ثائرا بأخيه خالد ، فالتقوا برَحْرَحَانَ ، فهزمت بنو تميم ، وقال عوف بن عطية التميمي ^(٢) :

هَلَا فُورَاسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ عَشْرًا تَنَافَحَ فِي سِرَارَةِ وَادٍ
يَعْنِي لَقِيَطَ بْنَ زُرَارَةَ وَكَانَ قَدْ انْهَزَمَ عَنْ أَخِيهِ مَعْبَدٍ وَأَسْرِيَوْمُذَ ، قَالَ جَرِيرُ :
أَتَنْسُونَ يَوْمِي رَحْرَحَانَ كُلِّهِمَا وَقَدْ أَشْرَعَ الْقَوْمُ الْوَشِيحَ الْمُؤَمَّرَا
تَرَكْتُمْ بُوَادِي رَحْرَحَانَ نِسَاءَ كَمْ وَيَوْمَ الصَّفَا لَا قِيَمَ الشَّعْبِ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنِي مَجْدٍ دَعَوْا بِالْعَامِرِ فَكُنْتُمْ نَعَامًا فِي الْجَزِيرَةِ مُنْفَرَا
وَأَسْلَمْتُمْ لَابْنِ أَسِيدَةٍ حَاجِبًا وَلَاقَى لَقِيَطًا حَتْفَهُ فَتَقَطَرَا
وَأَسْلَمْتِ الْقُلْحَاءَ لِلْقَوْمِ مَعْبَدًا تَجَاذَبَ مَخْمُوسًا مِنَ الْقِدِّ أَسْمَرَا

ومعبد بن زُرارة بقي في أسره في يدى بني عامر لم يفلت ، فمات في أيديهم ، فعيرت العرب حاجبا وقومه لذلك وقول جرير .

تَرَكْتُمْ بُوَادِي رَحْرَحَانَ نِسَاءَ كَمْ وَيَوْمَ الصَّفَا لَا قِيَمَ الشَّعْبِ أَوْعَرَا

يشير إلى شعب جبلة الذي كان فيه يوم عظيم بين بني عامر وبني تميم فانهزمت بنو تميم وقتل لقيط بن زُرارة ورحرحان باقى بهذا العهد ، لم يتغير ، وهو في بلاد غطفان وبه يوم ثالث عظيم

(١) ديوان عنتره ص ١٠٧ وأراد بالهتوف القوس ، وأصل الهتوف ذات الصوت ، ورضوية: أى

منسوبة إلى رضوى ، والسهم المؤنف : الذى قد على استواء . (٢) معجم ٤/٣٣٩

(١٤ - صحيح الأخبار ٢)

بين العرب المتأخرين في أوائل القرن الرابع عشر بين حرب وبنى عبد الله بن غطفان ، وبه يوم متأخر أيضا لكنه أقل من الذى قبله ، وكان فيما بين رحران وماء اھميج ، بين حرب ورئيسهم ناهس الذويبي وبنى عبد الله بن غطفان ورئيسهم جهز بن شرار ، فانهزمت حرب ، وعزوة قبيلة الذوبة « إخوان نوره » قال جهز بن شرار أبياتاً نبطية منها :

إخوان نوره شافوا المكروهه ركبوا على قب سوات الشياھين^(١)
ماذمهم والله رقيب عليه ومعين الله والقبائل معيين
خلوك يا قاسم زبون الونيه ياماشى قطعان بدومنين
وخلف ربيع الضيف والآھليه ياريف اهل هجن عن ازاد مبطين
خلوه يوم الملح ينقاد فيه وارخوا جلامدها مع اللومقفين
ماولوا للعزوة العبدلية هابلهم اليوم الذى من وراتين
وش علم ناهس ماتفت فى خوية هو يحسب اللقوات ثل البعارين
جتيم اقصصها كلها بالسوية واخيل مجنونة واهلها مجانين

هذا كلام رئيس من بنى عبد الله جهز بن شرار ، ورئيس حرب فى ذلك اليوم ناهس الذويبي وهو رئيس عام لبنى عمرو بطن من حرب ، أما قاسم الذى يقول فيه الشاعر (خلوك يا قاسم زبون الونيه) فهذا قاسم بن براك رئيس هتيم وصاحب غزوات الجيوش ينجرها من جهة إلى جهة أخرى ، وعند أهل نجد اسم حديث الذى يفزوا بالجيوش يسمونه (عقيد) مشتق من انقاد أمرهم على يده ، وصادف أن قاسم المذكور نهار المعركة حاضر مع الذويبي ، والذى يقول فيه الشاعر : * وخلف ربيع الضيف والآھلية * هو خلف بن ناحل من رؤساء حرب ، وهو أكرم أهل زمانه ، سئل فاجر الذويبي أبو ناهس المذكور فى بعض المجالس ، قيل له : من أكرمكم يا حرب ؟ ومن أفرسكم على اخيل ؟ فقال الذى سأله أكرمنا خلف بن ناحل ، وأفرسنا مانع بن مريخان ، فالتفت إليه عبد الله الفرم رئيس بنى على فقال : يا فاجر ، كيف تجعل الرجلين من بنى سالم ؟ لو جعلت لنا يا مسروح واحداً منهم إما الكريم وإما الفارس ! فالتفت إليه وقال : والله إني لأحب الصدق ، لما سألني الرجل وأنا رجل من مسروح لم أرض الكذب ، وجميع بنى حرب القاطنون فى نجد على بطنين : بنى سالم ، ومسروح ، والبطنان أخذوا كثيرة ، فلما ظفر جهز بن شرار وقومه بالفنائم وهزموا بنى عمرو أخذوا قاسم بن براك وخلف بن ناحل ، ثم منوا عليهما وبعثوا بهما إلى أقرب قبيلة من حرب .

(١) الشياھين : نوع من الصقور ، فصيحہ « الشواھين » . والقب : الخيل الضامرة البطون .

٣٣ — وقال الشاعر ^(١) :

وأحمى عليها أبنأ يزيد بن مسهر
يبتن المراض كل حنى وساجر
وقال سلمة بن الخرشب :

وأسوا خلا ما يفرق بينهم على كل ماء بين قيد وساجر
ساجر : منهل معروف من أودية السر ، يتجه سيله من الغرب إلى جهة الشرق ، وهو الذى يقول فيه عمارة بن بلال بن جرير :

فإني لمكمل ضامن غير تخفّر ولا مكذب أن يفرعوا سنّ نادم
والأ يملوا السر مادام منهم شريد ، ولا الخماء ذات الحارم
ولاساجراً أو يطرحوا القوس والعصى ولا عدلهم أو يوطؤا بالمنايم
ذكر هذا الشاعر السر ، وذات الحارم ، وساجرا ، وكل هذه المواضع باقية على أسمائها إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام على السر في أبيات لامرئ القيس ، وقد مضى الكلام على ذات الحارم في أشعار زهير ، وأوضحنا أنها تسمى اليوم « الحرما ، وخريمان » وقال السمرى اللص :
تمنت سليبي أن أقيم بأرضها وأنى وسلمى ونيها ما تمنت
ألا ليت شعرى هل أزورن ساجراً وقد رويت ماء الغوادي وعنت

ساجر : منهل معروف في الجاهلية والإسلام من مناهل السر ، يقع من البرود في الجهة الغربية الشمالية ، والبرود وساجر يقعان من ماء خف التى تمر بها السيارات شمالا على مسافة أقل من نصف يوم ، بعث ساجر في العهد الحديث في أوائل القرن الرابع عشر ، ونزله جماعة من الروقة ، وأغلبهم الحفاة والخنايش ، وهاجروا إليه ، وتركوا البادية ، وتعلموا القرآن ، وشرائع الإسلام ولكن فيهم جماعة من الغلاة يدعون إلى الاجتهاد ، وأحسن حاصلات هذه البلد التمر ، فإنك لتجد نخلة ساجر ممتازة على جميع النخيل بضخامة المنظر وكثرة التمر .

* * *

٣٤ — وقال ليبد بن ربيعة العامري ^(٢) :

فأسرع فيها قبل ذلك حقبّة ركّاح نجبا نقدة فالمغسل

هذه الأسماء لم تتغير منذ العهد الجاهلى إلى هذا العهد .

أما نقدة فهي روضة كبيرة تسمى اليوم « روضة النقد » سميت بهذا الاسم لأن أغلب نباتها نقدة

(١) معجم البلدان ٧/٥ ، وليس في ديوان الشاعر (٢) معجم البلدان ٢٧٨/٤ وديوان ليبد ٣٠ ليدن

النقد ، وشجرة النقد شجرة صغيرة ، أصفر من العرقة وأكبر من القفء ، زهرها أصفر يمر بهذه الروضة سالك الطريق من مرات إلى مكة فيجدها على يمينه .

والمفاصل : أودية ذات غسل ، وهى بلد المصنف من مقاطعة الوشم ، والأودية المذكورة مجاورة لهذه الروضة ، لا تبعد عنها أكثر من ساعة ، ونبات النقد مذکور فى كتب اللغة كالتقاموس وغيره .

* * *

٣٥ — وقال ليبد^(١) :

ألم تلمم على الدمين الخوالى سلمى بالمنداب فالفقال
فجئني صوءر فنعا فو خوالد ما تحدث بالروال

قد مضى الكلام على أكثر هذه المواضع ، إلا المذانب .

المذانب باقية على اسمها لم تتغير إلا تغييراً بسيطاً فإن اسمها الآن « المذنب^(٢) » وهو بلد كبير عامر كثير النخيل والمياه ، وهى واقعة بين عنيزة وقرى السر ، تبعد عن عنيزة أقل من مسافة يوم وهى فى الجهة الجنوبية من عنيزة ، وتبعد تلك الناحية من قرى القصير .

* * *

٣٦ — وقال طفيل الغنوى^(٣) :

* تربعت ما بين مذعاً وكبد *

وقال الراعى :

غداً ومن عالج ركن يُعارضه عن اليمين وعن شقيه كبد

كبد : جبل فى عالية نجد الجنوبية ، أسود المنظر عليه شبيهة ، وبه ماء مرة يقال لتلك الماء « ماء كبد » ويقال لذلك الجبل كبد ، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لم يتغير ، يعد من جبال العيلة التى كان يقال لها فى الجاهلية المنطى .

* * *

٣٧ — وقال النمر بن تَوَلب المَكلى شاعر جاهلى :

تأبّد من أطلال عمرة ماسل وقد أقفرت منها شراء فيذبّل

(١) هامع ثالث فى المعجم ١٣٤/٧ (٢) ورد المذنب فى شعر ليبد أيضاً ، وذلك قوله :

سفها ولو أنى أطيع عوادلى فيما يشرن به بسفح المذنب

(٣) المعجم ٢١٢/٧

فبرقة أرمام فجنباً متألح فوادي سليل فالندى فأنجل
ومنها بأعراض المحاضر دمنة ومنها بوادي المسلمة منزل

أكثر هذه المواضع قد مضى الكلام عليها في كتابنا ، ومما لم يجر ذكره أنجل ، والمسلمة .
أما أنجل فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال له « الأنجل » واقع في كتيب
السر المتد من جهة الجنوب إلى جهة الشمال ، والأنجل في القطعة الجنوبية منه ماء هج ، وهو
صالح للابل ، في المنتصف بين تبرك و بلد القويعة .

أما « المسلمة » فهي باقية بما يقرب من ذلك ، لأنها تغيرت بتقديم بعض حروفها على بعض
يقال لها اليوم « السلميية » وهي بئر جاهلية كثيرة الماء ، بين قرى السر والمذنب ، يراها سالك
الطريق الذي مر ذكره بعينه ، أحدث في هذا العهد الأخير فيها قصر ومزارع .

* * *

٣٨ — وقال عنتره :

طال النواء على رؤوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحرمل
فوقفت في عرصات متحيراً أسل الديار كفعل من لم يذهل
لعبت بها الأنواء بعد أنيسها والرامسات وكل جون مسبل

ذات الحرمل : باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، إلا أنه قد زيد عليه ياء النسب ف قيل « الحرملية » ذات الحرمل
وهو منهل عظيم في غربي المروت وشرقي عرض شمام في واد أغلب نباته حرمل .

* * *

٣٩ — وقال أوس بن نجير يرنى أباه ^(١) :

لعمرو بن رباح ما أصابوا بما احتملوا وغيرهم السقيم
بقتاهم امرأ قد أنزلته بنو عمرو وأوته الكلوم
فإن كانت رياحاً فاقتلوا وآل بجيلة النار المنيهم
فإنهم على المروت قوم نوى برماهم ميث كريم

وحدث ابن سلام قال : قال جرير وهو بالكوفة :

لقد فادني من حب ماوية الهوى وما كنت ألتى للجنينة أفوداً
أحب شري نجد وبالغور حاجة فغار الهوى يا عبد قيس وأنجداً

أقول له : يا عبدَ قيسِ صابئةً تأتي تَرى مستوقدَ النارِ أوقدًا
فقال : أراها أرئتَ بوقودها بحيث استغاضَ الجرعَ شيعاً وغرَقدًا
فأعجب أهل الكوفة بهذه الأبيات ، فقال لهم جزير : يا أهل الكوفة ، كَأني بأبنِ القَيْنِ
- يعنى الفرزدق - إذا بلغته هذه الأبيات يقول :

أعِدْ نَظْرًا يا عَبْدَ قيسِ لعالمًا أضأت لك النارُ الحمارَ المُقَيَّدًا
فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق ، يقول هذا البيت نفسه وبعده :

حمارٌ بمروءِ السخامة قاربت وظيفه حوَلَ البيتِ حتى تَرَدَّدًا
كَلِيبِيَّةٌ لم يجعلِ اللهُ وَجْهَهَا كريمًا ولم يَسْنَحْ لها الطيرُ أَسْعَدًا

المروء : أرض متسعة بين نفود السر وعرض ابني شمام ، وصفراء السر طرفها الجنوبي محاذٍ
أسفلَ وادى القويعية ، وطرفها الشمالي يتصل إلى ماء خف التي تَقِفُ عليها السيارات ، وفي جهتها
الواقعة بين الحرملية وماء الأنجل كان يوم من أيام العرب بين بني قُشَيْرِ وبين بني يربوع من
تميم ، ومعهم قوم من تميم ، فكانت النصر في ذلك اليوم لبني تميم ، وقتل في ذلك اليوم رئيس
بني قُشَيْرِ بجير بن سلمة ، قتله يزيد بن أزهري المازني ، فقال يزيد بن أزهري الصَّعِقُ يرثي بجيرا :

أواردة على بنو رياح بفخرهم وقد قَتَلُوا بُجَيْرًا

فأجابه العوراء من بني سبيط بن يربوع ، وهي تقول :

قَعِيدَك يا يزيدُ أبا قيس أُنذِرُ كِي تُلَاقِنَا النُّدُورَا
وتوضع بمجر الركبان أنا وَجِدْنَا فِي مِرَاسِ الحَرْبِ خُورَا
ألم تعلم قَعِيدَك يا يزيد بَأَنَا نَقَمَ الشَّيْخِ الفَجُورَا
ونقمع ناظرينه ، ولا نبالي وَنَجْمَلُ فَوْقَ هَامَتِهِ الدُّورَا
فأبلغ إن عَرَضْتَ بني كلاب فَإِنَّا نَحْنُ أَقْعَصُنَا بِجِيرَا
وضَرَجْنَا عَيْدَةً بِالْعَوَالِي فَأَصْبَحَ مَوْثَقًا فِينَا أُسِيرَا
أَفْخَرًا فِي الْخَلَاءِ بِغَيْرِ فَخْرٍ وَعِنْدَ الحَرْبِ خَوَارَا ضَحُورَا؟

هذا اليوم الذي مر ذكره في المروء من أعظم أيام العرب ، والمروء خالية من الجبال
والمعاقل ، إلا جيبيل واحد متاخم ماء الحرملية التي مر ذكرها وهي واقعة في أعلى المروء ، وهذا
الجبل يقال له « سوفة » لا يزال يعرف بهذا الاسم الذي أطلق عليه من العهد الجاهلي وهو الذي
يقول فيه جرير ، وهو يشير في هذا البيت إلى اليوم الذي انتصرت فيه قبيلة بنو يربوع على بني قشير :

بنو الخَطَفَى والخَيْلُ أيام سوفة جَلَوْا عَنْكُمْ الظَّامَاءَ وَالشَّقَّ نورها
قال في معجم البلدان : سوفة موضع بالمروت ، وأنا أعرفها ، جبيل صغير تراه وأنت في
أقصى المروت .

وهذا الموضع بعينه الذى كانت فيه الموقعة فى الجاهلية بين تميم وبين بنى قشير قد حدثت به
وقعة أعظم من الأولى فى أوائل القرن الرابع عشر ، بين عتيبة وبين مطير ومن معهم ومن والاهم
من قبائل قحطان ، وكانت من عادة العرب فى الجاهلية أنه إذا نزل المطر فى جهة من الجهات .
وأخصبت انتقل إليها مَنْ لم تخصب منازلهم ، فإن منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغما عنهم واقتتلوا
عليه كما قال شاعرهم فى ذلك :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضايا

فإن شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم ، على أن يصنعوا
ذلك معهم إذا أخصبوا ، أما يوم المروت الأخير فاجتمع من عتيبة جمع عظيم من برقأ والروقة ، ورؤساء
برقأ يومئذ : محمد بن هندى بن حميد وهذال بن فهيد الشيبانى وابن حنجة والهياطل وأبو العلا
والدهنية وأبو رقة والمهرى ، وقد حضر أغلب برقأ ذلك اليوم ، ورؤساء الروقة الرباعين والحيا ،
والمياه التى تشربها عتيبة : صميغان ، والخيس ، وأبو مروة ، والسديرى ، وجميع هذه المناهل فى
أسفل عرض ابني شمام مُتَّاحَةٌ للمرُوت ، ورئيس مطير نايف بن هذال بن بصيص ، ومعه جماعة
من برية ، وهم بطن من مطير ، ليس بالكثير ، والحاضرون من قحطان آل روق ، ورئيسهم محمد
ابن حشيفان ، وكلا الفريقين على ماء الحرملية التى مر ذكرها ، وأنا لا أعلم أن عتيبة هُزمت فى
يوم من الأيام التى تقع بينها وبين أعدائها فى نجد ، إلا فى ذلك اليوم ، وهو معروف عند أهل نجد
«مناخ الحرملية» ولكن نايف بن هذال بن بصيص من أهل الثبات فى الحرب ، وعدد مطير قريب
ثلث عدد العتبان ، وقد انهزمت فى أيام الحرب الأولى المطران والقحطانيون هزائم يسيرة ، وفى
بعض هزائم المطران مرفيحان بن زريبان رئيس الرخمان من مطير على ضيدان العارضى مذبوحة
راحلتها ، فعرف فيحان بن زريبان فقال بعد ما ندبه : لا تتركنى ، وضيدان المذكور من أرمى
أهل زمانه بالبندقية ، فعرف فيحان ضيدان ، وقال : اركب ، فلما استوى على ظهرها رماها
رجل من رُمَاة العتبان ، فسقط الاثنان مع سقوط الراحلة ، فثيا على أقدامهما ، فالتفت فيحان
ابن زريبان إلى ضيدان العارضى ، فقال : يا عمرى عمراه ، خشية من القتل ، فقال له ضيدان :
لا تخف ما دام فى حزامى رصاصة واحدة ، فتقدمهم رجل من آل محيّا على جواده ، فرماه ضيدان

فجندله ، وما لحقهم من الخيل رماه ، فقدمهم رجلٌ يقال له « فَلَاحِجُ الْبَرَاقِ » من جماعة ابن ربيعة من الروقة ، فسد الثنية ، ومعه بندقية ، فجلس له ضيدان ، فضر به برصاصة من بندقيته ، وهي من الصمغ ، فيما بين عينيه فجندله ، فاتسع أمامهما الطريق ، وانفرج لهما فساراً حتى وصلا أهلها على ماء الحرملية ، فقال فيحان بن زريبان أبياتا نبطية يذكر فيها قتل راحلته ، ويذكر ما أصاب ضيدان ببندقته :

يا فاطرى ما أرخصت فيها بلاثمان	إلا يوم ما يقلب صوبيه
رديتها لَمْخَجِي الحرد ضيدان	ما نيب من بالضيق ينسى أصحيه
رديتها من ريع سوفة على شان	تنجيه وقت الضيق والا تنجيه
قلت استرح في كورها يا أبو سلطان	وللناس مع هالك الثنايا حطيه
صيت وغطانا من الملح دخان	وعج كثير ولا نشوق الظريه
قال ابتجح بالنصر يا بن زريبان	والطير يبشر بالعشا من عتيه
يا زين ذبحه والملح له ترثان	لبن محميا عند خشم الجذيه
نمن ذبح عندك جوادين وحصان	وفلاج بالدشه وراها رمى به
هذا عشى للضيع والذيب سرحان	أيام بالمروت يرفع قنيه

أنظر ترشعراء الجاهلية ذكروا المروت ، وذكر جرير سوفة في قصيدته ، لما ذكروا اليوم الواقع في هذا الموضع ، ومنه تعرف أن المروت في جانب سوفة ، وانظر هذا الشاعر العربي المتأخر تجده لما ذكر اليوم الأخير في الواقع ذلك الموضع نفسه ذكر المروت ، وذكر سوفة أيضاً . أما الهزيمة الشنعاء فقد كانت في آخر الأيام على عتيبة ، وانتصر الحاضرون من مطير ومن معهم من قحطان ، لما شاء القضاء والقدر أن ينزل الهزيمة بالعتبان اجتمع رؤساء مطير وقحطان ، يدبر أمر مطير نايف بن هذال بن بصيص ويدبر أمر قحطان محمد بن حشيفان شيخ آل روق ، فقال نايف ابن هذال : يا قوم تعلمون أن عتيبة أكثر عدداً منكم ، ولكني سأعرض عليكم رأياً لا ينجح أمركم إلا به ، إنى أرى أن تناوش في القتال مع العتبان نحن معشر مطير ، ويبقى من فرساننا قوم يجتمعون إليكم يا معشر قحطان وليكن رئيسكم محمد بن حشيفان ، فإذا التحمت بيننا وبين العتبان فانتوهم من خلفهم ، فإذا توجهوا إليكم كررنا عليهم كرة واحدة ، قالوا . سمعاً وطاعة ، هذا هو الرأي ، فدبروا هذا التدبير ، فلما التحموا جاءت قحطان ومن معها من المطران فأول من وقعوا عليه الشياطين ورئيسهم هذال بن فهيد ، فانهزموا ، وبقيت الهزيمة لهم عادة ، بل هم أشد وأجلد

الناس في الحرب ، فلما رأى العتيبان أن الميمنة اختلفت اختلف القلب ، وتزعزع ، ثم تزعزعت الميسرة ، ثم كانت الهزيمة .

حدثني رجل ممن حضر هذه المعركة يقال له غايب بن معية من قبيلة العصمة ، قلت له : هل صحت هزيمتكم يوم الحرملية ، أو أنكم كنتم متراجعين لتتحيّزوا لقتال ؟ قال : لا والله ، بل هزيمة شنعاء ، ولم نتراجع إلا على ماء عروى ، وهي تبعد عن موقع المعركة مسافة يوم أو أكثر ، وقال في حديثه : لما انهزمنا كان رئيس قحطان محمد بن حشيفان على فرسه المشهورة ، وعليه جوخة حمراء ، وهي عادة الفرسان في المعارك ، يلبسون شيئاً يمتازون به على غيرهم ، وكان على أثر العتيبان ، بيده سيف ، ومعه رمح ، فإذا لحقهم قريباً أخذ يخالده بالسيف ، وإذا بعدوا عنه أخذ يرمي بالرمح ، فقال يزيد بن مغيرق من قبيلة العصمة وهو من الفرسان ومن الرماة لأصحابه : إني قد عزمت على قتل هذا الفارس الذي أهلك القوم ، ومع يزيد بن مغيرق بندقية من الصمغ فأعدّها ومال بجواده ، وأخذ يراقب غريمه ، فلما حانت له الفرصة اتهمزها ، وسدّد بندقيته إليه ، فكان فيها حتفه ، فسقط عن جواده ، وأخذ يزيد الجواد ، وذلك أكبر شاهد له على أنه هو الذي تولى قتله ، فلم ينازعه في جواده أحد ، وهذا الجواد من أعرب خيل نجد وأكرمها ، وإسمها الطرقاء .

كان فارس الدويخ من الروسان من قبائل عتيبة قد جلا عن وطنه من دم وغرم كانا عليه ، فنزل جاراً لصاحب هذا الجواد محمد بن حشيفان ، وكان فارساً زريّ الهيئة قبيح المنظر ، وبعد نزوله عليهم بخمسة أيام أصبحوا فإذا الطرقاء ليست في مربطها ، ثم وجدوا أثر رجل علموا أنه قد أخذها بليل واتجه بها إلى بلاد عتيبة ، وكان من عادتهم أن هذا العتيبي يمنع عنهم في سلمهم ، فالتفت ابن حشيفان إلى ابنه فقال : ما ظنّك بهذا الجار ؟ يعيد إلينا الطرقاء أم لا ؟ قال : لا أعلم ، وإن جارك لا يعجبني ، والكلام كله في أذن جارهم فارس الدويخ ، ولما أتاها في مجلسهم قالوا : ما رأيك في الفرس ؟ قال : سننّبّعها ، ونسير على قواعدنا ، فركب الولد والجار على رواحلهما ، وأخذوا يتبعون أثرها حتى أدركوها عند الشعراء ، عند رجل من الدعاجين من جماعة ابن عقيل يقال له ابن عرويل فلما كانوا في وسط منازلهم رأى فارس الدويخ ابن عرويل يقود الطرقاء قاصداً حوض ماء يريد أن يسقيها منه ، فلما رآها قال لصاحبه صاحب الفرس : أنا رأيت الفرس ولا أحتمل أن أتركها ، ولكن اندفع أنت إلى تلك الأخبية فإنها أخبية قومي الروسان ، وانتظرني عندهم حتى آتيك بفرسك أو تأتوني ميتاً فنزلوني قبري ، وهو محتزم بخنجر ، وهي من سلاح الأعراب كالسكاكين ، فاعترض سائق الطرقاء قبل أن يصل الحوض ، فأمسك بزمامها ، فقال (١٥ - صحيح الأخبار ٢)

له ابن عرويل : ماشأنك ؟ قال : شأني أن أفسكها بيدي أو تقتلني أو أقتلك ، وفانونُ قبائلنا بيني وبينك ، فلما رأى ابن عرويل الجدَّ ، وخصمه شاهر خنجره بيده فكَّ حبلاً بيده ، وقال : بيني وبينك سلم القبيلة ، فركبها واندفع إلى قبيلته فقال عند ذلك أباينا نبطية منها :

ماروح والطرفاء تبوج الدواوير والله ما جنب عن قصيرت عيالي

والله ما أجنب عن رسنها ولا سير إلا حدينا للمقابر يشال

فصح عندهم أن الفرس جارة له ، فلم يدأعوه ، فثبت أنه جار لأصحاب الفرس ، وتركوا مطالبته ، ورجع الولد القحطاني إلى أبيه ، ومدح الجار عند والده ، وذكر ما رأى منه من الجد ، وبقيت كلمة الولد التي يقولها لأبيه حين سأله عن الفرس في نفس الرجل ، فلما رجعوا ووصلوا منزلهم استأذن ابن حشيفان الدويخ أن يرحل إلى جهة أخرى ، ولم يخبره بالسبب ، فأعطاه ناقين إكراماً له ورحل عنهم .

نرجع إلى رئيس مطير « نايف بن بصيص » فإنه رأس قوم من مطير ليسوا بالكثيري العدد يقال لهم الصعران ، وهم من قبيلة بربه ، ومطير تنقسم إلى قسمين : قبيلة علوى ، وهم الذين منهم الدوشان من أكبر رؤساء مطير ، وليس يرأس الدوشان أحد ، بل يرأسون قبائلهم ، القبيلة الثانية بربه الذين منهم الصعران قبيلة ابن بصيص ، ورؤساؤهم كثيرون ، ولا أعلم رئيساً من الرؤساء لامن الدوشان ولا من غيرهم من القبائل حارب عتبية وحادهم في بلادهم مثل هذا الرئيس نايف بن هذال ابن بصيص ، وكانت في أوائل القرن الرابع عشر أربعة مناحات بين عتبية ومطير ، وقد كان في هذه الأربعة كلها عمود مطير وعمادهم ، وسمى الاجتماع في الحرب مناخاً من إناخة الإبل يومين أو ثلاثة في مراحلها وقت المعارك خشية عليها أن تؤخذ ، فيقال للاجتماع مناخ : المناخ الأول مناخ الحرملية ، وفيه انهزمت عتبية ، والثاني مناخ الدوايمي ، اجتمع عندها مطير قسم من علوى وقسم من بربه ، أما رؤساء علوى فهم وطبان الدويش وعماش الدويش ، ورئيس بربه هو الرئيس المذكور نايف بن هذال بن بصيص ، وحرب بنو على بطن من مسروح على ماء عرجار رؤساؤهم عبد الله الفرم وصنيتان الفرم ، وهم عضد للمطران على عتبية ، وعتبية على ماء الشعراء رؤساؤهم محمد بن هندي بن حميد ومناحي الهيظل وخزام المهري وأبو العلا وابن جامع وأبو رقية ، وفي يوم من هذه الأيام تناوشت فرسان مطير وعتبية ورجع كل عن صاحبه من غير أن يهزم أحدهم الآخر ، ورجع العتبان ، ومحمد بن هندي بن حميد قد نالته إصابة ، ومناحي الهيظل قد نالته إصابة ، وخزام المهري قد نالته إصابة ، وجزا أبو العلا قد نالته إصابة ، هؤلاء الرؤساء الأربعة أصيبوا في يوم

واحد برؤوس الرماح ، ولم ير أحد منهم بأساً ، وامتد المناخ قريباً من عشرين يوماً ، ثم رحل المطران من الدوادمي لم ينقص أحد منهم ، غير أنهم رأوا العتبان كل يوم في ازدياد ، لأن البلاد بلادهم ، فلما رأوا ذلك ارتحلوا ، وحين بلغ رحيلهم العتبان المقيمين على ماء الشعراء ارتحلوا عن بكرة أبيهم ينوون الصباح على ماء عرجا ونهب الذي عضد المطران على حربهم ، ولم يعلم برحيلهم الفرم رئيس بني علي ، فخذوا أول ليلهم وقطعوه في السرى ، فوصلوا عرجا صباحاً ، ولكن ردّهم الحربيون ردّاً عنيفاً ، وتواقفوا إلى قريب الظهر ، والحربيون لا يبلغ عددهم خمس العتبان ، فلما زالت الشمس أو قرب زوالها أغار العتبان غارةً رجل واحد ، وهزموا حرباً بعد قتال عنيف ذهب فيه عدد من الفريقين ، وقال التويجر من شعراء الروقة من عتبية أحياناً نبطية منها :

ليت نايف حاضر دقلت جملنا والله ان يحلى نجد بالقلب النظيف
رديفكم شلتناه من عرجه لاهلنا وأكبر عليكم يا مخيلة الرديف

وقول الشاعر «ليت نايف» يعني به نايف بن هذال الذي رحل من الدوادمي ولم يحضر . انتهى
والمناخ الثالث : مناخ الجنفاء ، وهو بين عتبية ومطير ، ولكن مطيراً لم يحضر منهم إلا قوم من بريه يرأسهم الرئيس المذكور نايف بن هذال ، وعتبية لم يحضر منهم إلا قسم من بقاء وقسم من الروقة ، وحضر هذا المناخ تريحيب بن شري بن بصيص ، وهو أفرس رجل عرفه الناس في زمانه ، وحدثت في هذا المناخ مناوشات وقاتل ، ولم ينهزم أحد ، بل بعد مضي عشرين يوماً تصالحوا ، والمطران يشربون من روضة مطربة ممتلئة من المطر الواقعة شمالي العيون عيون السر ، وعتبية يشربون خباري ومياه العيون ، فتصالحوا على السلم ، فرحل المطران وجعلوا كثيب السر بينهم وبين العتبان ، وقصدوا الجهة الجنوبية لأجل المرعى ، ورحلت عتبية قاصدة عالية نجد ، فلما وصل العتبان الضال والتسرير قريب الدوادمي عارضهم الأعداء والغزاة يدفع بعضهم بعضاً ، ورئيس الأمداد من بقاء هذال بن فهد الشيباني ، وقسم من الروقة كل قبيلة برئيسها ، ولما التقى هؤلاء القوم الغازون بأولئك العائدين قالوا الرئيس بقاء محمد بن حميد : ارجعوا معنا ، فأجابهم بأننا تصالحنا مع ابن بصيص وقبائل مطير التابعة له وتهادنا أياماً معلومة ، فلا نستطيع لكم أن تغاروهم قبل مضي هذه الأيام ، فترشوا حتى إذا انقضت مدة الهدنة فاجأوا مطيراً وهم غارون يشربون من غدير الحور بين خرماء ومراة ، فاجتلد الفريقان ساعة من نهار ، وانتهت بقتل الفارس تريحيب بن شري بن بصيص ابن عم نايف بن هذال ، ولم يكن عمره قد بلغ اثنين وعشرين عاماً ، على أنه لم يقتل إلا وقد ذاع صيته وعرف بالشجاعة النادرة ، عرفته فرسان غزاة

وفرسان شمر وفرسان حرب وفرسان عتيبة وفرسان قحطان ، وفارس عتيبة على الإطلاق في مناخ الجنيفاء الذي مر ذكره خزام المهري رئيس الدغالة اعترف لتريحيب هذا بالمرزلة العالية في الفروسية .

وهذه المعركة التي قتل فيها تريحيب هي المناخ الرابع .

ذكر الحوادث المتعلقة بذلك المناخ الرابع الذي قتل فيه تريحيب : لما توجه الغزاة بعد لقاءهم لمحمد بن هندی بن حميد وقومه الراجعين من مناخ الجنيفاء ساروا يلتمسون المطران وهم عتيبة : أقسام من بقاء والروقة ، وكان معهم امرأة على مركب من مراكب النساء هودج صغير وهي من قبيلة النعمة من عتيبة ، فالتفت إليها فاجر السلاة رئيس القسامة من ذوى عطية من الروقة ، فقال : ما شأنك أيها المرأة ؟ قالت : أنا امرأة موتورة قتل تريحيب بن شري أخى بالأمس في المناخ ، ولما أجد في قلبى من الحرارة والأسى على أخى رغبت في السير مع هؤلاء الغزاة طلبا لثأر أخى ، فقال لها فاجر السلاة : تقتلينه أنت ؟ قالت : لا والله تقتله أنت إن شاء الله ، ثم التفت إليه ثانية فقالت : أتكفى أنت فقتله ؟ فقال : والله إن رأيته لأذبحه ، فكانت منية تريحيب على يده ، وفي اليوم الأول الذى قبل مقتل تريحيب بيوم اجتذبت الخيل ، فالحق تريحيب خيل الروقة ، فعثرت جواد ابن تنيبك رئيس المراشدة ، وسقط عنها ، فأخذها تريحيب ، فطلب إليه العفو ، فعفا عنه وخلي سبيله ، فلما كان اليوم الثانى وجاء تريحيب على عادته أدبرت خيل الروقة وهو على أثرها ، وكان فاجر السلاة قد عرفه بالأمس وأحب أن يفي بوعده للمرأة فأعد بنديقته من الصمع وهو من الرماة المشهورين ، فلما أسند تريحيب واعترضت جواده رماء فأصاب ساقه فكسرها وأنفذ السهم في الفرس فسقطت ، وسقط تريحيب معها ، فجاء ابن تنيبك الذى من عليه تريحيب بالأمس فقال له تريحيب : امنعنى كما مننت عليك بالأمس ، فقال له ابن تنيبك : لا والله بل أقتلك وأريح عتيبة منك ، ثم قتله وأخذ سيفه وما معه من السهام ، وبعد يومين أخذ جميع ذلك فاجر السلاة الذى كان أصابه ، وهذا عُرف عند قبائلهم ، يعملون السلاح والسلب وما يمتلكه القتييل من الفرس وغيرها لمن ضربه أولا فعاقه عن الحرب ، لا لمن أجهز عليه ، وفي اليوم الثالث من أيام مناخ الجنيفاء وحوادثها كان الفريقان قد مل بعضهما بعضاً ، فبعث نايف بن هذال بن بصيص ابن عمه شري بن بصيص أبا تريحيب الفارس المذكور لطلب الصلح بين العثتين ، فأتاهم على جواده في غلس الصبح حتى وقف عند بيت رئيس العتبان محمد بن هندی فلم عليه وعرفه بنفسه ، وكانت خيل العتبان عند غروب الشمس اشتبكت مع خيل المطران وقتل ناحى الضرة من فرسان

عتيبة المشهورين وهو من الدَّغَالبة جماعة خزام المهري ، قتله تريخيب بن شري ابن هذا الذي يطلب الصلح ، فطلب من محمد بن حميد أن يتصالحا ويكف بعضهما عن بعض ، ويرعى أرضَ الله كلُّ آمن ، فقال : نعطيك ذلك ، فلما قَرُب من فرسه ليركب بعد أن اتفقا على الأمان مع الرئيس محمد بن هندی بن حميد إذا فارسٌ قد أقبل عليهما مسرعا ، فقال ابنُ هندی لشري بن بصيص : لا تركب جوادك حتى نرى خبر هذا الفارس ، فلما وصلهم عرفوا أنه خزام المهري الفارس المشهور من عتيبة ، فبقى على ظهر جواده ، ثم قال للأمير محمد بن هندی : أيها الأمير لماذا لم تركب لتسير إلى حومة الوغى ؟ فقال : لقد تصالحنا وأمانهم ، وهذا شري بن بصيص يطلب الصلح ، فقال له : اللعنة على شري بن بصيص وابنه تريخيب ، أما عمت أن ابنه تريخيبا قتل ناحي الضرة البارحة ؟ وإن نصلحهم حتى نثار بفارسنا ؛ فصاح بأعلى صوته ، وشق جيبه ، وقال عتيبة : يا رفاقة ناحي ، يا ناثر ، وهذا نداء جرت به عاداتهم ، ثم اندفع خزام إلى جبهة المعركة التي كانت بالأمس فأندفعت الخيل في إثره ، ثم ركب محمد بن حميد بكوكبة من الخيل على إثرهم ، والتفت عند ركوبه إلى شري بن بصيص الذي يطالب الصلح فقال : اعذرني لقد رأيت بعينك وسمعت بأذنك ، فأغارت خيل العتبان ، فالتفت شري بن بصيص إلى خالد بن حميد وهو باقٍ عنده لم يركب مع أهل الخيل فقال : إن الذي وجدوه أمس سيجدونه اليوم ، فلما قربوا من خيل مطير إذا هي قد استعدت للجلاد ، فكانت ميمنة مطير هي التي تلى ميسرة العتبان وفيها تريخيب ابن شري وجملة من فرسان قومه وفيها طامي القريفة وهو فارس مقدم رام بالبندقية ، وقد اتفق مع تريخيب أن يكون هو على جانب فإذا هُزمت الخيل فهو يحفظها ، ومن اعترض أو أسند رَمَيْتَهُ بالبندقية ، وحدثني فارس من عتيبة شهد هذه الغارة الأخيرة قال : لما اختلطنا بهم وعرفنا أنه تريخيب منحناه أظفرنا ، فندب بعضنا بعضاً ، فأسند شيب بن حجنة ، وهو من الفرسان والرماة ويندقته صعاء ، فلما اعترضت جواده رماه طامي القريفة ببندقيته فقتلها ، فنزل وسار على قدميه ، وندب فرسان قومه ، فأركبه سرحان بن ثويمر من رؤساء النقطة على جواد عريب ، فانهزمت خيل عتيبة ، وكان معهم رجل يقال له غايب بن معية على حصان ، وهو من قبيلة العصمة ، فكان الحصان انقطع به ، فرفع صوته يندب شيب بن حجنة أدركني ؛ فقال شيب لما سمعه لابن ثويمر : أردع الجواد ، فأبى خشية أن يصيبها مثل ما أصاب جواد شيب ، فلما مر بجحر قليل وظن شيب أنه يُخْفِيه نزل ، فكمن في وسطه والخيل قريب ، أولهم صاحبُ الحصان والذي يليه طامي القريفة على جواد حمراء ، فرماها شيب بن حجنة فأصابها ، واحتفى طامي خشية أن يقتله

شبيب لأنه يعرفه من الرماة ، وكلما جاء صاحب فرس ووقف عند طامى لإركابه رماها شبيب قتلها ، فقتل أربعا من الخيل في موضع واحد ، حتى نجا صاحب الحصان ، فلما انتهى قتال ذلك اليوم وشرى باقي في بيت ابن حميد صالحهم صلحا جديدا واقتروا ، وفي الأمداد الذين عارضوا ابن حميد بعد مفارقتهم العصمة من الرؤساء أبو العلا والعقيلي وابن مغيرق قبل أن يلتقوا بابن حميد ، وقبل أن ينتهي القتال سكب مشعان أبو العلا فنجالا من الدلة ووضع في مجلسه بين الفرسان وقال : هذا فنجال تريحيب ، اثمر بوه ، فأبوا ، ثم ندب بنيه سلطانا وجزا ، ثم ندب العقيلي ، ثم ندب مزيد بن مغيرق قاتل محمد بن حشيفان ، فأخذ الفنجال فشربه ، ثم قال له : يامشعان أنا أعلم أنك تحب أن أقتل ، ولكني قد شربت هذا الفنجال ، والله لن رأيت تريحيبا لأقتلنه أو يقتلني ، ولتريحيب إخوة هم غالب وغلاب ، وهما أخواه لأبيه ، وله أخوان لأمه : أحدهما متعب بن جبرين من أفرس أهل زمانه من مطير من بنى عبد الله ، والثاني من غير تثبت غلام من قبيلة الملاعبة من مطير ، ذكروا أنه في مناخ الدوادمي لما اجتاد العتبان والمطران ، قصد إلى محمد بن حميد بين الفرسان واشتبكا على ظهور خيلهما حتى نزلا في الأرض ، وذكروا أن الثلاثة من أفرس العرب .

ذكر الحوادث المتعلقة بالمناخ الذي قبل هذا ، وهو المناخ الثاني من الأربعة ، عتبية تسميه «مناخ الشعرا» ومطير تسمية «مناخ الدوادمي» وأهل نجد يسمونه «سنة عرجا» حدثني خلف بن إبراهيم بن خلف من سكان الشعرا قال : أخذ لنا إبل وأخونا من مطير عماش الدويش ، وخرجت من الشعرا إلى بلد الدوادمي طلبا للإبل يسترجعها أخونا عماش الدويش ، فحُت نادية ، فوجدت رجلا جيلا مرجلا شعره جالسا متكئا على رجل له موضوع ومجلسه مليء بالرجال ، فقلت : السلام عليك يادويش ، وأنا أحسبه عماشاً ، فقال : وعليكم السلام ، فجلست فالتفت إلى فقال : ما شأنك ؟ فقلت له : أنا أخوك من أهل الشعراء ، أخذت مطير قبيلتك إبل ، وقصدي أنك تؤديها إلى ، فالتفت إلى بعين مغضبة فقال : نبأنا كل إبلك ونأخذكم ، لأنكم عتبان في وسط عتبية ، ولأنك عندنا وجه ولا عاني ، فسقط في يدي ، ولم يكن هذا عماشاً ، وإنما هو ابنه ، فالتفت إلى رجل قريب من مجلسي فقال : هذا ابن عماش ، أما عماش فهو هذا الرجل الراقد ، فالتفتُ إليه فإذا رجل قبيح المنظر نصف شعره أشيب ، كأنه نائم وليس بنائم ، ملتف في عباءة بقاء ، فلبثنا قليلا ثم تحرك وجلس ، فنهض القوم إكراما له حتى جلس ، فلما استوى جالسا نهضتُ إليه وسلمت عليه ، فرد على السلام أحسن رد ، ثم التفت إلى صاحب له ورمي إليه عظما ، فقال : املاء من التتن ، فلاءه

وأشعله ، فلما خاض من تننه التفت إلى ابنه فقال : يا عبد الله ، فقال : لييك يا أبتِ ، فأول كلمة تكلم بها أنه قال : حسبي الله على والدتك ، غررتي بحسبها ، والله ما أنت عريب ، لقد سمعت كلامك مع راعي الشعراء ، كيف تجرؤ على هذا الكلام ؟ أما علمت أنه أخوك صاحب قرية لا يشد ولا يمد ولا يغير ولا يغير ، ونقول له : نبأ نأخذك أنت عتيبي في وسط عتيبة ، ولكن يُعْفِيكَ مما استوجبه كلامك هذا أن تركبوا الآن لتجمعوا له إبله ، ومن امتنع من تسليمها فأتوني برأسه ، فمكث قليلا ، فجاءت الإبل تحدها الخيل ، فاستلمتها ، وعزمت على السير إلى بلدى ، فقال : إن لى بك حاجة ، أقم عندنا اليوم ، فلما كانت الفداة جاءت الخيول لتتوجه إلى قتال عتيبة ، وجاء ابنه عبد الله ، وحضر جواده ، ورحل على ذلول من أعرب جيشه ، وقصده أن تكون زاملة لفرسه ، فالتفت عماش إلى ابنه فقال : ضع عَنَّا الرَّحْل وضعه على جل ، فإني أظن ركابكم لا يرجع منها شيء ، فأخذ الرحل ، فوضعه على جل ، ومشوا إلى جهة الشعراء ، فلما غربت الشمس جاءت الخيل وقد أخذت الركاب ، ولم يرجع الجمل ، فلما أصبحت وعزمت على الرحيل دعاني وقال : إذا وصلت بلادك فِرْ وَزَنْتَيْن من القهوة وانطلق بهما إلى محمد بن هندی بن حميد وقل له : هذه لك من عماش الدويش تجديدا لما كان بيننا وبينه من العملة السابقة ؛ فإن أحب أن تبقى فإنه يأخذها تجديدا لها ، وإن أحب أن تنقطع فسيتركها ، قال : فجننت وأخذت القهوة وذهبت بها إلى ابن حميد وأخبرته بما دار بيني وبين عماش ، فأخذ القهوة وقال : بل نجددها ، وهذه تكون عملة خاصة بين الرئيسين فقط ، لو أغارت مطير على إبل عتيبة المقيمين في بلاد الشعراء وأخذت إبل ابن هندی مع تلك الإبل يجب على عماش الدويش أن يردّها ، ولو أخذت إبل عماش وجب على ابن حميد أن يردّها ، واقتربت ثلاث قبائل من هذه القطعة المتوسطة في نجد ، فكانت المزميمة فيها على حرب القاطنين على ماء عرجاء .

الحوادث الواقعة في مناخ الحرمية ، وهو المناخ الأول ؛ لأنه في السنة التاسعة من القرن الرابع عشر ، وقتل تريخيب كان في السنة السابعة عشر من القرن الرابع عشر من الهجرة ، وكان تريخيب أيام مناخ الحرمية صغيرا لم يحسن ركوب الخيل ، وفي مناخ الدوادى كان يركب الخيل ويرغب أن يحضر المعارك ، ولكن أهله كانوا يمنعونونه ؛ فكان يحضر المناوشات الخفيفة ، فلما بلغ سبعة عشر سنة ظهرت مخايله ، وقتل لما كمل إحدى وعشرين سنة من عمره .

فمن حوادث مناخ الحرمية أنه لما انهزم العتبان وقحطان على أثرهم عثر جواد محمد بن هندی به وسقط ، وكان الذى يليه من الفرسان فارساً مقداما يقال له « دهنين » من آل روق ، من

قبيلة محمد بن حشيفان ، فنزل عن جواده وتطاوله ووضع نفسه عليه ، وقال : يا قوم ، والله إني قد أمنت
وهو كاذب ، ولكنه رغب أن يصنع جيلا مع هذا الأمير العاقل ، فتنازع القحطانيون فيه : قسم
يحب قتله ، وقوم دهنين عزموا على منعه ، وعندهم شك في صاحبهم أنه لم يؤمنه ، ولكن أحبوا
تثبيت كلامه ، فمنعوه ، فكان الذي أخذه دهنين من الإبل من محمد بن هندی بن حميد مقابلة
الجميل مائة وعشرين ناقة ، غير أنه لم يأخذ ذلك دفعة واحدة ، بل كان إذا أتاه أعطاه المتيسر :
تارة عشرا ، وتارة أقل ، ولكنه لم يعطه أقل من ثلاث ، وهذا الرئيس من دُهاة الرجال ، وعنده
تروى في الأمور ، وأناة في مهمات الأمور ، إذا رأيت بعض حيله لم تشك أنه من أدهى الدهاة ،
حدثني حشر البواردي من أهل شقرا قال : كنت مع محمد بن هندی بن حميد ، وكنا ضيوفا عند
الشریف الحسين في مكة ، فكان الشریف قصر في إكرامه ، وعنده بعض شيوخ الروقة ،
وظن ابن حميد أنه قد وشى به وإش عند الشریف ، فلما أحس تقصير الشریف قال لنا : هذا
الشریف أنا في الصبح أرميه بخبر يحمله على إكرامی ، وقد بقيت متحيرا فيما عسى أن يكون هذا
الخبر ، فكانت إقامتنا في العبادة ، فركبنا وراحلنا صباحا قصد الشریف ، فلما دخلنا عليه ،
وكان يدني مجلس ابن حميد من مجلسه ، وأخذنا مجالسنا ، وتجادبنا الحديث ، حتى خضنا في ذكر
الجليل ، فقال ابن حميد : نظرت اليوم ذلولا نجبية معروضة للبيع لم أر مثلها ، فالتفت إليه
الشریف فقال : أين هي ؟ فقال : مررت بها تحت قصر سعود بن عبد العزيز الأول الذي ملك
مكة ، فاضطرب الشریف في مجلسه وقال له : ليس له قصر ولم يملك مكة ، قال ابن حميد : هذا خبر
أكيد ، فسكت ، فافتقرا والشریف مُغْضَبٌ ، فوالله ما وصلنا منزلنا إلا وقد جاءت الحلال والنقود
والكرامات الزائدة ، فتعجبت من هذا الاستنباط البعيد المرامي ، وله أمور عجيبة ، حدثني رجل
من قومه يقال له راشد بن هذلي قال : قصدنا ماء الشبيكية الواقعة في جهة الحامر - وهي اليوم
ممكن الذويبي ، عرت في هذا العهد - ونحن قليلون ، ولم نعلم حولنا من قبائل حرب أحدا ،
فجاءنا المرتاد فقال : إن على الماء عربا كثيرين ، فرأينا صاحب غنم ، فأمرني أن أركب جوادى
وأسأله عن أولئك القوم ، فركبت جوادى وأتيت فسالته ، فقلت : من هؤلاء العرب ؟ فقال :
هذا الذويبي ومعه قبائل حرب ، وابن حميد ومن معه لا يستطيعون ردهم وليس لهم بهم طاقة ،
فرأيت الرجل قد اهتم واختلط فيه الطمع والخوف ، فقال لي : اركب جوادك ، واقصد الماء ، وقل
لنا هس الذويبي - وهو رئيس القبيلة - : في وجه من وردت هذا الماء ؟ فإذا قال لك « من
أين أتيت » فقل له : أرسلني محمد بن هندی بن حميد ومعه قبائل عتيبة ، وأنا الآن بحيث

لو صحت بأعلى صوتي لسمعتي ، فركب راشد جواده ، وقصد ماء الشبيكية ، فقال لناهي الذويبي ما قاله له محمد بن هندی ، وردّ عليه ناهي كما ظن ابن هندی ، فأخذ عقال راشد من فوق رأسه فوضعه في رقبته وقال : حِتّا دخلاك من عتيبة ، وترانا في وجهك ، وقال له : أنتم آمنون ، فرجع إلى صاحبه ، فأركب الجيش يستنهض عتيبة أن تأتيه ، وانكف بعد ما شرب الماء إلى جهة قومه ، ولكنه مع هذا الدهاء والزكّانة كان يخطئ في بعض الأوقات ، ويتجبر على بعض الأعداء ، يدفعه إلى ذلك كثرة أنصاره ، وأنه مُطاع في قومه لا يردون له مقالا .

حدثني رجل من فرمان المقطة قال : كنا قرب ماء عروى ، وجاءنا خبر أن قنيفذ بن لبدة رئيس آل سعد من قحطان ، وهو من الفرسان المشهورين ، نزل عند جبيل سوفة الذي مرّ ذكره فقال لقومه : إن الله أخرج هذا الفارس من جباله ومن بلاد قومه وليس معه إلا شرذمة قليلة ، وقد عزمنا أن نغزوه بكوكبة من الخيل لعل الله أن ينصرنا عليه فنقتله ، فقال له رؤساء قومه : أرسل من يرتاد لك الخبر ، فبعث حضريا من سكان قرى العرض ، فقال له : اعرف لي منزله ، وكمّ معه من الخيل ، فقصد الرجل واستضافه ، وكأنه ينشد ضالة ، فلما رجع إلى ابن حميد قال : وجدته وليس معه من الفرسان إلا عشرة ، قال : هل تعرف منهم أحدا ؟ قال : أعرفه وأعرف أخاه منيفا وضويحي وجديع آل الجرو من قحطان ، فقال : هؤلاء الأربعة يعدلون أربعين فارسا ، ولكنني سأسير إليهم بستين فارسا من باب الاحتياط ، فمشى بستين فارسا كلهم على صهوة جواده ، ومعهم ركاب تحمل الماء والكلأ للخيل ، فأغاروا عليهم بجانب سوفة وهم حول : المرأة منهم تبني الحباء ، والرجل عند إبله أو جواده ، وكان قبل أن يسير من عند أهله بيوم قال : عدّوا لي الرماة ، فإني أحببت أن آخذهم ، وأمر بهم على طريق قنيفذ في المعركة ، فيرموه بالبندقية قالوا : نعرف هضال بن درية الذي ينزل الأروى من شفاف الجبال وهي تعدو لا يخطئ سهمه ، والثاني ابن خشيبان ، والثالث طريحم بن حريش من الشلاوى ، فجمعهم وأخبرهم بحاجته ، فاضطلعوا بها وكل قال : إذا رأيته قتلته ، فأخذهم معه ، فلما شن الفارة بجانب سوفة واجتلدت الفرسان أخذ الرماة ووضعهم في موضع وقال لهم : سأستطرد له وأمر به عليكم ، ولكن اجتهدوا في قتله ، فلما اجتلدوا انهزم ابن حميد لير به على الرماة ، فتبعه قنيفذ يريد قتل ابن هندی ، وكانت هزيمته حيلة لم يرم منها فائدة ؛ فر على هضال ولم يرم ، ومر على ابن خشيبان ولم يرم ، فالتفت ابن هندی إلى قنيفذ فرمى رمحه قريبا من ظهره ، وصاح يزهم طريخما أعني ابن حريش ويومي . إليه بيده ، ويقول أرم أرم ، ثم ترك التنبيه على الاسم ، وقال أرم يا شلوى باسم القبيلة ، فلم يرم ، (١٦ - صحيح الأخبار ٢)

فالتفت إلى خيله فقال : امنعوني من هذا الفارس ، وكان زايد بن حريميس ^(١) من فرسان الروقة يسمعه ، وهو من الفرسان التابعين لابن حميد ، فجاء مسرعاً عرضاً ، ف ضرب قنيفذاً برمح على قفاه وأذنيه ، فشرم إحدى أذنيه ، وجرح مؤخر رقبته ، فصاح قنيفذ وزاد جَلَّادَةً ، وقال : الكلب تريد لا يُغْلَث حتى تقطع أذناه ، وهذه قاعدة عند الأعراب في كلابهم ، إذا أحبوا أن الكلب يزيد حمايته للبيت قطعوا أذنيه ووضعوها في تمر حتى يأكلها ، حتى إنه بقي مثلاً عند عامة أهل نجد في عهدنا هذا ، إذا زاد كَلَجَاح رجل في منازعته قالوا « إن هذا أكل أذنيه » ورجع ابن هندی من غزاته هذه بدون طائل ، لم يقتل قنيفذاً ولم يقتله قنيفذ ، وقنيفذ هذا من أشجع قبائله ، ولكنه جَلَفَ من أجلاف الأعراب ، فيه خصال لا تحمد ، ذكروا أن معركة من المعارك حدثت بين قحطاط وعتيبة قُتل فيها سحى بن حشر ، وأخذ القحطانيون من العتبان سبعة عشر رجلاً كأسرى ، فلما ثبت عند قنيفذ قتل سحى بن حشر قتل السبعة عشر رجلاً المأخوذِينَ وهم في ذمتهم ، وتعد هذه الفعلة نقطة سوداء في تاريخه ، قال لهرجل يخاصمه : ما أكثر كلامك يا قنيفذ؟ قال : صدقت ، ولكن شري أكثر .

المعارك في نجد — والغارات في الجهة الجنوبية في نجد أكثرها بين بقاء من عتيبة وبين قحطان وسبيع أهل رنية والحرمه ، والمعارك التي تكون في شمالي نجد إنما تقع بين حرب والروقة من عتيبة ، أو بين الروقة وبنى عبد الله بن غطفان ، والمعارك العظام بين عتيبة ومطير . سئل راجح ابن لبدة أبو قنيفذ المذكور : كم قلعت من الخيل ؟ قال : والله إني لا أحفظ عددها ، ولكن الذي قلعت وأنا أنظر رأس جيلة ثلاثون فرساً .

أما محمد بن هندی بن حميد فهو مُطَاع في قومه ، محبوب عند الناس ، محبوب عند الملوك ، سمعته يتحدث وهو يقول : والله ما أخذت الحضري ولا أرضي بأخذه . ونديده في مطير نايف ابن هذال بن بصيص للميز والعقل وحب قبيلته له .

كان ضيدات العارضى الذي قال فيه فيحان بن زريبان يوم الحرملية .

* رديتها لمنجى الحرد ضيدان * نازلا على ماء قريب الكويت مع الدوشان ، وهم قوم أهل تجبر ، وهم رؤساء علوى ، وهذا الجار من بريه فرأى منهم ما يغيظه ، وهو من شعراء النبط فقال قصيدة نبطية منها :

(١) زايد بن حريميس من خيالة الحفاة جماعة جميلان الحافى ، وهو من ذوى سقر من الحفاة بطن من الروقة

هات الدلال وهات من ماء الثميلة نبقى نسوى تالى الليل فنجال
عذِّ سمج لو كثر رعيه وكيله لعاد ما قطان ماه بن هـ ذال

يعنى نايف بن بصيص ، وهذا الماء الذى كانوا عليه مشاش الطويل بين ماء الجهرى وماء الصبيحية ، وهو محبوب عند عامة أهل نجد وعند الملوك . لقيته ثلاث مرات : المرة الأولى فى السنة التى قُتل فيها ابن عمه تريمحيب بن شرى سنة ١٣١٧ هـ ، ولى من العمر سبع سنوات ، ولما كنت بحيث أفهم الحديث ، رأيته عند والدى وأعمامى فى بلدنا « ذات غسل » المجاورة لبلد شقرا فى مقاطعة الوشم ، منيخا ركائبه ضيفا عندنا ، واتسع الحديث بينه وبين والدى رحمه الله وذكروا الحروب التى تقع بينه وبين عتبية ، فسمعت يومئذ يقول يخاطب والدى : يا عبد الله ، والله لو يتبعنى عشير عتبية لأخرجهم من نجد ، ولكن الذين معى شرذمة قليلون من قبيلتى الصعران وسامة الهلال () [] وقد جرى علينا نقص عظيم بقتل هذا العلام الذى كنت أحارب به ، وكان وحده يقوم مقام العدد العديد ، ذلك هو تريمحيب ؛ فقد كان إذا سمع الصائح قال لى : أعطينى السيف والعبية ، أو البندقية والكحيلة ، طلب السيف والعبية لأنها فرس سابق تلاحق ولا تلاحق ، وطلب البندقية مع الكحيلة لأنها وانية ، فإذا أدركته الخيل رامهم . ورأيته المرة الثانية فى بلد الشعراء مع جلالة الملك فى بعض غزواته فى نجد ، وذلك فى مجلس عبد الرحمن ابن خلف من أهل الشعراء ، وكان جلالة الملك قد شرف داره ليشرب القهوة عنده ومعه ابن عمه عبد الله بن جلوى الذى تأمر على مقاطعة الأحساء ومات بها رحمة الله عليه ، ومعه نايف بن هـ ذال المذكور ، وكان أهل الشعراء قد اضطرب أمرهم واقتتلوا مرتين : الأولى انتهت بقتل حمد الزير وأخيه عبد الرحمن ، وفيما هما يتصاولان رمى عبد الرحمن لما رأى مقتل أخيه حمد رميتين قتل بهما أربعة رجال وأصاب خامساً ثم قتل هو ، وأما المعركة الثانية فكان آل ضويان سطوا على آل مسعود ، والجميع حولة من قبيلة واحدة ، وأخرج آل ضويان من البلد ، وانتهت المعركة بقتل رئيس آل ضويان خالد بن حمد بن ضويان ، فلما شرب جلالة الملك القهوة وعزم على النهوض قال له عبد الرحمن بن خلف : يا طويل العمر ، لا تزال مسألة اختلاف آل مسعود وآل ضويان ، ولئن لم تصلحهما أنت لم يتم صلحهم ، فقال : أنا معترزم إنفاذ ذلك إن شاء الله ، ومتى بلغت الرياض أرسلت إليهم وسويت ما بينهم وما أشكل عليهم فإن مرجعنا فيه إلى حكم الشرع ، فالتفت نايف بن هـ ذال بن بصيص إلى جلالة الملك فقال : يا طويل العمر ، يقولون ابن ضويان بان له قصيرا فوق العبة بريدان يغير وينير ، فالتفت إليه جلالة الملك قائلا : على عثرة ونثرة ، ورأيت

جلالة الملك يراعيه ويحترمه . وأما المرة الثالثة فقد لقيته في شقراء مع جلالة الملك ، رأيتهما يمشيان في سوق شقراء وجلالة الملك آخذ بيده يمشى وهو يباريه ، فهذا دليل على أن جلالاته يكرمه ويرى له منزلة .

وكان رئيس مطبخ في هذه المراك الأربعة التي مر ذكرها هو هذا الرئيس ، وأنا لا أعلم أن عتية انهمروا في المراك التي تقع في نجد ، بل هم العالون دائماً ، أما هزيمة الحرمية فإنهم لا يرغبون في ذكرها ، ولو أنك سألت العتيبي وقلت له : أخبرني عن منافع الحرمية ، قال : إني لم أحضره ولا أعلم حديثه ، ولو سألته عن منافع عرجا اندفع يحدثك حتى تقول له : اسكت ، وقد عرف أهل نجد أنك إذا أردت أن تغضب العتيبي أو تلقمه الحجر فما عليك إلا أن تذكر يوم الحرمية ، ومن الحوادث أن أهل قرية نقي كانوا يتفاخرون ذات ليلة مع جماعة من شعراء العتبان ، فقال شاعر من عتية أبياتا نبطية وهم وقوف ، منها :

يا حضران دايماً في البلاد ما ترعون في الدار العذبة
ولا تدرون عن ركب الجياد دايماً حاضره في كل هتية
فقال شاعر أهل نقي المعارض لذلك الشاعر :

أخبار القبائل في فؤادي وأدري بالكثيرة والشوية
لا تكثر على من الدوادي فأذكرك يوم الحرمية

فانقطع الشاعر العتيبي ولم يرد جواباً ؛ لأن الهزيمة صحيحة ، ولا يقدر أن يقول من هزمننا . فأما ذكر التويجر الشاعر الروقي في شعره وقصة عرجا ، وقد ذكرنا منها بيتين في أول هذه العبارات ، وقوله :

ليت نايف حاطر دقلت جملنا والله أن يخلى نجد بالقلب النظيف

ذكر هذا الشاعر الجمل ، وتلك عادة عند جميع عرب نجد ، إذا سارت الكتائب بعضها إلى بعض فكل قبيلة تنتخب جارية من أجمل نساء رؤساء القبيلة ، وتنتخب لها جملاً أوضح تضع عليه هوّ دجا ، ويحمي ذلك الهودج بالحلل من الجوخ وغيره ، ثم تركب فيه الجارية ، وجميع رجال القبيلة والزّامة والفرسان على خيولهم . وأهل الركاب يكونون عند هذا الجمل ، والجارية حاسرة ، لا تضع على رأسها ولا على وجهها شيئاً ، وهي واقفة تنذب قومها إلى القتال وتحضهم عليه ، وقد ورد عرجا من الجمل في اليوم الذي كانت فيه للوقمة ثلاثة عشر جملاً ، كلُّ جمل يتبعه أكثر من ألف رجل ما بين راكب وراجل ، وكانت قبيلة العصمة وقبيلة الدغلبة تابعين

لجل الميظل ، فلما كان يوم عرجا انفصلت كل قبيلة بحملها ، حدثني رجل ثقة حضر هذه الموقعة قال : جاء مناحي الميظل ولحق جزا أبا العلا رئيس قبيلة العصمة ، فتهدّده وقال : ردوا جملكم وارجموا إلى جملنا ، فقال : إنا من حين زايلا أهلنا ونحن عازمون أن نرد به عرجا أو نرجع نحن وجملنا ، فزاد بينهما اللجاج ، فجاءهم الرئيس العام محمد بن هندی بن حميد فقال : لقد نشبت الحرب وأنا أشير عليك أنت يا مناحي الميظل ألا تردّ جملاً يتبعه ألف راي ، وإنا تكون الملاحاة والدعاوى في غير هذا الموضع ، فطلب إليه أن يعدل عن هذا الطلب ذلك الوقت ، وقد كان أبو العلا مصمماً على أنهم لو رجموا جملهم يرجع بقومه ، فتركهم واندفع إلى خزام المهري رئيس الدغالبية فقال له : يا خزام ، ما الذي حملك على أن سيرت هذا الجمل وأتم جميع قبائلكم الدغالبية إنما تتبعون جملی ؟ فقال له : تعلم أن هذا الجمل لو رجع رجعنا معه ، وكانوا لا يخاطبون خزاما باللهجة التي يخاطبون بها أبا العلا ؛ لأنه في زمانه فارس عتيبة على الإطلاق ، فتركه الميظل ثم أتى ناصر بن عقيل فقال له كما قال لصاحبه ، وناصر من قبيلة الدعاجين التي رئيسها العام هو مناحي الميظل ، فقال له : اردد جملك وكونوا مع جملنا ، فردّه من دون منازعة ، وقد انقطعت هذه العادة في هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ؛ لأن هذا الملك - حفظه الله ! - قمع الظالم ، وأعطى كل ذي حق حقه ، وقدم الشرع ، فسكنت بهيمته وتوفيق الله جميع الحركات .

وعرب نجد لهم عادات حميدة أخذوها عن آبائهم وأجدادهم ، ولكنها انقطعت كما انقطع غيرها ؛ لأن الحاجة لا تدعو إليها ، وسأذكر القليل منها .

عند عرب نجد ثلاث يسمونها « الثلاث البيض » . فإذا قلت : ما الثلاث البيض ؟ قالوا : الضيف السارح ، والطنب السابح ، والبطن ، أما الضيف السارح فيعنون به أنه إذا أضف رجل من مطير رجلاً من عتيبة ، ثم سرح من عنده واعترضه قوم من أقصى عتيبة منعه منهم صاحب الخباء الذي سرح الضيف منه ، ويرد عليه جميع ما يؤخذ منه ، وأما الطنب السابح فهو الجار ، إذا كان رجل من مطير مثلاً قد جاور رجلاً من عتيبة ، وجاء المطران وأغاروا عليهم ، وأخذوا إبل العتبان ؛ فإنه يجب على الجار أن يرد إبل من أجاره من قبيلته مطير وما أخذ واله ، وأما البطن فإذا كان رجل من عتيبة قد مر على رجل من مطير فناوله فنجال قهوة أو كأس حليب وأخذت عتيبة إبل صاحب الخباء الذي شرب العتيبي فيه القهوة أو الحليب فإنه يجب على العتيبي أن يشور

بما في بطنه ويؤدى الإبل إلى صاحبها ، وله حق الثأر ما دام لم ينقض هذا الطعام أو القهوة بمثله ، حتى إن بعضهم قد يصنع حيلة إذا جاءه أجنبي يظن أنه قد يحتاج إليه ، وذلك بأن يخلط بهسار القهوة بنوع من اللبان الذى يُظَنُّ أنه يبطئ فقد تمس الحاجة إلى ذلك الرجل بعد شهر .

وفيه مسألة أخرى ، وهى الخوى ، إذا جاء السَّفَّار ومن قصدهم أن يجيزوا بلاد عتبية أخذوا عتبية ، وكذلك إذا قصدوا أن يجيزوا بلاد مطير أخذوا مطيريا ، وكذلك إذا كان قصدهم أن يجيزوا بلاد قحطان أخذوا قحطانيا ، ومن ذلك أن أهل شقرا أخذوا ولداً لعبد الله بن سحوان من قبيلة الروسان خوياً من عتبية ، وهم على جمال وحمير يجمعون السكلاً ، فجاءهم ركب من الحناتيش بطن من الروقة ، ورئيسهم رجل يقال له حنيان ، فأغاروا عليهم ، فاعترضهم ولد ابن سحوان ، وقال : إن هؤلاء خوياًى ، فلم يتهوا ، وأخذوا ما كان معهم من زاد وماء فقط ، وتركوا الركاب والحمير ! وأبو هذا الغلام الذى أخذه خوياً كبير السن ، فركب إلى قبيلته وقال لرئيس القبيلة ، حسين بن جامع : إني لا أرضى حتى تقتل حنيان ، فقال : إنه لم يأخذ إلا زاداً قليلاً وماء قليلاً ، وقد دفعه إلى ذلك الجوع والظلم ، فغضب الشيخ ورحل إلى بلد قحطان وجاور فى قحطان سنتين ومعه ابن له آخر يقال له دحيم ، وقال قصيدة نبطية وشكا حاله إلى ابنه دحيم منها :

يا دحيم ديران الرفاقة امرئيه والى مع الأجناب كنه على نار

والطير بالجنحان ما حسن رفيفه والى انكسر بعض الجناحين ماطر

ويمنى بلا يسرى تراها اضعيفه ورجل بلا ريع على الغبن صبار

فلما سمع ابنه دحيم شعره قال له : ارجع يا أبت إلى وطنك ، وأنا الذى أقتل حنيان ، ولا تستشير حنياناً فى ذلك ، وهو يريد حسين بن جامع رئيس القبيلة ، فأعجب الشيخ ما قاله ابنه وجاء إلى بلاد قومه وسكن الشعرا لتصيد الفرصة فى صاحبه ، لأنها بلد تتنابه الأعراب لأغراضها ، فما شعروا إلا برجل أتاها فقال : انظر حنيان الحنتوشى فى قصر الرفائع بتغدى عند صاحب القصر ، إبراهيم العجاجى ، فندب الشيخ ابنه وندب معه ابن عم لهم يقال له حمود ، فركبا راحلة وقصداه فوجداه قد مشى من قصر الرفائع ، وهو على جمل ، ومعه رفيق له ليس من قبيلته ، فأدركاه قائلاً تحت شجرة ومعهما سيف ورمح ، فقالا لصاحب حنيان الذى ليس من قبيلته : إن أحببت السلامة فأعرض عنا وإلا فإننا نصنع بك مثل ما نصنع به ، فتناولا بالسيف ولم يبق فيه موضع إلا أكل السيف منه قمماً ، ثم ارتدا على راحلتهما وتركاه على أنه ميت ، فمرا على العجاجى وقالوا له : قتلنا حنيان ، انظره هناك ، ادفنوه ، فرحل أهل القصر فوجدوا فيه رمماً ، فحملوه إلى قصرهم ،

فبقى سنتين بين الحياة والموت ، ثم سَلِمَ ، فرأته يركب الخيل وقد جعل في كفه الأيسر كلاليب يمسك بها حبال الفرس .

أخذت قحطان حميرا لأهل القويعية ، وهى فى عانية ، فركب فهاد بن حصيص أحد آل روق من قحطان مع أصحاب الحمير إلى القحطانيين الذين أخذوها ، فقالوا له : ما نسألك حتى تداعينا عند محمد بن هادى رئيس قحطان ، فركب معهم ، فوصلوا عند محمد بن هادى ، فكل عرض عليه ما عنده من الحجج ، فالتفت ابن هادى إلى ابن حصيص وقال : هوأى مرصوص اتحاكى ، وهذه لغة قحطان ، قال له : تحاكى بالحكى الذى تؤدى فيه الحمير ، قال : أعطوها إياه . ومن عاداتهم إذا جثت عند قبيلة وأنت ضارب فى الأرض وليس معك رفيق منهم فقل لهم : خذوا عصاى فضموا وشمكم عليها ، فمن جاءنى من قبيلتكم عرضتها عليه ، فإذا فعل ذلك فإنه لايمسه أحد بسوء .

قال محرر هذه الأحرف : جثت من الحناكية فى سنة ١٣٣٧ هجرية ، وليس معى خوى ، فصحبت عيراً فأصدة القصيم ، فلما كنت عند طمية عجت إلى قرية مسكة فجثت قبيلة من الدلائجة رئيسهم رجل يقال له ملافخ ، فبت عند غيره ، فلما أصبحت قلت عند توجهى : أنا رجل منقطع ، وليس معى رفيق من عتبية ، وما معى إلا رفيق حضرى ، ونخشى أن يعترضا أحد من عتبية قبل أن نصل مقصدنا ، واسكن خذ عصاى فضع وشمك عليها ، فوضع عليها الوسم (١) على هيئة المنزل وهو وسم قبيلته ، فانطلقت إلى بلد مسكة ومعى صاحبى الحضرى فلما كنا فى عريق الدسم أغار علينا جيش فناديتهم : ليس فىنا طماعة ، فقال رئيسهم : إن كنتم من عتبية أو فى وجيه عتبية فأنتم آمنون ، فأتونا فإذا ركانهم عليها هذا الوسم (١) وإذا هم من قبيلة الحمايد التى يجمعها هذا الوسم كما يجمع قبيلة طلحة وقبائل نجد الموجودون فى العهد الأخير ممن أدركناهم : قبيلة عتبية ، وهم اليوم أقوامهم وأكثرتهم ، وقبيلة قحطان ، وقبائل مطير بنو عبد الله ، مساكينهم من القصيم إلى المدينة ، وعلوى وبريه مساكينهم من سدير إلى الكوييت ، وقبائل حرب من القصيم إلى المدينة إلى جبل طى ، هذه القبائل عرفناها وعرفنا قواعدا وعاداتها ، فأما القبائل التى سكنت نجدا فى الزمن القديم فالقبيلة التى كانت لها الشوكة والقوة والغلبة على جميع القبائل هو بنو لام ، قال صاحب الروضة رمزاً التميمى وهو فى القرن العاشر ، فى قصيدة له نبطية عند حكره لوادى سدير ووضعه لسبعين العرصة التى تسيل منها بلاد الروضة :

حكرنا لها وادى سدير غصيبة بسيفونا إلى مرهفات حدودها

حكرنا لها الوادى وسالت نخيلها وفى القيط من جم البطاحى برودها
إلى صدر اللامى والأجناب قلطت حيطانها فإما نزدها ترودها
وهذا الشعر يدل على أن بنى لام هم أهل البلاد فى القرن العاشر، والدليل على ذلك قول رميزان :
* إلى صدر اللامى والأجناب قلطت *

صاروا هم أهل الوطن ومن عداهم أجناب عنه ، وامتد بقاء بنى لام فى نجد فى أواخر
القرن التاسع وجميع القرن العاشر ، وبنو لام ثلاثة بطون عظيمة : كثير ، ومغير ، وفضل ، فأما
آل مغيرة فهم فى عالية نجد يرأسهم عجل بن حنيت ، ويسكن وادى الشعرا ، ويتجول فى بقية
بلاد العرب ، ويوجد الآن قصر له آثار فى وادى الشعرا يعرف عند عامة أهل تلك الناحية بقصر
عجل بن حنيت ، ولا يسكن تلك النواحي أحد من الأعراب إلا فى جواره ، تقول ابنة عجل فى
قصيدة لها نبطية :

ألا يا بلاد جنب تيا مقيمة ما دامت الشعرا هيام قليها
أخذنا على ولد الشريف بن هاشم على الحوض حقه من وردها يحيتها
تيا : جبل فى أعلى وادى الشعرا .

والرئيس الثانى من رؤساء بنى لام : ابن عروج ، يرأس آل فضل وآل كثير ، ومساكنهم فى
أسافل نجد ، ولا ينازعه فيها أحد ، لا عند السكلاء ولا عند غيره ، وتقول امرأة ابن عروج من
قصيدة نبطية :

مشى من العارض بجيش يهينى يتلون بن عروج مقدم بنى لام
ياما انقطع فى سته من عسقى ومن فاطر تلقط على الهجن قدام

فلما انقضى القرن العاشر أخذ نجمهم فى الأفول . وبلغنى عن الثقات فى تاريخهم أن سبب ذلك
هو الخيانة ، وعدم المبالاة باليهود والموائيق والجوار ، وما يتصل بها من عادات حميدة وقد انقضوا
وجلوا عن نجد ، ولا يوجد لهم اليوم فيها لا قليل ولا كثير ؛ فلما دخل القرن الحادى عشر امتد
جناح غزاة على نجد ، ألقوا بحرائهم فيه ، فلم ينازعهم فيه أحد إلى آخر ذلك القرن ؛ فظهرت
مطير ، فشاركهم فى نجد ، فلما دخل القرن الثانى عشر نازعهم مطير ، وعزموا على إخراجهم منها ،
وبدأ النزاع بين الطائفتين غزاة ومطير ، وامتد ذلك النزاع حتى انقضى هذا القرن ، وكانت
الانتصارات فيها لمطير ، وابتدأ النزاع الحاسم فى أوائل القرن الثالث عشر ، وإليك عبارة من
عبارات ابن بشر فى تاريخه فى حوادث سنة ١٢٢٨ الهجرية قال فيما ذكره عن الإمام سعود بن

عبد العزيز رحمه الله وتأديبه للأعراب : وإذا أرادت قبيلة من قبائل بَوَادِي نجد العظام كقطير وعزرة وقحطان (تأمل في هذه العبارة فإنك لا تجد فيها لعتيبة ذكراً بخصوصها) أو غيرهم ، وهم في أقصى الشمال يرحلون وينزلون في أقصى الجنوب أو الشرق أو الغرب لم يمكنهم مخالفتة ، نشأ على ذلك الصغير ، وشاب فيه الكبير ثم قال : وجلس يوماً فيصل بن وطبان الدويش رئيس أعراب مطير ، والحيدى بن عبد الله بن هذال رئيس عزرة ، وكان هؤلاء أشدَّ البوادي عداوةً بعضهم لبعض ، عند سعود في صيوانه ، وهو مقيم على الرس - البلد المعروف في ناحية القصيم - وذلك في غزوة الحناكية سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ، وتنازعوا بين يديه ، وتفاخروا ، وأظهروا نحوه الجاهلية فقال أحدهما للآخر : أحمد الله على نعمة الإسلام ، وسلامة هذا الإمام الذي أطال الله عمره بكسبه ، وكسائك الشيب ، بعد أن كان آباؤك لا يشيرون ولا ينتهون إلى حده ، بل كنا نقتلهم قبل ذلك ، فقال الثاني : أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذي كثرا الله بسبه مآلك ، وسلم عيالكَ ، ولولا ذلك لم تملك ما هنالك ، ولا نزلت في تلك الدار ، ولا استقر بك فيها قرار ؛ فهض الإمام وزجرهم وذكرهم ما أنعم الله به عليهم من الإسلام والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات . انتهت عبارة ابن بشر . وانتهت دولة^(١) عزرة في نجد ؛ فقد بدأ النقص فيها حتى تقلص ظلها ، وتغلبت مطير على تلك النواحي من نجد على رَغَى الكلاء والماء ، واستوطنوا أعلاه وأسفله ، حتى إن قبيلة من مطير (من علوى) يقال لهم الجبلان يعتزون بصبحا في المعارك ، فيقول فارسهم : « خيال صبحا جبلى » وصبحا هي الهضبة المعروفة في عالية نجد التي يقال لها في الجاهلية « يذبل » ومحسن الهزاني الشاعر صاحب بلدة الحريق في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر صحب الدوشان ، وأكثر من قرض الشعر فيهم ، منهم في زمنه مِصْلَط الدويش ، ووطبان الدويش ، وعُليق الدويش ، قال في قصيدة بنطية يذكر امرأة من نساء الدوشان :

(١) وآخر من غادر نجداً من عزرة : ابن مجلاد ، ولما علت مطير بتأخره تداعت إليه من كل جانب وهو في جهة الأسياح فأخبرته النذر بذلك ، ثم بعث إلى قبيلته طالباً المدد ، ثم توجه قاصداً بلاد قومه ، وكان له صانع ماهر في صناعة الشعر وصناعة الحديد فقال هذين البيتين من قصيدة له بنطية :

يا هل المهار الصفر والضمر السود الناس جتكم من جنوب وشام
أنا عليه ضبطت الخمس بالعود وانتم عليكم ربهها بالعصام
ضبطت الخمس بالعود : يقصد نوعاً من الرماح لها خمسة أسنة كل سنان منفرد عن الآخر ، والعصام هو القتام . المؤلف .

شَدَّوَالْهَامَ فَوْقَ وَثْنَاتِ الْأَجَالِ فَوْقَ أَشْتَحَ زَيْنَ لَمَّا كَبَّ اصْعَبِي
نَصُوسُهُمْ بَيْنَ أَبَانَاتِ وَالْحَالِ^(١) حَامِيْنَهَا بِمَذَقَاتِ الْعَرَبِي

وفي أوائل القرن الثالث عشر ظهر هادي بن قرملة رئيس قبائل قحطان ، وامتد نفوذه في نجد واتفق مع الدويش في رَغَى الكَلَأَ وشرب الماء ، وله ذكر حسن مع الولاية في تاريخ ابن بشر ، فلما مضى قليل من القرن الثالث عشر ظهر ابنه محمد بن هادي ، وأخرج مطيراً جميعهم من نجد ، فلم يَنَازِعْهُ فِي نَجْدٍ أَعْرَابِي ، وعند ذلك قالت شاعرة من مطير يقال لها « مَوَيْضِي الْبَرَاذِيَّة » تَوَابَ قَوْمَهَا عَلَى قحطان :

نَجْدًا حَمَيْنَاهَا مِنْ أَوْلَادِ وَائِلٍ وَالْيَوْمَ عَدُونَا سَكَنَ وَادِي الرَّاكَ
أَمَا احْتَمَيْنَاهَا بِحَدِّ الثَّلَايِلِ وَلَا عَطَيْنَا الشَّاةَ ذُولًا وَذُولًا

أما قول البرازية « سكن وادي الرَّاك » فهي تعني قحطان ؛ لأن الرَّاك لا يوجد إلا في بلادهم ، وأما ذكر الشاة فهذه عادة عند العرب ، كانوا إذا ضَعُفَتِ الْقَبِيلَةُ وهي في بلاد غير بلاد قومها ، وعندهم قوم أقوىاء ، ذَبَحُوا لَهُمْ شَاةً ، وَدَعَوْهُمْ عَلَيْهَا وَحَانَقُوهُمْ عند ذلك ؛ فتكون تلك القبيلة منهم وبقى محمد بن هادي بن قرملة وقبيلته قحطان في نجد لا يَنَازِعُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ ، وكان من أراد الرعى من مطير أو من غزاة أو من حرب أو من عتيبة المتقيمين في الحجاز يأتي إلى هذا الشيخ ، فيأخذ منه الأمان ، ثم يري حيث شاء .

حدثني عثمان الهاجري - وهو إمام يصلي بمحمد بن هادي وجماعته - قال : كنا مقيمين في فيضة وادي أوراط في العتكَ أيامَ الرَّبِيعِ ، فجاء في يومٍ واحدٍ خمسُ من الخيل هَدَايَا كُلِّ فَرَسٍ وَاحِدَةٍ مَعَ وَفَدَعْلَى حَدَثَهُ يَطْلُبُونَ الْجَوَارِ وَالْإِمْتِدَادَ فِي نَجْدٍ ، قال : وكنا يوماً عند « المضباعة »^(٢) أيامَ الرَّبِيعِ ، فجاءه « تركي بن حميد » من رؤساء قبيلة عتيبة ، وأناخ عند محمد بن هادي بن قرملة يطلب الجوار ، فسأله عن أهله ، فقال : تركتهم على ماء بُرِّيمِ الْمَاءِ الْمَعْرُوفِ فِي أَسْفَلِ جَبَلِ حَضْنٍ ، وحدثني فراج بن طويق الحافي قال : ركبنا مع مِصْلَطِ بْنِ رَبِيعَانَ ، وأهْدُنَا عَلَى مَاءِ الشَّمْسِ الْوَاقِعِ

(١) الحال هو خال الدفينة . انظر كيف توغلت قبيلة مطير في نجد ، فقد سكنوا في جميع أنحائها .

(٢) هي جيبيل صغير يقع في الجلوة بين ماء الأنجل وتبراك . وهي ماء الأنجل أقرب . وتبراك هو الذي يقول فيه جرير :

في حوى^(١) كسب . وأتينا ابن هادى ، ومعنا جيش وخيل هدايا ، أتينا على ماء الشعرا نطلب منه الجوار ، فقال لنا : أستم في وجهي ، ارعوا حيث شئتم إلا جبل الذير ، من دخله فهو خارج من الأمان الذى طلبه ، وظنى أن هذا الأعرابي يخشى أن يدخلوا هذا الجبل فلا يخرجوا منه .

انظر تغلب الدهر بأهله ؛ فإنه ما كاد ينقضى نصف القرن الثالث عشر حتى غاض معين مجده . وتناص ظله ، وأفل نجمه ، ذلك لأنه لم يعبا بنقض العهد ، وخفر الذمة ، فاختلف مع قبيلة عتيبة ، وكانوا إذ ذاك يخرجون من تهامة والحجاز كأرجال الجراد ، ومن استوطن نجداً لم يرجع ، وكان رئيس برقاً تركى بن حميد ، ورئيس الروقة مصلط بن ربيعان ، وكان سبب هزيمة ابن هادى وردّه إلى حدوده التى خرج منها فى جهة الجنوب فى بيت واحد من قصيدة نبطية لتركى بن حميد وهى طويلة يخاطب فيها ابن هادى حين تغير عليهم ، وعزم على ألا يبقى بما بينه وبينهم ، وهو أن يؤدى ابن حميد ما تأخذه عتيبة ، ويؤدى ابن هادى ما تأخذه قحطان ، ولكن ابن هادى لم يؤد ما أخذ القحطانيون ، فقال تركى قصيدة منها هذا البيت الذى ذكر فيه خفر الذمة :

أدبت انا ارنع حصص^(٢) خامسهن التوم وقعود^(٣) زبن اللى بغى ما حصل له

وقد دارت بينهم معارك عظيمة ، وكانت الانتصارات فيها لعتيبة ، ورئيسهم فى تلك المعارك تركى بن حميد ، وكان الذى هدم هذا العز الشامخ الذى لم يرمثله فى جميع الأعراب هو تركى ابن حميد ، هدمه من أسه ، فلم يبق له ذكر .

فأما فى عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمست تلك العوائد جميعها ، فلا يحتاج أحد إلى (خوى) ولا إلى (أخاه) ولا إلى (جار) ولا إلى (عانى) ولا إلى (علقه) جميع تلك العوائد انقطعت ، وكلها من الله سبحانه وتعالى ثم من حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف ، فإنه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا فى الأوائل ولا فى الأواخر .

ذكروا أن الناس كانوا فى زمن الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير فى أوائل القرن الثالث عشر يعيشون فى هدوء وأمان فى جميع الأنحاء التى امتدَّ عليها رواق ملكه ، فقالوا : إنه كان فى وادى العميق أعراب قاطنون على ماء عشيرة ، وعندهم شعراء من البقوم والشلاوى ، فجعلواهم وأهل الماء يتساجلون ، فقال شاعر الشلاوى :

(١) مياه الحوى تطلق على جميع المياه التى حوتها حرة كسب ، الجبل المعروف فى عالية نجد . ومياه الحوى ثلاثون منهلاً تقريباً . (٢) القحص هى الخيل . والتوم : حصان . (٣) وزبن : رجل من جماعة الشاعر أخذ بعيره فلم يرجع عليه . وهو فى خفارة ابن هادى .

نَبَاً نَقَضَى اللّازِمَ وَنَرَكِبُ رَكَبَيْنَا وَاهْتَدَا مِنْ الْجُوبَةِ^(١) إِلَيْنِ الْقَطَانِيَّةَ
نَبَاً شَاعِرٌ مِنْكُمْ إِلَى الصَّبْحِ يَطْرُبُنَا قَمَرٌ عَشَرٌ وَاضِحٌ وَالثَّرْيَا رَقَائِيَّةٌ
فَقَالَ الشَّاعِرُ الثَّانِي الَّذِي مِنَ الْعَرَبِ الْقَاطِنِينَ عَلَى مَاءِ عَشِيرَةٍ وَهُمْ مِنْ عَتِيبَةٍ :

أَنَا خَائِفٌ إِنْ الْعِلْمُ يَصِلُ مُعَزِّنُنَا بِشَيْلِهِ طَرِيقِي عَلَى كَوْرٍ عَلَيْهِ^(٢)
تَضِعُونَ فِي تَجَدُّ وَحْنَا يَعَاقِبُنَا وَحْنَا عَلَى الْمَالِاشِ تَجْمَعُهُ وَلَا نِيَّةَ

لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى الْأَمَانِ ، فَقَدْ خَافَ الشَّاعِرُ - وَهُوَ عَلَى مَاءِ عَشِيرَةٍ - مِنْ إِمَامٍ فِي
الدَّرْعِيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ أَمَانَ مُعْتَدِلٍ ، وَأَمَّا أَمَانٌ يَهْدِيهِ الزَّاهِرُ فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ ، وَلَمْ أَقْرَأْ عَنْ نَظِيرِهِ فِي جَمِيعِ
مَا قَرَأْتُ مِنْ صَفَحَاتِ التَّارِيخِ ، إِذْ قَدْ مَدَّ الْأَمَانُ جَنَاحَهُ عَلَى مَقَاطِعَةِ نَجْرَانَ ، وَالطَّرَفِ الثَّانِي عَلَى الْحُدُودِ
الشَّمَالِيَّةِ ، فَجَمِيعُ تِلْكَ الْأَقْطَارِ لَا يَوْجَدُ فِيهَا قَاطِعُ طَرِيقٍ ، وَكَانَ اللَّصُّ يَبْقَى الشَّهْرَ فِي قِمَمِ الْجِبَالِ خَشِيَّةً
أَنْ يَرَى أَثَرَهُ إِذَا نَزَلَ فَيُؤْخَذُ ، فَيَقْذَفُ فِي السَّجَنِ ، فَإِذَا احتَاجَ إِلَى طَعَامٍ بَعَثَ امْرَأَتَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَحْيَانَا حَتَّى رَأَيْنَا هَذِهِ الْحَالِ .

وَقَدْ أَطَّلَعْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذِكْرِ الْحَرَمِلِ وَالْأَنْجَلِ وَالْمُرُوثِ وَسُوقَةِ لِكُنْهٍ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ
الْمَعَارِكِ وَالْأَخْبَارِ .

* * *

٤ - وَقَالَ الْأَعَشَى صَاحِبُ مَنْفُوحَةٍ^(٣) :

مَا بُسْكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي
دِمْنَةً أَقْفَرَتْ تَعَاوَرَهَا الصَّيْفُ بِرَبِّحَيْنِ مِنْ صَبَا وَشَمَالِ
حَلَّ أَهْلِي وَسَطَ الْغَمَيْسِ فَبَادُوا لِي وَحَلَّتْ عُلوِيَّةٌ بِالسَّخَالِ
تَرْتَعُ السَّفْعَ فَالْكُثِيبَ فَذَاقَا رَفْرُوضَ الْغَضَا فذَاتِ الرِّثَالِ

هَذَا مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ قَالَهَا الْأَعَشَى فِي الْأَسْوَدِ الْكَنْدِيِّ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْيَمَنِ .

الْغَمَيْسُ : مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ فِي جِهَةِ الْقَصِيمِ ، مَا كَانَ عَنْ بَلَدَةِ عَنِيْزَةِ غَرْبًا وَجَنُوبًا جَمِيعُ تِلْكَ
النَّاحِيَةِ إِلَى قَرَبِ رَامَةِ يُقَالُ لَهُ « الْغَمَيْسُ » وَهُوَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَحْمِيهَا أَهْلُ عَنِيْزَةِ ، وَيَدْخُرُونَ
فِيهَا الْكَلَالُ لِأَغْنَامِهِمْ وَإِبِلِهِمْ ، وَفِيهِ يَوْمٌ مِنَ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، قَالَ شَاعِرٌ أَعْرَابِي :

الغَمَيْسُ

(١) الْجُوبَةُ هِيَ جُوبَةُ رَكْبَةِ الشَّهْوَةِ . وَالْقَطَانِيَّةُ : بَنُو تَرْدَا الْأَعْرَابِ فِي وَادِي قَطَانَ فِي الْجِهَةِ
الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ . (٢) الْعَمَلِيَّةُ نَوْعٌ مِنْ نَجَاحِ الْجَيْشِ . سَمِيَتْ الْعَمَلِيَّةُ لِاسْتِمَالِهَا وَإِرْسَالِهَا فِي الْأُمُورِ
الْهَامَةِ . وَالطَّرِيقُ : تَصْغِيرُ طَرِيقٍ ، وَهُوَ الْمَتَوَجِّهُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى (٣) مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣٠٧/٥

أَيَا تَحَلَّتْ وَادِي الْغَمِيسِ سَقِيًّا وَإِنْ أَتَمَّا لَمْ تَنْفَعَا مِنْ سَقَاكَ
فَمَا تَسُودُ الْأَثْلَ حَسَنًا وَتَنْفَعَا وَيَخْتَالُ مِنْ حَسَنِ النَّبَاتِ ذِرَاكَ
وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تعرفه عامة أهل نجد .

أما بادولى فهي معروفة هي والسخال إلى هذا العهد بهذا الاسم .

السخال : هضبات متصل بعضها ببعض ، حمر ، في حدود الهضب الشرقية ، طرفها الشرق
خارج من الهضب ، وطرفها الغربى منعقد فيها ، وهي الهضبات التي بها منهل « مأسل »
و « موبسل » . ومأسل هذا هو الذى يقول فيه امرؤ القيس :
* وجارتها أم الرباب بمأسل *

وهي معروفة بهذا الاسم إلى عهدنا هذا ، يقال لها « السخال » قال ابن مقبل :

حَتَّى دَارَ الْحَى لِأَدَارِهَا بِسَخَالٍ فَأَثَالٍ فُخْرَمَ

وأما بادولى فهي هضبات قرب السخال ، يقال لها إذا جمعت « بدوات » . ويقال لمفردها
« بدوة » معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال : بنى بدوة ، وبنى بدوات ، وذكروا أن
بلاد الروقة كوادى الجريز وجهة كشب أجديت ، وأخصبت تلك الناحية التي فيها السخال وبنو
بدوة ، فانتجعت الروقة السكلا ، فلما وصلوا إلى بدوة والسخال كأنهم كرهوا البلاد ، فقال شاعر
من شعراء الروقة أبياتاً نبطية منها :

وَصَلَتْ بَدْوَةٌ وَهَضْبَاتُ السَّخَالِ وَشِفَتْ مَشْعَابُ

وَوَدَانِيَّ ارْجِعْ وَلَا لِي بِالْدَيَارِ الَّتِي وَرَاهَا

وَقَوْدُ أَهْلِهَا الدَّمْنُ وَإِنْ شَافَ أَبُو قَبَّاسٍ مَشْهَابُ

رَمَى بِعَمْرَةٍ عَلَيْهِ وَنَارَهُمْ يَطْفِئُ سَنَاها

أبو قباس : نوع من الفرائس يسقط في النار ، أما مشعاب الذى ذكره فهو جبل يقع في شمالي
الهضبات المذكورة على مسافة يومين . والسفح : يطلق على كل سفح جبل أو على كل سفح وادٍ .
والسكيب : يطلق على كل ما ارتفع من الرمل ، وربما كان « السفح » علما على مكان بعينه ،
وذوقار : موضع ، وقد تقدم الكلام عليه ، وروض الفضا : في شرق القصيم ، ولا أعرفه بهذا
الاسم اليوم ، وذات الرئال كذلك ، وقد مضى الكلام عليهما ، وهضبات السخال متاخمة لها جبل
الْحَمَل ، يقع عنها مما يلي مطلع الشمس .

* * *

٤١ — وقال لبيد بن ربيعة ^(١) :

(١) بيت لبيد وأبيات عامر في معجم البلدان ٣/٣٧١ وبيتا مليح الهذلى فيه ٣/٣٧٢ .

وأضحى يقتري الحومان فرداً كنصل السيفِ حودثَ بالصَّقالِ
وقال عامر بن الطفيل :

ألا ليت شعري هل تَغَيَّرَ بَعْدَنَا صَرَائِمُ جَنَّتِي مَخِيطٍ وَجَنَائِهِ
وهل تَرَكَ الحومان بعدى مكانه وهل زال من بطن الجوى تناضبه
فوالله ما أدري أين غلبني الهوى إلى أهل تلك الدار أم أنا غلبته
فإن أَسْتَطِيعُ أَغْلِبُ، وإن يَغْلِبِ الهوى فثُلُ الَّذِي لَا قِيَتُ يَغْلِبُ صَاحِبُهُ
وقال مليح الهذلي :

وقام خراعبٌ كالموز هزت ذوائبها يمانية زخور
لهن خدودُ جِنَّةٍ بطنِ حَوْمِي وللرمل الروادفُ وانخصور

الحومان هذه الأبيات المختلفة الموضعُ المشار إليه في كل منها واحد ، فهناك في عالية نجد حضبات متصل بعضها ببعض ، ويطلق عليها أسماء متعددة مادتها الأصلية واحدة ، فيقال لها « الحوميات » ويقال لها « الحُوم » ويقال لها « الحوميّة » إذا جاءنا أعرابيٌّ من جهتها فقلنا له : أين أهلك ؟ وقال : بالحوميات ، ثم جاءنا آخر وقلنا له : أين أهلك ؟ قال : بالحومية ، ثم جاءنا ثالث وقلنا له : أين أهلك قال : بالحُوم ؛ فنزل هؤلاء واحد ، وكلهم صادقون ، وهي معروفة بهذه الأسماء عند عامة أهل نجد لم تتغير ، ولون تلك الحضبات بين الحمرة والسود .

أما مخيط فهو يقع شرقي الحوميات ، موقعه في كئيب الصَّخنة ، جبل مرتكز طويل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهناك جبل آخر في عرق سبيع في القطعة الجنوبية منه يقال له « مخيط » ولا أعلم أيهما قصد الشاعر ، وكلاهما متاخم لجبال الحُوم .

قال كاتب هذه السطور : الحديث ذو شجون يحجر بعضه بعضاً ، صحبتُ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود أثناء خروجه للقنص في عالية نجد ، في منزل من منازل علي غدير^(١) « برة المظلي » وأعراب نجد تسمى منزل الأمير فيصل هناك في ذلك العام

(١) البرة : قد مضى الكلام عليها ، وهي جبل صغير منفرد من جبال المظلي ، إذا نظرت إليه عن بعد رأيته منفرداً كاليتيم ، وتسميها أعراب نجد اليتيمة ، قال محمد القشامي يذكر إبله ومرباعها من قصيدة له بنطية :

مرباعها يم الحصة اليتيمة ومصياها عردان تشرب خباريه
وعردان هنا : هو الذي ذكره عبيد بن الأبرص في معلقته بلفظ عردة .

« مربع الأودام » لأنه بذل جميع استطاعته من الزاد واللحم وحليب الإبل واللبن ، وكل شيء تميل إليه النفس ، فأخذت الأعراب تختلف إليه من جميع الجهات ، وكان أكثر ما اصطدناه من أنواع الجبارى فى اليوم الواحد يقدر بستين تقريباً ، أما الأطباء فقد اصطدنا منها فى آخر يوم من أيام الصيد عدداً كبيراً ، وكنا بين ماء الأيسرى وجبل الشهباء شرق عرق سبيع ، وقد بلغ ما حملناه فى السيارات مائة وستة وستين ظبياً من الأرام الكبار ، وعند انصرافنا إلى منزلنا جاءنا صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل فقال لوالده : هنا خمسة وعشرون ظبياً لم نقدر على حملها ، انظر إلى سيارتنا لا تقدر أن تحمل غير ما حملناها ، فالتفت صاحب السمو الملكى الأمير فيصل إلى أعراب وقوف عندنا ، وقال : خذوها ، ثم ذهبنا إلى منزلنا وبتنا ونحن لا ندرى كيف نصنع بهذا الصيد ، ولما حضرت السيارة التى ستقل سُمُوهُ الكريم إلى مكة دعا - حفظه الله ! - حاجبه فهد بن غشيان وقال له : فرقوا هذه الأطباء على الحاضرين هنا من الأعراب والفقراء ، ولا تبقوا منها شيئاً ، لم يزد على هذه الكلمات ولم ينقص ، وسار إلى مكة .

وهضبات الحوم المذكورة لم تغب عنا يوماً واحداً فى هذا المنقص .

فأما المنقص الثانى فقد كنا على ماء سجا ، وعنده عيد بن حويريش رجل من المقطة مضحك للملوك والأمراء ، أذكر ليلة خاطبته الأمير فتكلم هو ثم نهض وقال : أنا ولد حرث ، ندب أباه فى خطابه ، فسكت الأمير ، وسكت الناس ، فالتفت إلى الأمير وقال : يا طويل العمر ، لم لم تقل إذ ذكرت والدى « ونعم » ؟ فقال الأمير : إني لا أعرف والدك ، ويمكن أن يكون فى هؤلاء الحاضرين رجل يعرفه ، فتكلم أعرابى من الحاضرين فقال : الذى يستأهل « ونعم » هو الذى أعطى أبائك بعيره أيام كانوا فى الحوميات ، فقال الأمير : خبرنا من هو ، فقال : إذا سمح عيد بن حويريش أخبركم بالموضوع ، فقال ابن حويريش : أخبرهم ، فقال الأعرابى : جاء عقيد من سبيع من بوادى رنية والخرمة ومعه ركب يبلغ عددهم خمسة عشر ركباً تقريباً ، فأغاروا بعد غروب الشمس فى جهة الحومية على إبل المقطة ، ومن المصادفات أنها أخذت إبل حويريش . ثم فروا بها فى سواد الليل .

وكان هذا العقيد مجرباً تام الحنكة ، وكانت إبله فى جهة الغرب ، ولكنه قصد جهة الشرق اختفاء من الطلب ، فلما قرب من أخبية حويريش وقومه ومنازلهم ، وهو يقتنص الأطباء ، وكان على ظهره ظبي - اعترض حويرش الإبل والركب ومعه بندقيته ثم ألقى ظبيه عن ظهره ، وقال : من أنتم أيها الركب ؟ قالوا له : من جماعتكم الدعاجين ، والدعاجين : بطن من عتبية ، فقال : الخذية

يوم الله رزقكم ، قالتفت رجل من الركب إلى رئيسهم وقال ، أأقتله ؟ فقال له الرئيس : إن البندقية إذا ثارت عليه جذبت إلينا قومه لاسترداد إبلهم ، بل نعطيه بعيراً ، فردوا إليه بعيراً ، فزمره ، وأناخه ، واندفع الغزاة تحت سواد الليل ، ثم جمع الحبال التي معه ، فعقل أربعة : أى أربع قوائمهم ، وأخذ ظليبه وأخفى الجمل عن إخوته خشية أن يطلبوه منه ، واشتغل بالظلي وطبخه ، وأكله ، فلما مضى من الليل ثلثه جاءهم رجل على جمل من مَرعى الإبل المنهوبة فقال لهم : هل بلغكم الصَّرِيخ ؟ لم لم تنزعوا ؟ قال له حوירش : ما الخبر ؟ قال : إبلك أخذت ، فقال : إني قد اعترضت إبلًا يتخذوها ركب ، ولكنهم يقولون : نحن دعاجين ، وقد أعطوني منها جملاً ففعلته هناك ، أظن أنه من إبلي ، فانطلقوا إلى الجمل ، فلما وصلوه وجدوه من إبل حويرش المأخوذة بعد غروب الشمس ، فقال الأمير للمتكلم : هذا الحديث صحيح ؟ قال : إى والله صحيح أيها الأمير .

أما البرة فتبدو للناظر إليها من بعيد جبلاً واحداً ، فإذا وصلها ألفاها جبلين أحدهما أكبر من الآخر ، وفي شعراء العرب من يذكرها مفردة ، ومنهم من يذكرها مثناة ، وهناك موضع آخر في طريق الذهاب من مرارة إلى الرياض يقال له « البرة » ومنهم من يسميه « البرتين » كيحيى بن طالب حين قال :

خليلى عوجا بارك الله فيكما على البرة العليا صدور الركائب

ولكن التمييز بينهما سهل ؛ فالبرة الواقعة قرب سجا يقال لها « برة المظلي » والأخرى يقال لها « برة اليمامة » فإن كان الشاعر الذى ذكرها تيميمياً أو حنفياً فهي البرة الواقعة في اليمامة ، وإذا كان الشاعر عامرياً فهي برة المظلي ، والبرة الواقعة جنوباً عن ماء سجا بمسافة يوم يقع في شرقها على مسافة يوم تقريباً جبال سود منعقد بعضها ببعض ، يقال لها رغبة ، والبرة الواقعة في اليمامة يقع في شرقها الشمالى بلد يقال لها رغبة ، تبعد عنها بمسافة يوم تقريباً ، وهذا من غرائب المصادفات .

* * *

٤٢ — قال ذو الرمة^(١)

سَرَتْ مِنْ مَنَى جَنَحَ الظَّلَامِ فَأَصْبَحَتْ بِسَيَّانَ أَيْدِيهَا مَعَ الْفَجْرِ تَلَمَعُ

بسيان : حزم أسود في ركبة يمر به الصّادر من ماء المحدث في وادى العقيق إلى ماء مَرَّان ، تراه من بعيد كأنه جبل ، وإذا وصلته وجدته حزمًا أسود صغيراً ، وسبب ظهور ارتفاعه أنه في أرض مستوية وليس حوله جبال ، وكانت به وقعة مشهورة من وقائع العرب ، وهو الذى يقول فيه المساور بن هند :

بسيان

(١) معجم البدن ٢/ ١٨٣ .

ونحن قتلنا ابني طهية بالمصا ونحن قتلنا يوم بيسان مسهرا
ومن التصادف العجيب أنه عند مقتل مسهر الذي ذكره المساور كانت معركة بين العرب في
العهد الحديث ؛ فقد بعث الشريف حسين بن علي آخر ولاية مكة سرية يرأسها « راقى الفرد »
من المظلة ومحمد العبود من القشة ، وكانت هذه السرية منتخبة من أفضل رجال الحسين في
الشجاعة والرمية ، وكان جلالة الملك عبد العزيز وفقه الله يبعث سرايا لمصادمة سرايا الحدين ،
فقد خرج خالد بن منصور بن لؤي أمير الحرم من بلده لهذا الغرض ، فلما ورد ماء المحدثنة عرف
أن سرية الشريف المذكورة قد وردت هذا الماء ؛ لأنه وجد آثار استقامتهم وفضلة المياه التي
حلوها ظاهرة على وجه الأرض لم تنضب ، ولما كان ذلك الأثر جديداً فقد عزموا على أن يسيروا
في أثرهم ، وبعد مضي ساعة ونصف ساعة من مسيرهم من ماء المحدثنة ووصولهم قريب بيسان في
موضع يقال له « الحرج » فاقتلوا قتالا شديداً ، وقتلت سرية الشريف عن آخرها ، ولم ينج منهم
إلا واحد ؛ فإنه لما رأى الأمر الذي ليس معه حيلة رمى بنفسه بين القتلى ، ولما غاب عنه أعداؤه
انسل من بين القتلى على قدميه عدواً حتى وصل مناهل وادى العقيق ، ثم نجا بنفسه إلى مكة ،
وهو الذي أخبر بقتلهم ، وهم في انتظار النشأ ، وقد قتل راقى الفرد ، وقتل محمد العبودي ،
وهذان الرجلان في عشائهم يعدل الواحد منهما مائتي رجل ، ولسكنهما غودرا في ذلك الموضع
جزر السباع كما ترك مسهر الذي يقول فيه المساور بن هند :

ونحن قتلنا ابني طهية بالمصا ونحن قتلنا يوم بيسان مسهرا

قال كاتب هذه السطور : إن أغلب المواضع لم تتغير أسماءها كالجبال والمياه والبقاع ، فإنني
إذا سلكت الطريق من مكة إلى جهة الرياض ومررت بجبل أو ماء أو أرض وذكرت اسم
الموضع تبادر إلى ذهني أن له ذكراً جاهلياً ، وقد عزمت على ذكر الطريق النافذ من جدة على
ساحل البحر الأحمر إلى الرياض ، ثم إلى الكويت على الخليج الفارسي .

جدة : مدينة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، وشهرتها تنفي عن تحديدها ،
إذا خرجت من جدة متجهاً إلى جهة الشرق أتيت « الرغامة » قال أهل اللغة : الرغام يطلق على
الناعم من التراب ، وقال الأصمعي : يطلق على الرمل الذي لا يسيل من اليد ، قالت امرأة
من بني مرة :

أيا جبلي وادي غريزة التي نأت عن نوى قومي وحمم قدومها
الأخليا تجرى الجنوب لعله يداوى فؤادي من جواه نسيما
وقولا لركبات تميمية غدت إلى البيت ترجو أن تحط جروما

فإنَّ بأكناف الرِّغامِ قريبةً مُوهَّلةً تُكَلِّى طويلاً تشيهاً^(١)
ولا أعرف في بلاد العرب موضعاً يقال له الرِّغام إلا هذا الموضع ، إذا كنت فيه والنفتَ
جهة يمينك رأيت وادياً يقال له غليل ، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقال شاعر من مزينة :
أَوْ الْحَقَّ بِالْعَقَاءِ مِنْ أَرْضِ صَاحَةٍ أَوْ الْبَاسِقَاتِ بَيْنَ رَوْقٍ وَغُلِيلٍ
في هذا البيت يحتمل أن الباسقات نخيل وادى فاطمة

وادی سلم فإذا جمعت الرِّغامَ ووادی غليلَ حَمَلَتْكَ أُمَيْتٌ وادياً يقال له « وادی سلم » قال ياقوت
في معجمه^(٢) : ووادی سلم بالحجاز عن أبي موسى ، قال الشاعر :

وَهَلْ تَعُودُنْ لِيَأْتِي بَذَى سَلَمٍ كَمَا عَمِدْتُ وَأَيَّاهُ بِهِمُ الْأَوَّلُ
أَيَّامَ آيِلِي كَكَّابٍ غَيْرُ عَانَسَةٍ وَأَنْتِ أَسْرَدُ مَعْرُوفٍ لَكَ الْفَزَلُ
وقال الرضی الموسوی :

أَقُولُ وَالشَّوْقُ قَدْ عَادَتْ عَوَائِدُهُ لَذَكَرَ عَهْدَ هَوَى وَفَى وَلَمْ يَدُمْ
يَاظْبِيَةَ الْأَنْسِ هَلْ أَنْسُ أَلَذَّهِ مِنْ الْعِدَّةِ فَأَشْفَى مِنْ جَوَى الْأَلَمِ ؟
وَهَلْ أُرَاكَ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ ؟ وَهَلْ يَعُودُ تَسِيمَةً يَوْمًا بَذَى سَلَمٍ ؟
وفي أثناء مسيرك في الطريق تمر ببحرة ، قال في معجم البلدان : بحرة موضع من أعمال

الضائف قرب لثة . قال ابن إسحاق : انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين على نخلة
اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغام من لثة ، فابتنى بها مسجداً ، فصلى فيه
صلى الله عليه وسلم ، ففاد ببحرة بدم ، وهو أول دم أقيده في الإسلام ، رجل من ايث قتل
رجلاً من هذيل فقتله به . انتهى . وأنا لا أعلم موضعاً يقال له بحرة إلا هذا الموضع ، وقال في
معجم ما استعجم^(٣) : بحرة موضع ببلاد مزينة ، وقال معن بن أوس المزني :

تَسَقَطَ أَوْلَادُ التَّنَوُّطِ بِالضُّحَى بَحَيْثُ يُدْأَى صَدْرُ بُحْرَةٍ مُخْبِرٍ
قال في شرح هذا البيت : قال السكري : مخبر قرية بين عِلاف ومَر .

وقول السكري يدل على أن بحرة هي المعروفة بهذا الاسم في عهدنا هذا بين جدة ومكة .
ثم تخرج من بحرة متجهاً إلى مكة فإذا انرج بك الطريق بين بحرة والشمسي فانظر على
شمالك فإنك ترى قصوراً ونخيلاً ومزارع يملكها صاحب المعالي وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان
في موضع يقال له « حده » وهذا هو اسمها الجاهلي ، وإليك الشاهد الواضح قال أبو جندب الهذلي :

بغيتهم ما بين حداء والحشا وأوردتهم ماء الانيل فدعاه
قال السكري في شرح هذا البيت : حداء بالحاء في طريق جده . وقال ياقوت : حداء
وادي فيه حصن ونخيل بين مكة وجدة يسمونها اليوم « حدة » بفتح الحاء .

ثم تمر بالوادي الذي يقال له اليوم « وادي فاطمة » . وكان يقال له في الزمن القديم « مر الظهران
(وادي فاطمة) » قال عوف بن أيوب الأنصاري الخزرجي :

فلما هبطنا بطن مرّ نخزعت خراعة منا في حلول كراكر
حمت كل وادي من تهامة واحتمت بضم القنا والمرهفات البواتر
وقال عمر بن أبي ربيعة :

أباكرة في الطاعنين رسميم ولم يشف متبول الفؤاد سقيم
عشية رحنا ثم راحت كأنها غمامة دجن تنجلي وتقيم
فقلت لأصحابي انفروا إن موعداً لكم مرّ فليرجع على حكيم

قال عرام بن أصبغ السلمي في كتابه عن جبال تهامة ومياهها : مرّ القرية ، والظهران هو
الوادي ، وبه عيون كثيرة ونخل وجوز ، وهو لأسلم وهذيل وغاضرة ، قال في معجم البلدان على
ذكر الظهران : الظهران : واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها مرّ نضاف إلى هذا الوادي فيقال
« مر الظهران » وروى ابن شميل عن ابن عوف عن ابن سيرين أن أبا موسى ك. في كفارة
اليمين ثوبين ظهرايين ومعداً . قال نصر : الظهراي يُجاء به من مر الظهران ، ومر باقي بهذا
الاسم إلى يوم الناس هذا ، قرية معروفة في أعلى وادي فاطمة ، تبعد عن عين القشاشية التي اشتراها
صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل مسافة يوم ، في الجهة الشمالية الشرقية منها .

فإذا جُزّت وادي فاطمة أتيت الموضع الذي يقال له اليوم « الشعيث » وكان يقال له في الزمن
القديم « الحديبية » قال في معجم البلدان : هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت بئر هناك
عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها . قال الخطابي في أمانيه : سميت
الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة
تسع مراحل ، وفي الحديث أنها بئر ، وبعض الحديبية في الحل ، وبعضها في الحرم ، وعند مالك
ابن أنس أن جميعها من الحرم ، وقال محمد بن موسى الخوارزمي : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم
عمرة الحديبية وودع المشركين لمضى خمس سنين وستة أشهر للهجرة النبوية .

ثم تندفع من الشعيث وتقطع « الرصيفة » المعروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي تصغير الرصافة

رصافة ، وهذا الموضع كان يقال له في الجاهلية « رصافة » ألا ترى أنهم لما ذكروا الرصافات في كتب المعاجم قالوا : ورصافة الحجاز ، قال أمية بن أبي عائذ^(١) .

يَوْمَ يَهَيَّأُ لِلنَّجَا ۖ عَيْنُ الرِّصَافَةِ ذَاتُ النَّجَالِ

ثم تخرج إلى وادي الشهداء ، وهذا اسم حديث قتل فيه أناس من بني هاشم وقبروا هناك . وقبورهم على شمال الذهاب من مكة إلى التنعيم للاعتبار ، في شعب صغير ، سمو ذلك الموضع « قبور الشهداء » ثم تركت لفظة القبور ، وبقيت لفظة « الشهداء » وتغلبت هذه الكلمة على جميع ذلك الوادي ، ولا يعرف اليوم إلا بهذا الاسم ، وكان يسمى في الجاهلية « وادي فنج » قال بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لَمَّا وَعَسَكُنْهُ نَحْيُ الْمَدِينَةِ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أُبَيِّتَنَّ لَيْلَةً بِفَجٍّ وَحَوًى إِذْ خِرَّ وَجَلِيلٌ
وَأَشْرَبَ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ مَجْنَةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةٌ وَطِفِيلٌ

شامة وطفيل في تهامة ، بين الليث وجدة ، جيالات لم تتغير أسماؤها إلى هذا العهد ثم تجعل الشهداء خلفك قاصداً الحجون ، وتمر في طريقك بذى طوى ، وهى بئر معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وموضعها الآن بين بيت الوزير العام للمالية في هذا العهد الشيخ عبد الله السليمان وبيت أخيه وكيل وزارة المالية الشيخ حمد السليمان ، وقال شاعر من هذيل :

إِذَا جِئْتَ أَعْلَى ذِي طَوًى قَفْ وَنَادَهَا عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا رَبَّةَ الْخَدَرِ
هَلْ الْعَيْنُ رِيًّا مِنْكَ أَمْ أَنَا رَاجِعٌ بِهِمْ مَقِيمٌ لَا يَرِيمُ مِنَ الصَّدْرِ
وقال أبو خراش الهذلي :

وَقَتَلْتُ الرِّجَالَ بِذِي طَوًى وَهَدَمْتُ الْقَوَاعِدَ وَالْعُرُوشَا

ثم تخرج على الحجون ، وهذا اسمه الجاهلي ، ويعرف به الآن ، وقد ذكرته العرب في أشعارها ، وحسبك بيت الجرحمى الذى شاع وذاع وهو قوله :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ إِلَى الصَّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

ثم تتجه إلى جهة الشرق ، فإذا أنت اجتزأت المعور من وادي المعابدة فالتفت على يمينك لترى الطريق النواقيع بين قصر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل وطرف جبل الخدمة ، إذا انقطع فهناك خمسة مواضع متصل بعضها ببعض أول أسمائها حرف الميم ، وهى : المنحنى ، والحصب ،

وادي فنج
(الشهداء)

ذو طوى

الحجون

ومنى ، ومحسر ، والمزدلفة ، وكل أسماء هذه المواضع قديمة معروفة بها منذ العصر الجاهلى . قال
مليح الهذلى :

تَحْمَلُنْ مِنْ خَمٍّ وَعَرْجُنَ سَاعَةً عَلَى الْوَادِ بَيْنَ الْمُنْحَنِ وَالْحَصْبِ
فذكر المنحنى والحصب .
وقال كثير :

فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مِنْ هُوَ مَاسِحٍ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحِ
وقال العرجى :

نَلْبَثُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ مَا نَلْتَقَى إِلَّا عَلَى مَنْهَجٍ
فِي الْحِجِّ إِنْ حَجَّجْتَ ، وَمَاذَا مِنَى وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ
وقال عمر بن أبى ربيعة :

يَا صَاحِبِي قِفَا نَقْضُ لُبَانَةَ وَعَلَى الظُّعَانِ قَبْلَ بَيْنِكُمَا اعْرَضَا
وَمَقَالٍ بِالنَّعْفِ نَعْفٍ مُحْسَرٍ لِفَتَاتِهَا : هَلْ تَعْرِفِينَ الْمَعْرَضَا ؟
هَذَا الَّذِى أَعْطَى مَوَاتِقَ عَهْدِهِ حَتَّى رَضِيتُ وَقُلْتُ لِي : لَنْ يَنْقُضَا
وقال الفضل بن عباس بن عتبة اللهبى :

أَقُولُ لِأَحْصَابِي بِسَفْحِ مُحْسَرٍ أَلَمْ يَأْنِ مِنْكُمْ لِلرَّحِيلِ هُبُوبُ
فِيَتَبَعُكُمْ بِأَدَى الصَّبَابَةِ عَاشِقُ لَهُ بَعْدَ نَوْمِ الْعَاشِقِينَ نُحِيبُ
وقال ابن حجاج ذا كراً مزدلفة ، ولو وجدنا غيرها لما ذكرناها :

اسْتَقْنِي بِالرُّطْلِ فِي مَزْدَلْفَةٍ قَهْوَةً قَدْ جَاوَزَتْ حَدَّ الصَّفَةِ
وَدَعَ الْأَخْبَارَ فِي تَحْرِيمِهَا تِلْكَ أَخْبَارُهُ أَتَتْ مُخْتَلِفَةً
يَا أَبَا الْقَاسِمِ بَاكِرِيْنِي بِهَا لَا تَكُنْ شَيْخًا قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ
إِنَّمَا الْحِجُّ لِمَنْ حَلَّ مَنَى وَلِمَنْ قَدَّ بَاتَ فِي مَزْدَلْفَةِ

ثم اسلك الطريق القاصد إلى نجد ، والتفت جهة شمالك ، تَرَّ الْجَبَلَ الشَّاهِقَ الَّذِى كَانَ يُقَالُ حِرَاءَ
لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ « حِرَاءَ » وتسميه العامة فى هذا العهد « جبل النور » ولكنه لا يزال مع ذلك معروفاً (جبل النور)
باسمه الجاهلى فى هذا العهد ، قال أبو طالب بن عبد المطلب :

وَنُورٌ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقِي لِيَرْقَى فِي حِرَاءِ وَنَازِلِ

وبالبيت حق البيت من بطن مكةِ والله إن الله ليس بغافل
وقال حسان بن ثابت يذكر وقعة بدر في قصيدة مطلعها :

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَيْبِ كَحِطِّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ
إلى أن قال :

بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكَُ غَدَاةَ بَدْرِ لَنَا فِي الْمَشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حَرَاءُ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جَنَحَ الْغُرُوبِ
فَلَا قِيَامَهُمْ مِنَّا بِجَمْعٍ كَأَسَدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشَيْبِ

وادي المغس وفي أثناء سيرك في ذلك الطريق تمر على وادي « المغس » وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ؛ قال أمية بن أبي الصلت الثقيفي :

إِنَّ آيَاتَ رَبِّنَا ظَاهِرَاتٌ مَا يُمَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمَغْسِ حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ
كُلُّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ بَورُ
وقال نفيل دليل أبرهة من الطائف إلى مكة :

أَلَا حَيْتَ عَنَا يَارُدَيْنَا نَعْمَا كَمَعَ الْإِصْبَاحُ عَيْنَا
رُدَيْنَسَ لَوْ رَأَيْتَ وَلَن تَرِيهِ لَدَى جَنْبِ الْمَغْسِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَرَضَيْتَ أَمْرِي وَلَن تَأْسَى عَلَى مَافَاتِ بَيْنَا
حَمَدْتُ اللَّهَ أَنْ أَبْصُرْتَ طَيْرًا وَخِفْتُ حَجَارَةً تَلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نَفِيلٍ كَأَنَّ عَلَى الْأَحْبَاشِ دِينَا

وقال ثعلبة بن غيلان الإيادي يذكر خروج إيادٍ من تهامة ، ونفى العرب إياها إلى أرض فارس :

نَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْمَغْسِ نَاقِمَتِي وَمِنْ دُونِهَا ظَهَرُ الْجَرِيبِ وَرَاكِسُ
بِهَا قَطَعْتَ عَنَا الْوَدِيمَ نَسَاؤُنَا وَغَرَقْتَ الْأَبْنَاءَ فِينَا الْخَوَارِسُ

وهي قصيدة طويلة . والجريب وراكس قد مضى الكلام عليهما . والمغس يعرف بهذا

الاسم الجاهلي إلى هذا العهد .

وادي الشرائع فإذا جرت وادي المغس خرجت على « وادي الشرائع » وقد عمره في العهد الحاضر وكيلاً

وزارة المالية الشيخ حمد السليمان الحمدان وقبلت تربته جميع ما ألقى فيها من بذور .

واسم الشرائع اسم حديث ، وزعم بعض المعاصرين أنها حُتِنَت المشهورة في التاريخ الإسلامي

والتي ذكرها الله تعالى بقوله (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) وأن تلك الميرون هي عيون حنين ، وأنا أقول : إن وادي حنين ليس فيه عيون ، ولو كان فيه شيء من ذلك لما أغفله أصحاب السير ، والصحيح أن حنيناً هو الوادي الذي يحاذي الشرائع على يمين الذهاب من مكة إلى الطائف ، يمتد عن الشرائع إلى جنوبيه بمسافة ثلاثة آلاف متر ، نذكر هذا التحديد مستندياً إلى قول صحيح ذكره ابن هشام في سيرته عند ذكر معركة حنين ، قال ابن هشام : ولما نزل المشركون بأوطاس قال دريد بن الصمة ، وكان مع هوازن ، وهو شيخ كبير : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : أنزلوا ، نعم بحال الخليل ، لا حزن ضرر ، ولا سهل دهر ، فكانت المعركة فيه ، وهو باقي بهذا الاسم إلى الآن ، وامتدت المعركة إلى قرب أميال الحرم ، ثم أنهزمت هوازن وامتدت المعركة إلى ما يقارب « الزيمة » .

وأهل السير قالوا في ذكر منزلهم : فنزلوا الشعب من حنين ، وناخذ من ذلك أنهم نزلوا في وادٍ وتبين لنا من قصة دريد أن ذلك الوادي هو أوطاس ، وليس يبعد أن الشعب يقال له أوطاس ، والوادي يقال له حنين ؛ لأن في شعب أوطاس آثار آبار قديمة ، قال الشاعر في ذكر أوطاس :

يَا دَارُ أَقَوْتُ بِأَوْطَاسٍ وَغَيْرِهَا من بعد ما هولها الأمطار والمور
كَمْ ذَا أَهْلَكَ مِنْ دَهْرٍ وَمِنْ حَجَجٍ وَأَيْنَ حَلَّ الدَّمَى وَالْكَنْسُ الحور
رَدَّى الجَوَابَ عَلَى حَزَانٍ مَكْتَنِبٍ سَهَادَهُ مَطْلَقٌ ، والنومُ مأسور
فَلَمْ تُبَيِّنْ لَنَا الْأَطْلَالَ مِنْ خَيْرٍ وَقَدْ نُجِّلِي الْعَمَائِتِ الْأَخَابِيرُ
وأوطاس : من أودية بني سعد ، قال أبو جزة السعدي :

يَا صَاحِبِي انْظُرَا هَلْ تَوْسَانِ لَنَا بَيْنَ الْعَقِيقِ وَأَوْطَاسٍ بِأَحْدَاجٍ ؟

وفي أعراب تهامة من يسمي الوادي المجاور للشرائع من جهة اليمن بحنين إلى هذا اليوم ، قال شاعر من بني نصر^(١) :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ بَحْنِينَ يَوْمَ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالِ
وَقَالَ خَدِيجُ بْنُ الْعَوْجَاءِ النَّضْرِيُّ ، وهو مع القوم المهزومين ، وهم هوازن بنو نصر بن معاوية :
وَلَمَّا دَوَّوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ رَأَيْنَا سَوَاداً مِنْكَرَ اللَّوْنِ أَخْضَفَا
بِمَلُومَةٍ عَمِيَا ، لَوْ قَذَفْتَ بِهَا شِمَارِيخَ مَنْ عَرَوْا إِذَا عَادَ صَفْصَفَا
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَائِهِمْ إِذَا مَا لَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا
إِذَا مَا لَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَاسْتَمَدُوا بِخُنْدَفَا

ثم جَزْ وادى الشرائع ، وأنت على جادّة الطريق ، فإذا انعرج بك الطريق فانظر صَوْبَ
يمينك تروادياً في أعلاه ثنيةٌ يخرج سالكها إلى برية الطائف وجباله ، وهذا الطريق سلكته
هوازنُ المهزومة من حنين ، والأثقال سارت على طريق أزيمة ، وذكرُوا أن دريد بن الصمة
يدعان وَمَنْ معه لما قربوا من أزيمة خرج من ثنية « يدعان » فارسان من بنى سليم ، فقتلا دريد بن
الصمة هناك ، وإذا كنت في ذلك الطريق ورأيت أزيمة على شمالك فإنك ترى ثنية يدعان ،
وهي الطريق المشهور للابل ، واسمه الجاهلي بالياء ، ويقال له في هذا العهد « جدعان » بقلب
الياء جيماً ، وهو بسبب من فصيح العربية على ما ذكرنا في تعليق سابق .
وادي أزيمة ثم اهبط وادى « أزيمة » وهو أول وادى نخلة ، وهو الذى يقول فيه الشاعر المعاصرُ محمد بن
إبراهيم بن قرنة :

مَرَّتْنى فى بلاد نَخْلة فى الصبـ ف بأكناف سـولة وأزيمة
سولة : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد لم تتغير ، وأزيمة زادتها الألسن لاما فتقول « لزيمة »
وقد سألت هذيلاً عن الجليلين الشاهقين المناوحين لقرية الشرائع فقالوا : إن الذى على يمينك يقال
مسعود ولبن له « لبن » والذى على شمالك يقال له « مسعود » فأما مسعود فليس له اسم جاهلي ، وأما لبن فقد
كان يعرف في الجاهلية بهذا الاسم ، قال في معجم البلدان : لبن جبل من جبال هذيل بتهامة ،
قال مسلم بن معبد :

جلاد مثل جندل لبن فيها خبور مثل ما حسف الحساء
وقال الأصمعى : لبن الأعلى ولبن الأسفل في بلاد هذيل
قبر أبى رغال وقبل أن تصل إلى « لزيمة » ترى جبلاً يقال لها « ردوم لزيمة » وهى التى تعرف فى
التاريخ بقبر أبى رغال ، وأقرب ما يكون لتلك المواضع موضع يقال له « ردام » وذكرُوا أنه بالحجاز
قال قيس بن الحنّان الجُهني :

أفاخرة على بنو سليم إذا حلّوا الشَّرْبَةَ أورداما
وكنت مسوداً فينا حميداً وقد لا تعدم الحسناء ذاما
أما الشَّرْبَةُ فهى بعيد عن الحجاز ، وأما ردام فقالوا : إنه جبل بالحجاز
صلب فإذا اتجهت من قرية « لزيمة » قاصداً السيل رأيت على يمينك جبلاً يقال لها « صلب »
ولم أجد لها ذكراً ، ولكنهم يذكرون الصلب الواقع في جهة الصمان ، وسيأتى الكلام عليه .
ثم نجه إلى جهة السيل فترى جهة يمينك جبلاً يقال لها « الحماصير » تعرف اليوم بهذا
الحماصير

الاسم ، وكانت تعرف في العهد الجاهلي بالحيصر ، قال جرير :

بين الحيصر فالعزّاف منزلة كالوحي من عهد موسى في القراطيس

العَرَّاف : موضع معروف بين نخلة الشامية والمدينة ، لكن هذا الشاهد ليس بالقوى ؛ لأن قائله ليس هُذَلِّيًّا ، ولكنه تميمي ، ويظهر لي أن العَرَّاف هو الواقع في بلد الخرج ، وفي جبال الحاصير مواضع يقال لها « رويعات السرف » فأما سرف الذي تضاف تلك الرويعات إليه فهو اسمه الجاهلي ، وهو باق عليه إلى هذا العهد ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات :

لَمْ تَكَلِّمْ بِالْجَلْهَتَيْنِ الرُّسُومُ حَدَثٌ عَهْدُ أَهْلِهَا أَمْ قَدِيمُ
سَرْفٌ مَنْزِلُ لُئْلَمَةٍ فَالظَّهْرَانِ مِنْهَا مَنْازِلُ فَالْقَصِيمُ

هذا الموضع الذي ذكره عبيد الله بن قيس الرقيات هو الموضع الجاور لوادي نخلة اليمانية التي تضاف إليه رويعات السرف ؛ لأنه قرنه بالظهران ، وسيول تلك الجهة تصب في مر الظهران الذي يقال له في هذا العهد وادي فاطمة .

ثم تتجه إلى جهة السيل فيبدولك جبل « غراب » فتركه على يمينك ، وهذا اسمه الجاهلي ، قال ابن هشام في غزاة النبي صلى الله عليه وسلم لبني لحيان : خرج من المدينة فسلك على غراب . قال المصنف : أما بنو لحيان فهم قريب من هذا الجبل ، وأما المدينة فبعيدة منه . قال معن بن أوس المزني :

تَأْبُدُ لِأَيِّ مِنْهُمْ فَعَقَائِدَهُ قَدْزُو سَلَمُ أَشَاجِهِ فُسْوَاعِدَهُ
فَمَنْدَعُ الْغُلَانِ مِنْ جَنْبِ مَنْشِدِهِ فَنَعَفُ غَرَابٍ خَطْبُهُ فَاسَاوَدَهُ

وتمر على يمينك وأنت مُتَّجِهَةٌ إِلَى السَّيْلِ فَتَرَى جِبَالًا وَأَوْدِيَةً يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ « الظَّبْيَان » وكان اسمها الجاهلي « الظباء » قال في معجم البلدان : قال أبو بكر بن حازم : الظباء - بضم الظاء - وادي بتهامة ، ثم استشهد بقول أبي ذؤيب الهذلي - وهذا الموضع من بلاده - قال أبو ذؤيب :

عرفت الديار لأُمِّ الدَّهْيِ نَ بَيْنِ الظَّبَاءِ فَوَادِي عَشْرِ
فَهَذَا شَاهِدٌ قَوِيٌّ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ .

ثم تتجه إلى جهة السَّيْلِ فَتَرَى عَلَى يَمِينِكَ جِبَالًا يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ « ضَهَايَا » واسمها الجاهلي « ضهء » قال ساعدة بن جؤية الهذلي يرثى ابنا له هَلَكَ بِهِذِهِ الْجِبَالِ :

لِعَمْرِكَ مَا إِنَّ ذَوْضَهَاءَ بَهَيْنَ عَلَى ، وَمَا أُعْطِيَتْهُ سَيِّبٌ نَائِلِي

وهذا الشاعر الهذلي أضاف ابنه إلى ضهائه لأنه دُفِن فيه ، وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي أيضا :

لمن الديار بَعْلَى فالأخراص فالسودتين فجميع الأبواب
فضهائه أظلم فالنطوف فصائف فالنمر فالبرقات فالأنحاص
استدللنا على تلك الجبال بأشعار أهلها هذيل .

جبل مبارى وترى وأنت متجه إلى السَّيل جبلا يقال له « مبارى » وأهل نجد يسمونه « مناحى »
ولا أعرف موضعاً جاهلياً يعرف بواحد من هذين الاسمين ، بل أعرف جبلا من جبال نخلة
اليمانية يقال له « مبعوق » وأستدل على ذلك بقول أبي صخر الهذلي الشاعر المشهور ، والعداء
المعروف ، حين قال :

إن المني بمد ما استيقظت وانصرفت ودارها بين مبعوق وأجباد
ثم تسلك الطريق إلى السَّيل ، وتلتفت صَوْبَ يمينك فترى جبل « الوقبة » وبه شعب
ماء وقت الرِّبيع ، ولكنى لا أعرف الاسم الذي كان يطلق عليه في الجاهلية
مبارى وترى وأنت متجه في طريقك جبلاً يقال له « مهير » وهو اسمه من العهد الجاهلي إلى اليوم ،
وفيه يقول ساعدة بن جؤية الهذلي يصف سحاباً :

مزن مسف كجبال النير أروى حيناً وذرى مهير
ثم تمر على جبل « حفايل » وهو واقع على يمينك ، وبه ماء ، وهذا اسمه اليوم وفي الجاهلية
لم يتغير . قال أبو ذؤيب الهذلي :

تأبط نملئيه وشفا مريرة وقال : أليس الناس دون حفايل
الأنسومين ثم تمر على جبل « الأنسومين » وهكذا يسميها أهل نجد اليوم ، فأما قدامى العرب فقد
كانوا يسمونها عند التثنية « يسومين » ، وإن أفرد أحدهما قيل له « يسوم » قال شاعر من هذيل :
* حلفت بمن أرسى يسوم مكانه *

فذكر أحدهما مفرداً في الشطر المذكور من البيت ، وقالت ليلي الأختية :
لا تفرزون الدهر آل مطرف لا ظالماً أبداً ولا مظلوماً
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم وأسنة زرق يخنن نجومنا
إن تستطيع بأن تحول عزهم حتى تحول ذا المضاب يسومنا
وقال شاعر هذلي :

سمعت وأنجاني نَحْتُ رَكابُهُمْ بنا بين ركن من يَسُومَ وفرقد
 قتل لأصحابي : قفوا لأبا لسم صُدُورَ المطايا إن ذا صوتٌ مَعْبَدٍ
 هذه الشواهد على إفراد أحدهما ، وقال راجز من هذيل في تثنيتهما بهذا الاسم :
 ياناقُ سيري قد بدا يسومان واطريهما ييدو أقنانُ غزوان

ثم تلتفت ناحية يمينك وأنت متجه إلى السيل فترى جبل « هلال » بضم الهاء ، قال في معجم
 البلدان ^(١) : هو بضم الهاء وآخره لام - هَلَال : عَلم مرتجل ، ثم قال : وبه شعب يحىء من السَّراة من
 ناحية يَسُوم . هذه رواية صاحب معجم البلدان ، وهذا اسمه الجاهلي ، وهو قريب من جبل يَسُوم .
 ثم تسير فتجد الشَّعب الأحمر على يمينك ، ولم أجد لهذا الجبل ذكرًا في كتب اللغة . ثم تمر
 على جبل الكفو وأنت متجه إلى السيل ، وبه وادٍ تَصُبُّ منه سيول وادي الحرم ، وهذا اسمه
 القديم ، ذكره الرداعي الذي رسم الطريق من صنعاء إلى مكة في أرجوزة له حين قال :

توارك للكفو واليسوم قواصدًا للمسجد المعلوم
 لضيمة الطنحى مستقيمة صادرة مِنْهَا تَوْمُ زيمه

ثم على سبوحه القديمة

ذكر هذه الأرجوزة الحمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » وفي هذه الأبيات فوائد
 فإنه ذكر فيها الكفو ، ويسوم ، وضيمة الطلحى ، وهى المزارع التى تصلها قبل أزيمة إذا قصدت
 مكة ، وذكر أزيمة ، وذكر سبوحه ، وسبوحه هى المزارع التى تمر عليها إذا كنت قاصدًا مكة
 بعد خروجك من أزيمة .

ثم تطلع على ضلع البنت ، وهو جبل على يمينك ، ولم أعر على هذا الاسم بين الأسماء الجاهلية
 فلعله يسمى اليوم باسم غير اسمه القديم .

ثم تمر وأنت قاصد السَّيل فتجد جبل « عقل » عن يمينك ، وهذا اسمه الجاهلي ، ولا يزال
 يعرف به إلى الآن لم يتغير ، قال شاعر جاهلي من أهل تلك الناحية :

قتلت بهم بنى ليث بن بكرٍ بقتلى أهل ذى حزنٍ وعَقْل

ثم تمر على جبل كتف ، وهذا اسمه اليوم ، ولم أجد له ذكرًا فى أمهات المعاجم القديمة ،
 فاعلمهم أغفلوه لأنهم لم يرووا فيه شعرًا ، أو لعلمهم كانوا يسمونه اسمًا آخر .

هذه الجبال التى تمر بها عن يمينك من « أزيمة » إلى « بهيتة » وأما التى تكون عن شمالك

جبل الأبرة فنمها جبل « الأبرة » وهو المَطْلُ على بلاد القنابوة ، وهناك جبالان قريبان منه ، مُطْلَانٌ على قرية أبام وأبهم ، يقال لأحدهما « أبام » وللآخر « أبهم » قال شاعر من أهل تلك الناحية :

وإن الذي بالشعب بين أبهم وبين أبام شُعبَةٌ من فؤاديا
وقال ساعدة بن جؤية الهذلي غير أنه أسقط الهزلة :

تَحْمَلُنْ أَظْطَانِ الْأَحْبَةِ بِالضَّحَى عَلَى إِثْرِهَا أَغْنَامُهَا وَرَعَاتُهَا
سَلَكَنْ نَقَاً بَيْنَ بَامٍ وَبَيْتِمْ وَلَا وَقَفْتَ قَبْلَ الْأَصِيلِ خُدَاتُهَا

جبل المسعودية فإذا تركت خلفك باماً وبياً متجهاً إلى جهة السَّيْلِ على شتلك صررت بجبل المسعودية وجبل وجبل العوصاء ، فأما العوصاء فهذا اسمها في هذا العهد ، وهو اسمها في الجاهلية أيضاً ، وفي أخبار بني صاهلة : كانت إيل عمرو بن قيس الهذلي هاملة بشعب من شعاب العوصاء ، ولها قصة طويلة ، وأوردوا في آخر القصة قول عمرو بن قيس الهذلي :

أصابك ليلة العوصاء عمداً بسهم الليل ساعدة بن عمرو

جبال مرخة ثم تتجه إلى جهة السيل فتأتيك جبال « مرخة » السفلى ، ثم جبال « مرخة » الوسطى ، ثم جبال « مرخة » العليا . وهذه أسماءها في هذا العهد ، وهي أسماءها في الجاهلية أيضاً . قال صاحب معجم البلدان ^(١) : المرختان موضع في أخبار هذيل وأشعارها ، خرج منها عمرو بن خويلد الهذلي في نفر من قومه يريدون بني عضل ، وهم بالمرخة القصوى اليمنية ، حتى قدم أهلاً له من بني قريم بن صاهلة ، وهم بالمرخة الشامية ، فهذا دليل على أن هناك أسماء قديمة لتلك المواضع ، وفي مرخة الوسطى جبل يقال له « البراق » وهذا اسمه الجاهلي ، قال حميد :

أرَبْتُ رِيَّاحَ الْأَخْرَجِينَ عَلَيْهِمَا وَمَسْتَجَلَبٌ مِنْ ذِي الْبَرَّاقِ غَرِيبٌ

جبل العمود وبين المرخة الوسطى والعليا جبل « العمود » ويعرف بهذا الاسم في يومنا هذا ، وهو اسمه القديم أيضاً ، ذكره صاحب معجم البلدان .

جبال عشر وعلى شتلك وأنت متجه إلى السيل جبال يقال لها « جبال عشر » وهذا اسمها في هذا العهد ، وهو اسمها القديم الجاهلي أيضاً ، قال في معجم البلدان ^(٢) : وعُشْرُ شعْبٍ لهذيل ، يصب من داعة ، يحجز بين نخلتين ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

عُرِفْتُ الدِّيارَ لِأُمِّ الدَّهْيَنِ بَيْنَ الظُّبَاءِ قَوَادِي عُشْرٍ

« ١ » معجم البلدان ١٩ / ٨

« ٢ » معجم البلدان ١٧٩ / ٦

وفى تلك الجبال جبل يقال له « خيشان » فى هذا العهد ، واسمه القديم خيش ، قال عمر جبل خيشان ابن أبى ريعة :

تَرَكُوا خَيْشًا عَلَى أَيْمَانِهِمْ وَيَسُومًا عَنْ يَسَارِ الْمُنَجِّدِ

قال فى معجم البلدان عن نصر : خيش جبل بنخلة ، يُذَكَّرُ مع يسوم .

ثم تجوز الأنسومين الذين كان يقال لهما فى الجاهلية « يسومان » فتجد على شمالك جبل « قردد » وهذا اسمه اليوم ، وهو اسمه الجاهلى أيضاً ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، وأورد منها أحسن شاهد ، قال مالك بن نط الهمداني لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد همدان وأسلم وكتب له كتابا ، قال :

حلفت برب الراقصات إلى منى صَوَادِرَ بِالرُّكْبَانِ مِنْ هَضْبِ قَرْدَدٍ
بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُصَدِّقَ رَسُولِ أُنَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُهْتَدٍ
فَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِي أَبْرَ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرِفِ الْمُهْتَدِ

ثم أسير فى طريقك جاعلا عن شمالك جبل « حبين » وهذا اسمه اليوم ، وهو اسمه الجاهلى جبل حبين أيضاً ، قال رافع الهذلى :

وَنَحْنُ أَخَذْنَا ثَأْرَ عَمَلِكَ بَعْدَ مَا قَتَلْنَاهُمْ بِالْهَضْبِ هَضْبِ حَبِينِ

وهناك مواضع أسماءها تقارب هذا الاسم ، وكلها واقعة فى اليمن ، وهى : حبونى ، وحبون ، وحبينا . والباقي منها بهذا الاسم فى جهة اليمن على ما أعرف : حبونا ، وحبية .

ثم تتجه إلى السَّيْل ، وعلى شمالك جبل يقال له « ضمية » ضمية العرقوب ، أما ضمية فهذا اسمه اليوم ، واسمه الجاهلى الضمبي ، وإليك عبارة صاحب معجم^(١) البلدان : قال أبو منصور : الضَّمِيَّةُ شعبان قبالة عُشْرِ من شق نخلة ، وبينها وبين بَسُومِ جَبَلٍ يقال له المرقبة ، قلت : وظنى أن هذا هو جبل العرقوب . وهو آخر جبال نخلة اليمانية المذكورة فى أشعار الجاهلية ، ولم نستقص الجبال التى لم يورد لها ذكر .

فإذا جُرْتُ وادى نخلة طلعت على وادى قرن ، وهو وادى السَّيْل ، وهو ميقاتُ أهل نجد ، قرن المنازل يقال له « قرن المنازل » ويقال له « قرن الثعالب » بسكون الزاء ، وهو الذى يقول فيه عمر ابن أبى ريعة :

ألم تسأل الترنج أن ينطقا بقرن المنازل أن يخفقا

وهو معروف عند جميع الناس بقرن المنازل ، وتعرفه العامة بوادي السيل ، وأما وادي قرن الذي في أعلاه فهو ميقات أهل اليمن ، وميقات الطائف ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

لا تعمرن على قرن وليلته لا إن رضيت ولا إن كنت مغضباً

هذا شاعر مرّ على رجل من قريش بنى داراً بقرن ، وبني عندها مسجداً ، فقال قصيدة منها هذا البيت الذي ذكرناه .

قال كاتب هذه السطور : كنت في قرن المنازل يوماً مع فضيلة الشيخ عبد الله السليمان البليهد - رحمه الله ! - ونحن جلوس على حجر في ضفة وادي قرن مما يلي الغرب ، فالتفت عن يمينه ونحن متوجهون إلى القبلة ثم قال : أنظر هذا الجبل الأحمر ، هذا هو قرن الذي سمي الوادي به أقول : وهذا الوادي مُطِل عليه ثلاثة أقباب كانت تسمى في الجاهلية « المناقب » يسميها الناس في هذا العهد « الريعان » أما منقبة الأولى فهي تخرج إلى الطائف ، وتر على قران وادٍ وجبيلات في جهة السيل الصغير ، لا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي التي يقول فيها الرداعي اليماني لما رسم طريق مكة من صنعاء ، وهي أرجوزة طويله :

المناقب

وخلفت قران^(١) لمناقب وشرباً في جنح ليل واقب

المنقبة الثانية هي التي تسمى اليوم « ريع الصهلوج » ينفذ إلى ماء القرشية وسامودة والمبعوث وتلك النواحي .

المنقبة الثالثة الريع السالك إلى نجد ، المُفضى إلى عشيرة ، قال صاحب معجم البلدان^(٢) :

المناقب جمع منقب ، وهو موضع النقب ، وهو اسم جبل معترض حول قرن المنازل . قالوا : وسمي بذلك لأن فيه ثناباً وطرقاً إلى اليمن وإلى اليمامة وإلى أعلى نجد وإلى الطائف ، وفيه ثلاث مناقب وهي : العقاب ، مفردها عَقَبَة ، يقال لأحدها : الزلالة ، والأخرى فَبَرَيْن ، والثالثة البيضاء ، قال أبو جُرَيْة عابد بن جويه النصري :

ألا أيها الركب الخبئون هل لكم بأهل العقيق والمناقب من علم ؟

فقالوا : أعن أهل العقيق سألنا أولي الخيل والأنعام والمجلس الفخم ؟

فقلت : بلى إن الفؤاد يهيجُه تذكر أوطان الأحبة والخدم

(١) قد حددناه تحديداً شافياً في آخر كتابنا هذا عند كلامنا على عكاظ ، وهو باق بهذا الاسم

إلى هذا العهد . (المؤلف) (٢) معجم البلدان ٨/١٦٦

ففاضت لنا قالوا من العين عبّرة
فظلتُ كَثْنِي شارب بِمَدَامَةٍ
ومن مثل ما قالوا جَرَى دَمْعُ ذِي الحلم
عقار تَمَشَّى في المنافصل واللحم
وقال عوف بن عبد الله النصرى :

وَحَذَلَ قَوْمِي حَضْرَمِيِّ بَنِ عامر
نَهَاراً وَإِدْلَاجَ الظلام كأنه
وأمرَ الذي أسدى إليه الرغائب
أبو مدلج حتى يَحُلُّوا المناقب
وقال أبو جندل الهذلي أخو أبي خراش :

أقول لأم زنباع : أقيمي
وغربت الدعاء ، وأين مِنِّي
صدور العيس شَطَرَ بنى تميم
أناس بين مَرٍّ وذى يَدُوم
وحَيٍّ بالمناقب قد حَمَوْهَا
لدى قران حتى بطن ضيم

ثم اسلك الريع للطريق العام السالك إلى نجد : فإذا علوت تلك الجبال المرتفعة قبل أن
تصل إلى عشيرة فازرع بصرك ترأس الطرّة كأنها قطعة من النعم ، حرّة سوداء تقع في الجهة
الشمالية من ماء عشيرة ، وهذا اسمها الجاهلي ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال الفرزدق :
في جحفل لَحِبٍ كَانَ زهاءه جبل الطرّة مُضَعِّع الأُميال
وقال تميم بن مُقبل يصف سحابة :

فَمَسَى يَحُطُّ المِصْصَات حَبِيَّه
وَأَصْبَحَ زِيَّافُ الغامة أَفْمرا
كَانَ به بين الطرّة وراهق
وناصفة السويان غاباً مسعرا

فإذا رأيت آثار عشيرة وقصر البزيرين فالتفت على شمالك تر « بس » حرّة سوداء ، تراها وأنت حرة بس
منحدر إلى الماء متجه إلى وادي العقيق ، ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال عباس
ابن مرداس الشكلى في يوم حنين :

هَزَمْنَا الجَمع جَمع بنى قسِيٍّ
رَكُضْنَا الخيلَ فيهم بين بس
وحكت بَرَكْهًا بِنَى رثاب
إلى الأوال تنحط بالتهاب
بذى لُجْب رسول الله فيهم
كثيبتُهُ تعرض للضراب
وقال العاهان :

بنون وهجمة كإشاء بس
وقال رجل من بنى سعد بن بكر :
صفايا كفة الآبار كوم
وأجراع بس وهي عم خصيها

أرى إبلى بعد اشتات ورتعة ترجع سَجْماً آخر الليل نبيها
وأن تهبط من أرض مصر لعائط لها بهرة بيضاء رباً قلبها
وأن تسمعى صوت المتكأى بالصُّحى بقاء من نجد يساميك طيبها
وقال الحصين بن الحمام المرى :

فإن دياركم بجنوب بسى إلى ثقفٍ إلى ذات المصوم
فإذا خرجت من عشيرة سالكا طريق نجد وسرت نصف ساعة فى السيارة فالتفت صوب
رأس بيسان شمالك تر رأس بيسان كأنه جبل عظيم ، فإذا وصلته وأنت قاصده وجدته حزاماً أسود ليس بالكبير
وهذا اسمه الجاهلى ، وكانت به وقعة لبني قشير على بنى أسد ، قال دريد بن الصمة :
رَدَدْنَا الحى من أسدٍ بضربٍ وطعن يترك الأبطال زورا
تركنا منهم سبعين صرعى بيسان وأبرأنا الصدورا
وتلك المواضع كانت تتابها اللصوص من عهد قديم إلى قرب منتصف القرن الرابع عشر
الهجرى ، وحينما تولى جلالة الملك الحجاز انقطع دابر اللصوص من تلك النواحي ، وكان من
عادتهم أنهم يسرقون الحاج عند دخولهم مكة وعند خروجهم منها ، وخذ هذه الأبيات لنسليمان
ابن عياش ، وكان لصاً :

تقر لعينى أن ترى بين عضبة عراقية قد جز عنها كتابها
وأن أسمع الطراق يبقون رفقة مخيمة بالنسى ضاعت ركبها
أتيح لها بالصحن بين عنيزة وبسان أطلاس جرود ثيابها
ذئاب تعاوت من سليم وعامر وعبس وما يلقى هناك ذئابها
ألا بأبى أهل العراق وريحهم إذا فتشت بعد اطراد ثيابها
هذا اللص أتاه السرور من جهتين : الجهة الأولى : أن الحجاج المخيمين بالنسى ضاعت ركبهم
ويمكنهم أن يتداعوا لنهبهم من كل ناحية كما قال فى شعره :

ذئاب تداعت من سليم وعامر وعبس وما يلقى هناك ذئابها
الجهة الثانية : أنهم إذا فتحوا العياب بعد أخذها وجدوا الثياب العراقية والأطياب العراقية
وهذا الموضع الذى يقال له « السى » هو القطعة الواقعة بين منهل مران ومنهل المحدثه ، قال
فى معجم البلدان لما ذكر السى : هو علم لفلاة على جادة البصرة إلى مكة ، يؤدى إليها اللصوص
وهو فى القطعة الشمالية من ركة ، وهو فى القسم الذى يسمى وجرة ، قال جرير :

إذا ما جعلت الشى بينى وبينها وحره ليلى والعقيق اليمانيا
دَعَوْتُ إلى ذى العرش ربَّ محمد ليجمع شعباً أو يقرب نائيا
واللصوص تجتمع فى تلك الناحية لانتظار الحاج ؛ لأن هذه الأرض هى المتأخّة لريعان مكة
وبها يقرب الحاج ، وأما الأرض النائية فهى تنسج على اللصوص ويمكن أن يخطئ اللص الحاج فيها ،
واللصوص تفضّل حواج العراق على غيرها ، أو حواج عمان ؛ لأن فى حجاج البلاد النائية غرة ولا
يحسنون الاحتفاظ من اللصوص ، وأما حجاج البلاد القريبة فهم يحتفظون من اللصوص أى احتفاظ
ويحرسون منزلهم من أول الليل إلى آخره .

وفى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر كان ثمة جماعة من اللصوص البارعين
كانوا أجراً من جحدر وغيره من الذين لهم ذكر ، وأكثروا لصوص تلك الناحية من قبيلة الشيايين ،
ذكروا أن شويى الشيبانى فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر للهجرة كان من
اللصوص البارعين فى اللصوصية والفنك واستلاب الأموال ، وذكروا أن حرس حاج العراق
أمسكه مرة ، والباشا المحافظ على الحاج يقال له « عثمان » فأسروا شويى ، ورحلوا به إلى عرفة
أسيراً ، وكان من العذائين ، وقد جمعوا يديه إلى ظهره وربطوها بحبل ، وجمّلتهم من هذيل وبنى
سفيان ، وبيناهم يـيرون فى عرفة إذ هرب ، فركبوا الخيل على أثره فقاتهم عدّوا ودخل جبلاً
من جبال عرفة ، فقال عند ذلك قصيدة نبطية منها :

حمدت اللى وقانى من هذيل ومن بنى سفيان مربية أيدى بالحبال وطلق رجليـه
بعد صكوا على الجيش الأدهم بشروا عثمان كسى إلى بشره دفاف والحقهم رايـه
رمونى رمية منها العطب وأنا ولد شيبان ونجاني ولي العرش ما جا فى أمارية
وخلونى ورا ضلع القرين ومن تحت نعمان وطراهم ذبحتى لاشك ربى مارضى فيه
كمئى مقطع العانى واعينه واشبع الجيعان بحقى دون وجهى واجب تنعيم عانيه
وانا مالى بعارين ولا معزى ولا لى ضان يقع ما حصلت يمانى فى وسط الحراميه
ثم أخذ هذا اللص مرة ثانية ، فأسر وقطعت يده ، فتأثرت قبيلة عتيبة القاطنة فى نواحي
الحجاز ، فقالت مرسي العطاوية الشاعرة قصيدة نبطية منها :

شويى معرفه مار ذكره يحنى جلمنك ما تستاهل القطع يمانه
ياما قطع من راس كبش سمين وله دلة دايم على النار مراكه
ومن اللصوص المعروفين شنبر بن كاحل ، من الشيايين أيضاً ، من قبيلة ذوى خليفة ، وهو
(٢٠ - صحيح الأخبار ٢)

لص محنك ، قال لى بعض أصحابه من الحاضرة ممن يستعمل طريق مكة للتجّار يأخذ شبرا «رفقا» عن قبيلته عتبية ، إذا ورد الحضرى صاحب شبر ماء سجا وجد شبرا فى انتظاره ، قال لى : فإذا دخلت مكة غاب فلم أره ، فإذا قرب رحبلى أتانى وواعدنى مَهْلَ البرود الواقع فى وادى المنمس النافذ على طريق جدعان ، فإذا أتانى كان معه أربعة جمال أو خمسة أو ثلاثة مَوْقَرَة من الأرز وغيره من المواد الغذائية ، قال كاتب هذه السطور : حججت سنة ١٣٣٢ وحينما دخلنا أول ركبة ونحن نحرس ، ولا يمضى علينا ليلة إلا وقد طردنا فيها اللصوص نحن ثلاث مرات أو أربع ، إلى أن دخلنا الريع ووصلنا الأرضين المحفوظة بضمانة أهلها ، ويقال لها المدارك : مدرك بنى فلان ، ومدرك بنى فلان ، فلما انقضى الحج تأخر حاجُ مدينة شقرا ، وعزمنّا نحن على الخروج من مكة ، فتواعدنا منهل البرود ، فلما اجتمعنا عليه جميعُ أهل قرى الوشم وأهل الشعراء والدوادمى مشى بعضنا إلى بعض ، وبحشنا فى مسألة الخوى الذى من عتبية تربط به العانى حتى نصل بلادنا ، فقال بعضنا لبعض : كل خبرة معها عتبي وتربط عانيها به ، فلا تعلم الأعراب أن ليس معكم أحد ، فنقدنا هذه الرغبة ، وكان الذى معى من عتبية هزاع أبو ننية من قبيلة الروسان ، وليس له قبيلة حجازية وعندى شك فى أنه يستطيع أن يمنعنا فصرحت له ، فقال : لا تخف ، سلم قبيلتى سأمشى عليه ، ولو أنى رجل واحد ، وكان شبر اللص الذى مر ذكره مع صاحبه عبد الكريم الخراشى من أهل أشيقر ، وأنا أرغب أن أعلق عانينا عليه ، وهو مع رفقائه أهل بلد أشيقر يبلغ عددهم ثمانين رجلا وإلهم يبلغ عددها مائتين تقريبا ، وكان رؤساؤهم يركبون الركاب نحو عشر من الهجن ، وشبر وورقلؤه مع الحملة ، فإذا جاء آخر الليل عملوا خبزا من الثريد وقسموه إلى نصفين : نصف يضمونه فى مطبقة من المعدن خلفهم ، ونصف يجتمعون عليه كلهم : أهل الحملة وأهل الركاب ، فقال شبر لرفقائه : الثريد الذى يرفع أين يذهب به ؟ قالوا : يأخذه أهل الجيش معهم فيضحون عليه إذا انتصف الضحى عند ما يشربون القهوة ، فقال قصيدة نبطية منها :

ياقرص يالى تقفاه الخراشى راح قسمين قسم يحطه خلاف وقسم حطه فى جرينه
بالريع خوفوا من الله والحقوا بالقرص عجلين لا تشعبون الركاب وكل ساعة فارسينه

قال أهل الركاب لشبر الشاعر : نبا نستفزع ابن بليهد فيجيبك على كلامك هذا ، فقال لرفقائه أهل الحملة : إذا رأيت ابن بليهد فأخبرونى ، فمرت بهم وهم فى وادى أم الخروع بين الريع وماء عشيرة ، فاشعرت إلا وهو يدعونى ، فأتينته ، فوجدت رجلا طويلا القامة قد وخطه الشيب عاريا من اللحم ، كأنه سبع ، فقال : إنى قصدت لى قصيدة وأحببت أن أسمعكها ، قال ذلك وهو

را كب على جل بين كيسين من القهوة ، قلت : أسمى إياها ، فنهض واعتدل ثم رفع صوته بها حتى أتى على آخرها ، فسمعت قصيدة لم تكن لتصدر إلا عن شاعر بليغ ، فقال بعد انتهاء القصيدة : تراني داخل على الله ثم عليك ، أتركني أنا وأهل أشيقر ، قلت : على شرط أن نكون في وجهك أنا ورفقائي حتى نصل الشعراء ، قال : لا ، بل حتى تصلوا بلدكم ذات غسل ، وكان معنا خبرة حاج من أهل حوطة بني تميم ليس معهم رفيق ، وعند شبر خبر بذلك ، فقال لهم : علقوا على أن أمنعكم من اللصوص ، فأبوا ، فلما وردنا ماء عشيرة ، وكانت عادة منزلة الحاج كالحلقة للتحفظ ، وكان منزل أهل الحوطة في جهة المنزل الشرقية ، وكان وراءهم ثنية تطلع على الحرة على طريق نجد يقال لتلك الثنية « سنيد » ومنزل أهل الحوطة بين منزل شبر وبين ريع سنيد - فلما صلينا المغرب ارتفع شبر ونحن على ماء عشيرة على أكمة صغيرة ورفع صوته قائلاً : يا من حولنا بالشعيب ، إن كنتم تبغون العشاء تراه بيننا وبين سنيد ، إشارة إلى الخبرة التي بيننا وبين سنيد أنهم ليس معهم رفيق ، فلم يكمل صوته إلا ولأهل الحوطة صباح من كثرة اللصوص ، ثم نادوا شبراً فقالوا له : نحن في وجهك ، فنادى نداءً ثانياً فقال : ليس بيننا وبين سنيد لكم عشاء ، بل العشاء عندنا ، فأتى اللصوص من كل ناحية نحواً من عشرين نفرأ ، وأكلوا معنا ، وباتوا عندنا .

ركبة نرجع إلى موقفنا في تلك القطعة - هذا أول ركبة ، ونحن بين عشيرة والعرف ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال صاحب معجم البلدان^(١) : إنها أرفع موضع في نجد ، وفي كتاب فضائل مكة لأبي سعيد المفضل بن محمد بن تميم الجندی الهمداني بإسناد له أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لأن أخطئ سبعين خطيئة بركبة أحب إلي من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة » وجهتها الشمالية يقال لها « وَجْرَة » وقد مضى الكلام عليها .

العريفة فإذا اندفعت قليلاً ، وبدأ لك أول العرف فانظر على يسارك تر قطعة منه يقال لها « العريفة » وهي التي يقول فيها براك بن سحمان الشيباني من أبيات نبطية :

يَالْتَنِي مَعَ شَارِعِ^(٢) التَّوْمِ وَفَهَيْدُ مَنْ فَوْقَ عَظَائِرِ تَقَارَعِ ابْدَرَهَا^(٣)
وَبَيُوتَهُمْ يَمَّ الْعَرِيفَةُ مَشَايِدُ فِي رَقَّةٍ مَا حَلَى كَحَالَفَ زَهَرَهَا

والعرف ، والعريفة : بريثات صغار وحجر كأنه حجر حرّة ، والعرف هذا هو الذي ذكره ساعدة بن جؤيئة الهذلي حين قال يذكر غزالا :

(١) معجم البلدان ٤ / ٢٧٨ (٢) شارع التوم : رئيس من الشيبانيين ، وفهيد : هو الحضري أبو محمد العقيد الشهير . مؤلف (٣) العبرات : الجيش ، والبدر : هي القرب .

فإن تتقى بالعرف عن عين قانصٍ وقد جَنَّه عنها شرى وجلامد
يرَاقبها غارى الأشاجع كاميناً يراها وقد ضاقت عليه الفدافد
وفيه يقول السكيت بن زيد الأسدي^(١) :

أَبْكَاكِ بِالْعَرَفِ الْمَنْزِلُ وما أنت والطلل المحول ؟
وما أنت - ويك ! - ورسم الديار وسنك قد قاربت تكل ؟
وقال عباس بن مرداس السلي^(٢) :

خفافية بطن العقيق مصيفها وتحتل في البادين وجرة والعرفا
فإذا جُرَّتْ العرف متجها إلى جهة الشرق وأنت في بطن الجوبة جوبة ركية فالتفت على
جبل حضن
يمينك ترَحَضْنَا قد سدَّ الأفق اليماني ، قال في معجم البلدان^(٣) : هو اسم جبل في عالية نجد ،
وهو أول حدود نجد ، وفي المثل « أنجد من رأى حضنا » قال جرير :
لو أن جمعهم غداةً مخاشن يُرْمَى به حَضْنٌ لكاد يزول
وقال يزيد بن حذاق في أخبار المفضل الضبي :

أقيموا بني النعمان عنا صدوركم وإلا تقيموا صاغرين الرؤوسا
أكابن المعلى خلتننا وحسبتنا صراري نعطي الماكسين مكوسا
فإن تبعثوا عيناً تمنى لقاءنا يرم حضنا أو من شمام ضييسا
الحلمة
وحضن : من أشهر جبال نجد ، فإذا اندفعت مع الجوبة في بطن ركية ساعة في السيارة ،
فانظر صوب شمالك تر « برثا » كأنه حرة ، هذا البرث يقال له الحلمة ، ويتصل به برثات ، قال
في معجم البلدان : الحلمتان موضع^(٤) ، ولم يزد عن هذه العبارة ولم ينقص ، ولكن الشاهد القوي
على ذكر الحلمة هو قول اللص الحاربي ، وهو يلتمس الحجاج في تلك القطعة من الأرض ، يقول
في أرجوزة له :

نلتمس الطراق وقت العتمة وللسباع وهَجج وهَمَمَه
في مَهَمَه يميزه مَنْ علمه ونهتدى فيه برأس الحلمة

فإذا حاذيت الحلمة على شمالك فارفع بصرك إلى الشمال تر « جبل كشب » قد اعترض كأنه
جبل كشب
قطعة من النيم ، معترض من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، به حرار عظيمة ، وبه مناهل سائجة

(١) معجم البلدان ٦ / ١٥٠ (٢) معجم البكري ٩٣٣ .

(٣) معجم البلدان ٣ / ٢٩٥ (٤) انظره ٣ / ٣٢٢

على ظهر الأرض ، ومن أشهر مياهه المحطة المشهورة لحاج العراق ، وهى منهل مرّان الذى هلك عليه عمرو بن عبيد المعتزلى ، وقبره هناك ؛ فأما جبل حضن فهذا اسمه اليوم ، وهو اسم جاهلى . وأما جبل كشب فهو اسمه الجاهلى ، وهو باق بهذا الاسم إلى عهدنا هذا ، قال بشامة بن عمرو :
* فمرت على كَشَب غداة وجاوزت *

فإذا انقطع عنك جبل كشب فالتفت على يمينك تر « جبل بریم » منقطعا من حضن ، وبه منهل . وهذا اسمه الجاهلى الذى كانت العرب تعرفه به فى الجاهلية ، وهو اسمه إلى اليوم ، قال الأصمعى : بریم ماء لبنى عامر بن ربيعة بنجد ، وتشاركهم فيه بنو جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، قال ابن مقبل :

وأمت بأكناف المراح ، وأعجلت بریمًا حجاب الشمس أن يترجلا

وقال الراجز :

تذكرت مشربها من تصلبا ومن بریم قصبًا متقبا
وتصلب التى ذكرها الراجز : منهل معروف فى غربى حَضْن يقال له اليوم « صلبة »

فإذا جُزّت الحلة وما حولها عرّجت على وادى « قطان » وهو واد معترض يأتى سَيْلُهُ وادى قطان من جهة الجنوب . ويصب إلى جهة الشمال فى الصباحى المجاورة لكشب ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، ولكنى أحب أن أعيد الدليل على اسمه الجاهلى ، وهو قول الخطيئة :

أقاموا بها حتى أبنت ديارهم على غير دين ضارب بجران
عوايس بين الطلح يرجمن بالقنّا خروجَ الأطباء من حراج قطان

فإذا خرجت من وادى قطان فالتفت صوب شمالك تر كَشَبًا وحرارُهُ . وإذا التفت عن الريح يمينك رأيت أبارق وأَكِيمَات وجيالات صِغارا ، يقال لتلك الناحية « الرحي » وهذا اسمها الجاهلى وهى باقية عليه إلى هذا العهد . قال حيد بن ثور :

وكنت رفعت الصوت بالأمس رفعةً بحنب الرحي لما اتلأب كؤدها

وقال الراعى النيرى :

عجبت من السارين والريح قرّة إلى ضوء نارٍ بين فرْدَة والرحى
إلى ضوء نارٍ يشوى القد أهلها وقد يكرم الأضياف والقند يُستوى
فلما أتونا واشتكنّا إليهم بكروا وكلا الحيين مما به بسكى

وهي مقصورة طويلة . واكتفينا منها بالشاهد . وذكر في معجم البلدان موضعاً آخر سماه « رحي بطن » وأنا أظنه غلطاً ، وظنى أن الصحيح « رحي قطن » ؛ لأن الرحي المذكورة في أعلى وادى قطن ، وجميع سيولها وما حولها تصب في وادى قطن ، واستدل على هذا اللفظ بقول تأبط شراً :

ألا من مبلغ فتیان قومی بما لا قیتُ عند رَحَى بطن
فإني قد لقيتُ الغولَ تهوى بسهب كالصَحيفة صَحَصَحان

وهي قصيدة طويلة ويمكن أن يكون أصل قول تأبط شراً * بما لا قيت عند رحي قطن * وجميع جبال كُشِب التي يتركها الطريق على شماله المنقطعات من الجبل كالتفروات والخلي جميعها لها ذكر في المعجم . ولكنني لم أر عليها شواهد شعرية .

فإذا جُزّت قطانا وما حوله وخرجت متجهاً إلى جهة المويه طلعت عليك جبل « هكران » وهذا اسمه في الجاهلية ، ولم يتغير . ذكره صاحب معجم البلدان ^(١) ولم يذكر عليه شاهداً من الشعر . ثم تسير من منهل المويه ، وبه مركز وإمارة لصاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فإذا اتجهت قاصداً الشرق ، ثم انعرج بك الطريق إلى جهة الشمال ، فالتفت جهة يمينك تر جبلا أسود عنده جيالات صفار ، يقال له « الأكموم » وهذا اسمه في يوم الناس هذا ، وهو اسمه الجاهلي أيضاً ، قال عدى بن الرقاع :

لما غدا الحى من صرخٍ وغيبهم من الروابي التي غريتها الكم
ثم تتجه إلى جهة الشمال حتى تحاذى ماء « قباء » وهو منهل عظيم في شرق كُشِب ، يمر به الحاج الذي يمر على مرّان ، وهذا اسمه الجاهلي ، وهو اسمه في هذا العهد أيضاً .

ثم تنعرج على يمينك قاصداً ماء « الدفينة » فتخرج من الصباخي على أبارق صفار يقال لها « أبرق الجلبة » وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم . وهذا الأبرق هو الذي يقول فيه دليم الطر المرشدي من الروقة ، وقد أغار عليهم مقبول بن هريس الثلوي من قصيدة نبطية :

يَمْ أَبْرَقُ الْجَلْبَةُ جَرَى لِي عَشِيَّةُ لَا وَهْنِي أَلَى عَنْ أَسْبَابِهَا غَابَ
جانا مع ابن هريس قوم رويّة جونا وجينا هم نرمى بالأسلاب
يا ليتني يوم الدخن قاد فيّه ولا معى مسلوبة كنتها الدّاب
مهيب جبعا عقرة في يديّه وارمى بها رمى كثير ولا صاب

إلى اعتزينا العزوة المرحية نادى عليهم قال يا ولاد حطاب
وهى قصيدة طويلة .

وإذا خرجت من هذا الأبرق فانظر جهة شمالك تر شرق كشب ، وفيه ماء الشمس ،
وماء الريمة ، والحرب ، والساسة ، منقطعات من كشب في جهته الشرقية ، وذكر الشمس في
معجم البلدان بغير شاهد من الشعر ، وقال كثير على ذكر الريمة :

بياض الدماث من بطن ريم فبمفضى الشحون من الجام
وقال كثير أيضاً^(١) :

عرفت الدارق أقوت بريم إلى لأى فدفغ ذى يدوم
وقال كثير أيضاً :

ارْبَعْ فى معالم الأطلال بالجرع من حَرْصٍ فهنَّ بَوَالِي
فشراج ريمة قد تقادم عهدا بالسفح بين أنثيل ففعال
وأما الحرب والساسة فهما جبلان منقطعان من كشب ، لا يعدان منه ، وإذا ذكر أحدهما
نلا بد أن يذكر الثانى معه ، والحرب هذا هو الذى عنه امرؤ القيس بقوله :

خرجنا نربغ الوحش بين ثُعَالَةٍ وبين رَحِيَّاتٍ إلى فج أخرب
وهو الذى يقول فيه جرير :

يقول بنعف الأخر بية صَاحِبِي مَتَى رَعَوَى قَلْبُ النوى المتقاذف
وهو الذى يقول فيه الشاعر :

بليت ولا يبلى تعار ولا أرى بيثر ثميل نائياً يتجدد
ولا الأخرب الدانى كأن قلاله بَحَاتٍ عليهن الأجله هجد
وهو الذى يقول فيه طهمان بن عمر السكلابى :

ان تجد الأخراب أيمن من سَجَا إلى الثعل إلا ألام الناس عامره
وجميع هذه المواضع باقية بأسمائها إلى هذا العهد .

ثم التفت عن يمينك تر « خال الدفينه » شاهقاً فى السماء ، لا يبعد عنها ، وهذا اسمه الجاهلى خال الدفينة
هو اسمه اليوم ، وقد أوردنا ذكره فى كتابنا هذا .

ثم اهبط إلى « وادى الدفينة » الماء المشهور بهذا الاسم ، وهو اسمه فى الجاهلية أيضاً ، وقد
وردنا ذكره فى كتابنا هذا .

فإذا خرجت من ذلك الوادى ، وكنت فى الموضع الفاصل بين سنّى الدفينة والرماحيات ،
 فالتفت على يمينك ترّ رأس جبل ظلم ، وترأس عردان الذى كان يقال له فى الجاهلية « عردة » .
 ثم التفت على شمالك ترأس جبل حَبْر ، وترأس جبل « الغرابة » وأنت فى مكانٍ واحدٍ
 وجميع هذه المواضع على أسمائها التى كانت لها فى الجاهليّة : ظلم ، وحبر ، وعردة ، والغرابة ، وقد
 أوردناها فى كتابنا هذا : عردة وحبر فى معلقة عبّيد ، وظلم فى أشعار زهير .
 ثم اندفع متّجهاً إلى عفيف ، ثم التفت على شمالك تر « الذنائب » . وهذا اسمها الجاهلى ،
 وقد مضى الكلام عليها فى كتابنا هذا ، وكانت بها معركة بين بكر وبنى تغلب ، وهى التى
 أشار إليها المهلهل فى قوله :

فلو كشف المقابر عن كليب سَمِعَ بالذنائب أى زير

ثم تطلع على « جذيب الخضارة » وهى جبال سود صغار يقال لها « سمر الخضارة » فى هذا
 العهد ، وهى التى تقول فيها مرسى العطاوية :

وادى الجريز إلى حدّ من علاويه وخشم الذنبيه والجذيب امتساوى

وقد مر ذكر تلك المواضع فى كتابنا هذا ، إذا كنت على تلك الجبال فانظر ، فما كان سيّله
 منها مشرقاً فهو يصب فى وادى الجريز ، وما كان مغرباً فهو يصبّ فى الشّعبة ، ويتجه إلى
 جهة المدينة ، ثم تأتى وادى الخضارة ، وهو وادٍ كثير الشجر ، يصب سيّله فى الجريز ، ثم تخرج
 منه وأنت قاصِدُ الشّرق ، ثم تلتفت على شمالك فترى « أجلى » وهو جبل ذو ثلاث قطع حمراء ،
 هضبات متصل بعضها ببعض ، ولها ذكرٌ فى أشعار العرب الجاهليين ، وهذا اسمها الجاهلى
 قال الراجز :

حلت سلمي جانب الجريز بأجلى محلة الغريب

وقال النمر بن تولب :

خرجن من الخوار وعُدُن فيه وقد وازن من أجلى برعن

قال أبو عبّيد البكرى فى معجم ما استعجم^(١) : « أجلى » هضبات حمراء بين فلجة ومطلع الشمس ،
 وماؤها ناعل ، اجتمع فيه النصي والصليان والرمث بجهراء من نجد طيبة ، والجهراء الصغراء ، ولذلك
 قالت بنت الخس - وقد سئلت : أى البلاد أمراء ؟ - قالت : خياشيم الحزن أو جِواء الصمان ،
 قيل : ثم أى ؟ قالت : أزهاء أجلى أتى شئت ، وقد أوردنا فيما مضى بعض هذه العبارة ، وهى
 التى يقول فيها القتال الكلابى :

عفت أجلي من أهلها فقليبها إلى الدّوم فالرفقاء قفر كتيبها
وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

ثم التفت على يمينك تجد « وادي الثعل » والثعل : اسم لمنهل في أعلى هذا الوادي يقال له وادي الثعل
في هذا العهد « الثعل » وكان في الجاهلية يقال له ثعال ، وهو الذي قال فيه امرؤ القيس :
ورحنا نريغ الصيد حول ثعالة وبين رحيات إلى فحج أخرب
وهو الذي يقول فيه الشاعر :

أيام أهلونا جميعاً جيرة بكتانة ففراقده فثعال

ثم اقطع هذا الوادي جاعلاً ثعال عن يمينك وأجلي عن شمالك فإنك تطلع على أرض مرتفعة
يقال لها « المشف » في هذا العهد ، وسيلها ينقسم قسمين : ما غرّب منه يصب في الجريب ،
وما اتجه مشرقاً يصب في وادي الشبرم ، فالتفت على يمينك تر العلامات المطلة على ماء سجا ،
وهي هضبة فيها أبارق يقال لها « أم السباع » وسجا : مهل جاهلي ، وقد أكثر الشعراء من
ذكره ، وقد وردته قبل أن يعمره صاحب السمو الأمير فيصل ، وكان الناس لا يستقون منه
إلا بالكد والمشقة ؛ إذ لا تخرج منه الدلاء إلا بالشطن جبال ثانية غير حبالها ، وقد قال
الراجز الجاهلي :

* ساقى سجا يميند مئيد المحور *

وقال الراجز الثاني وهو يمتنع دلوه :

لا سلم الله على خرقا^(١) سجا من ينج من خرقا سجا فقد نجا
أنسكد لا ينبت إلا العرجا لم تترك الرّمضاء متى والوجا
والنزع من بعد قعر من سجا إلا عروفاً وعروفاً خرقا

وقال غيلان بن الربيع اللص :

إلى الله أشكو تحبسي في نخيس وقرب سجا يارب حين أفيل
وإني إذا ما الليل أرخى ستوره بمذمرج النخل الحفي دليل

وكان سجا قبل أن ينظمه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ويأمر بطي آباره من أصعب مياه

(١) هذا كلام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام على صعوبة مورده وذم نباته ، ولكنه في هذا
العهد أصبح ولا يعلم في جزيرة العرب منهل أمره من منله ، ولا مرتع أحسن من مرتعه ، إذ توجد
جميع النباتات الصالحة للابل في أرض سجا المجاورة له .

نجد مورداً ، وكان مثلاً عند أهل نجد ، كل أمر صعب يقولون فيه « الله يغنى عن سجا ووروده »
 رأس مثلة ثم التفت على شمالك تر رأس مثلة ، وهى هضبة سوداء ، سميت مثلة لأن لها ثلاثة رؤوس
 وهى فى وادى الشبرم ، ولم أر لها ذكراً فى أشعار الجاهلية ، ولها ذكر فى أشعار الأعراب المتأخرين
 قال شاعر من عتبية من قصيدة نبطية :

هَاضِي مَبْدَائِي فِي حَيْدِ رَمَائِي فِي سَنَافِ الْمَطَرِ مَالِي رَعِيَّةُ
 فِي يَدِي مَطَرُ فَرَنْجِي هَبَائِي ذَخْرًا بَوَى مِنَ الصَّنُوعِ الْجَاهِلِيَّةِ
 يَاحِلِي مِنَ الْمَسَاتِلِغِ الرَّقَائِي حَازِبِينَ مُثْلَتُهُ وَالشَّرْبِيَّةِ
 لَيْتَنِي عَانَتْهُمْ بِأَوَّلِ شَبَائِي يَوْمَ تَحَنَّنَ الصَّبَا فِيهِمْ وَفِيَّةِ

الشبرمية : ماء قرب مثلة ، فى وادى الشبرم .

ثم اهبط إلى عفيف النهل المعروف فى الجاهلية بهذا الاسم ، وقد مضى الكلام عليه فى
 كتابنا هذا ، وقد أوردنا عليه هذا الشاهد عن ابن الأعرابي :

وما أم طفل قد تجم رَوْقُهُ تَغْرَى بِهِ سَدْرًا وَطَلْحًا تَنَاسَقَهُ
 بِأَسْفَلِ غِلَانِ الْعَفِيفِ مَقِيلَهَا أَرَاكَ وَسَدْرٌ قَدْ تَحَضَّرَ وَارِقَهُ

ثم تذهب فى طريقك متجهاً إلى الشرق ، وإذا خرجت من أبقار الأودية المتصل بعضها
 ببعض إلى وادى المعلق فالتفت عن يمينك تر جَبَل التَّيْرِ معترضاً من الغرب إلى جهة الشرق
 قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ الْجَنُوبِي ، وهو الذى يقول فيه جَعْدَرُ اللُّصِّ :

ذَكَرْتُ هُنَدًا وَمَا يَغْنَى تَذَكُّرَهَا وَالْقَوْمُ قَدْ جَاوَزُوا شَهْلَانَ وَالنِّيرَا

وهذا اسمه الجاهلى .

ثم التفت على شمالك تر جبل « شعر » و « العرائس » و « الخنفسيات » و « أرينبة »
 و « الكودة » وجميع هذه المواضع معروفة بهذه الأسماء فى يومنا هذا ، وهى أسماءها فى الجاهلية ،
 قال ذو الرمة ذا كراً العرائس وشعر :

أَقُولُ وَشَعْرُ وَالْعَرَائِسُ بَيْنَنَا وَسَمَرُ الذَّرَى مِنْ هَضْبِ نَاصِفَةِ الْحَمْرِ

وقد ذكرنا الشواهد على تلك المواضع ، وقال عنترة على ذكر أرينبة :

وَقَفْتُ وَصَحْبَتِي بِأَرِينَبَاتٍ عَلَى أَقْتَادِ عَوِجِ كَالسَّاهِمِ

الخنفسيات : هضبات معروفة ، لا تبعد عن العرائس وشعر ، قال الشاعر :

وَقَالُوا : مَا تَرِيدُ ؟ فَقُلْتُ : أُرْمِي جَمُوعًا بِالْخَنَافَسِ ذِي أُنُوتِ

وقال آخر :

صبحنا بالحنافس جمع بكر وحيا من قضاة غير ميل
ثم تسلك الطريق متجهاً إلى ماء « القاعية » وعلى يسارك « السكودة » الهضبةُ المعروفةُ
وقد أوردنا عليها الشاهد في غير هذا الموضع .

ثم تجزع على طرف هضبة متقادة من النير يقال لها « أم الفهود » قال جرير :
رأوا بثنية الفهدات ورداً فما عَرَفُوا الْأَعْرَ من البهم
ولست أدري هل عنى جرير بقوله هذه الهضبة ، أو أنه يعنى الفهدة المعروفة قرب ثرمداء .
ثم تطلع على ماء القاعية ، وعلى يمينك جبل النضادية ملاصق النير ، متاخماً لمنهل القاعية ،
في الجهة الجنوبية منه ، واسمه في الجاهلية « نضاد » ويعرف في عهدنا هذا بالنضادية قال الشاعر :
لو كان من حضن تضائل ركنه أو من نضاد بكى عليه نضاد

وقال كثير :

كأن المطايا تتقى من زبانة مناكد ركن من نضاد مللم
وقال قيس بن زهير العبسي من أبيات له :

إليك ربيعة الخير بن قرط وهوباً للطريف وللتلاد
كفاني ما أخاف أبو هلال ربيعة فاتت عني الأعادي
تظال جياده يجمزن حولي بذات الرمث كالحدا الصوادي
كأني إن أنحت إلى ابن قرط علقت إلى يللم أو نضاد

ذات الرمث : واد قد مضى الكلام عليه ، وهو في النير يقال له « الرميثي » وأما نضاد
هذا فإذا كنت منزهاً عن جبل النير فهو أرفع ما ترى منه ، قال ابن دارة :

وأنت جنب للهوى يوم عاقل ويوم نضاد النير أنت جَنِيبُ

فإذا جرت منهل القاعية تركت النير على يمينك حين تكون متجهاً إلى بلد الدوادمي ،
فيبدو لك حينئذ « ذريع » وهو اسم لجبلين صغيرين كان يقال لهما في الجاهلية « ذراعان » وبقى
اسمهما في عهدنا هذا على هيئة تصغير ذراع ، يتركه السالك على يمينه ، قالت امرأة من بني عامر
ابن صعصعة :

سقياً ورعيّاً لأيام تشوقنا من حيث تأتي رياح الهيف أحيانا
إلى أن قالت :

ياحبذا طارقاً وهناً أَلَمَّ بنا بين الذراعين والأخواب من كانا

جبل خنوقة وقد أوردنا هذا الشاهد في كتابنا هذا ، وعلى يسارك جبل « خنوقه » وهذا اسمه الجاهلي ، وهو باقي به إلى هذا العهد ، قال القحيف العقيلي :

تحملن من بطن الخنوقة بعد ما جرى للثريا بالأعاصير بارح
وهذا الشاهد قد أوردناه ، ولكن دعت الحاجة له ولثله على ذكر الطريق .

مهلان وترى وأنت متجه على يمينك جبل « مهلان » وجبل « شطب » المنقطع منه ، وقد أوردنا شواهد تلك المواضع بتمامها ، وهي باقية بأسمائها إلى هذا العهد .

جبله ثم التفت على شمالك تر « جبله » وقد أوردنا عليها الشواهد ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وادي الرشا ثم تهبط « وادي الرشا » وقد مضى الكلام عليه ، واسمه الجاهلي الرشا ، ثم تطلع على جبال البيضتين الدوادمي فترى « البيضتين » على شمالك كأن أصلهما واحد ، وأعلاهما هضبتان معروفتان عند عامة أهل نجد بالبيضتين ، وهذا اسمهما الجاهلي ، قال الفرزدق :

حبيب دما والرمل بيني وبينه فأسمنى ، سقياً لذلك داعياً
أعيدكما الله الذي أتما له ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

الدوادمي ثم تهبط بلد الدوادمي ، وأنا لم أجده لهذا البلد اسماً يقرب من اسمها اليوم . ثم تخرج منها متجهاً إلى جهة الشرق ، فتأتي على وادي الضال ، ولم أجده ذكرراً ، إلا أن في معجم البلدان ذكر موضع يقال له « ضللي » وتنحدر على التسريير ، وهذا اسمه منذ العهد الجاهلي لم يتغير . قال أعرابي مرض في الشام ، فبعث له الوليد بن عبد الملك أطباء ، فجاءوا يحسون نبضه ، فقالوا له : ماتتشي ؟ فقال^(١) :

جاء الأطباء من حصص تخالهم من جهلهم هل أداوى كالجنانين
إذا يقولون ما يشفيك قلت لهم دخان رمث من التسريير يشفيني
مما يضم إلى عمران حاطبه من رمث غرب جزلاً غير موزون

غرب : تتفرع منها سيول التسريير ، وقال الراعي :

حي الديار ديار أم بشير بنويعين^(٢) فشاطىء التسريير
لعبت بها عصف النعامي بعدما زوارها من شمال ودبور

(١) معجم البلدان ٣/ ٣٨٩ وفيه « من الجنة جزلاً غير موزون » (٢) النويعين : جبلان صغيران يقال لأحدهما في عهدنا هذا النوع ، وللآخر النايغ . ويقعان عند وادي الرمة جنوباً . مؤلف

فإذا كنت بين الضال والتسرير فالتفت عن شمالك تر « جمران » و « غربا » فأما جمران جمران وغرب
فجبل أسود مرتفع إلى السماء ، وأما غرب فخص أكمات صفار سود ، في شرقيه على مسافة أقل
من نصف يوم ، وجمران وغرب على اسميهما منذ الجاهلية لم يتغيرا . قال مالك بن الرئب :
على دماء البدن إن لم تفارق أبا حردب يوماً وأصحب حردب
سرى في دجى ليل فأصبح دونها مفاوز جمران الشريف فغرب
تطلع من وادى الكلاب كأنها وقد انجذت منه فريدة ربرب
وعليهما شواهد كثيرة .

ثم تتجه مع الطريق الذى يخرق ثنية القرنه ، وهذا اسم قديم لها ، وظنى أن تسميتها بالقرنه ثنية القرنه
لأنه يأتى وادى حميان من الجهة الغربية الجنوبية منه ، ووادى التسرير يأتى من الجهة الغربية
الشمالية منه ، ويقترنان في تلك الثنية ، وتتجه سيول الواديين معه حتى يمر على ماء « خف »
و « خفيف » وظنى أنها التى يقول فيها لبيد بن ربيعة العامري :

وغداة قاع القرنين أتيتهم رهواً يلوح خلالها التَّسْوِيم
بكتائب رجح تعود كبشها نطح الكباش كأنهن نجوم
فارتث قتلام عشية حزمهم حتى بمنعرج السيل مقيم
والعرب ثنى المفرد إذا أرادت جانيه أو ناحيته ، كقولهم لامة : رامتني .

ثم تتجه إلى جهة الشرق الشمال ، فما كان على يمينك من مسلك الطريق إلى نفود السرفهو
من « المروت » الذى قد مضى الكلام عليه عند ذكر المروت الذى به يوم من أيام العرب ،
وذكر يوم الحرملية لأنها في المروت ، وذكر سوفة لأنها في المروت ، وينعرج بك الطريق إلى جهة
الشمال حتى تصل ماءة خفيف ، وهى حد المروت الشمال ، وقد مضى الكلام على هذا المنهل ،
وأوردنا عليه شاهداً ، وهو قول الراعى :

رعت من خفاف حيث نقي عبابه وحل الروايا كل أسحم ماطر

ثم تمشى قاطعا نفود السر - وقد مضى الكلام عليه وعلى شواهد - ثم تخرج منه متجها إلى
جهة « مرات » تاركا صفراء الوشم على شمالك وكثيب قنيفذة على يمينك فإنك ترى ثنية وادى
الخميري الذى يصب عند ذات غسل ، وذكروا أن سبب تسميته الخميري أن بنى نخير عاثوا في البلاد
وأفسدوا فيها ، وأخذوا حاج العراق في خلافة المستعين العباسي ، وأرسل إليهم جيشاً يرأسه قائد
من قواده يقال له بَغَا فالتجثوا إلى هذا الوادى ، وأطالوا المكث فيه ، فسمى باسمهم بعد التجأهم إليه

ذات غسل

وأما ذات غسل فكانت لبني العنبر في الزمن الجاهلي ، وهم بطن من تميم ، وواديها يقال له «العنبري» من العهد الجاهلي إلى هذا اليوم ، ولم يبق فيه في هذا العهد من بني العنبر رجل واحد . ثم تصل مرأة ، وهي البلد التي كان فيها الاختلاف بين كتاب هذا العصر ؛ منهم من قال : إنها بلد امرئ القيس الكندي الشاعر المشهور ، ومنهم من قال : إنها بلد امرئ القيس التميمي ، وأنا مع من قال : إنها بلد امرئ القيس التميمي ، فإن كانت الشمس تلتبس على أحد فهذا الموضع يلتبس علينا ، ولو أن كميّتا الجبل المطلق عليها ينطق لأقسم بالله أنه لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندي ، بل ولم يمر بها في تجولاته ؛ لأنه لم يذكر من المواضع موضعاً قريباً منها ولا في جميع نواحيها ، ومن ذكر من أهل المعاجم أو من الكتاب أن اللّخول وخؤملا وتوضح والمقراة ومأسلا ودارة جُلجل في اليمامة ، فقد أخطأ ، وغلطه أعظم من غلط من قال : إن مرأة هي بلد امرئ القيس الكندي ، بل المواضع التي مر ذكرها موجودة بأسمائها يُرى بعضها من بعض كما أوضحناه في كتابنا هذا عند الكلام على معلقته ، وهي في عالية نجد الجنوبية منها ، وبلد مرأة هي إحدى قرى الوشم من جهته الجنوبية ، قال ذو الرمة ^(١) :

فلما وردنا مرأة اللوم غلقت دسا كر لم ترفع لخير ظلالها
ولو عبرت أصلابها عند بهنس على ذات غسل لم تشمس رحالها
وقد سميت باسم امرئ القيس قرية كرام غوانبها لنام رجالها
تظل الكرام المرملون بجوّها سواء عليهم حملها وحيالها
إذا ما امرؤ القيس بن لؤم تطلعت بكأس الندامى خيبتها مسألها

انظر قول الشاعر عن ذات غسل وإكرامها للضيف ، وإدخالها للركاب ، وأهلها لم تشمس رحالها ، وهذا الكرم باق في أهل تلك البلد إلى هذا العهد .

وأقدم قرى الوشم التي من العهد الجاهلي : بلد مرأة ، وهي لبني امرئ القيس التميمي ، وبلد ثرمداء ، وهي لبني سعد من تميم ، وأثنية ، وهي لبني يربوع من تميم ، وذات غسل ، وهي لبني العنبر

(١) ووجه الدلالة من هذه الأيات أن ذا الرمة كان كثير الهجاء لبني امرئ القيس التميمي ، وفيه يقول :

بعد الناسون إلى تميم بيوت المجد أربعة كبارا
يعدون الرباب وآل سعد وعميرا ثم حنظلة الحيارا
ويستقط بينها الرئي لغوا كما ألفت في الدية الحوارا

من تميم ، وأشير للرباب من تميم ، تلك القرى المذكورة من أقدم قرى الوشم ، والوشم اسم جاهلى قديم ، وهو باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال صاحب أشتي :

مَتَى أَمْرٌ عَلَى الشَّعْرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النِّقَا بِمَرُوحِ لِحْيَتِهَا زَيْمٌ
والوشم قد خرجت منه وقابَلَتْهَا من النِّبَايَا التي لم أَقْلَهَا ثَرَمٌ

فإذا خرجت من بلد مرآة متجها إلى الجنوب على الطريق تترك على يمينك صفراء مرآة المتصلة بصفراء الوشم ، والصفراء : هى الجبال الصُّفْر المتصلة بعضها ببعض ، وعريق الوشم على يسارك ، وهذا الكتيب يُسميه أهلُ الوشم « نفود الوشم » وتسميه الأعراب « عريق البلدان » لأن جميع قرى الوشم إما فى شرقه وإما فى غربيه ؛ فالقرى التى بغربيه : أشير ، والفرعة ، وشقراء ، والقراين ، وذات غسل ، وبلد الوقف ، لا يفصل بينها إلا وادى العنبرى وأثنية وثرمداء وبلد مرآة ، وهى طرف الوشم من الجهة الجنوبية ، والقرى التى بشرقيه : الداهنة ، والجريفة ، والحريق ، والقصب ، والمشاش . ثم ينقطع عنك ذلك الكتيب إذا طلعت على بلد البرة ، وهناك مشهور ، واسمه « طُرَيْفُ الحبل » وقد أوردنا على ذكر الحبل أشعاراً كثيرة ، منها أشعار لهديل ، ذكروا أن هذا الحبل قريب عرفة ، وقصيدة للحسين بن مطير منها :

خَلِيلِي مِنْ عَمْرٍو قَفَا وَتَعَرَّفَا لِسَهْمَةٍ دَاراً بَيْنَ لَيْنَةٍ وَالْحَبْلِ

وهذا الحبل من الحبال المتصلة بلينة من الجهة الشمالية من نجد ، قال فى معجم البلدان : وحبل : موضع باليمامة ، وفى حديث سراج بن بجاعة بن مرارة بن سلمى عن أبيه عن جده قال : أتيت النبی صلى الله عليه وسلم فأقطعنى الغورة وغرابة والحبل ، وبين الحبل وحجر خسة فرائخ ، قال لبيد يصف ناقة :

فَإِذَا حَرَكْتُ غَرَزِي أَجْمَزْتُ وَقَرَانِي عَدُوُّ جُونٍ قَدْ أْبَلَ
بِالْغَرَابَاتِ فَرَزًا فَاتَهَا فَبِخَزِيرٍ فَأَطْرَافِ حَبْلِ
يَسُدُّ السَّيْرَ عَلَيْهَا رَاكِبٌ رَابِطُ الْجَأْشِ عَلَى كُلِّ وَجَلٍ

أما الغرابات فهى معروفة فى العتك بين القصب وثادق ، فإذا كنت فى الغرابات فطريف هذا الحبل الذى كنا فى ذكره يقع عنك جنوباً أو أرفع من الجنوب إلى جهة الغرب ، ونفید بنیان المعروف بهذا الاسم اليوم يقع عنك فى جهة مطلع الشمس ، والسكيتيان يقعان من الغرابات كل واحد منهما على مسافة يوم ونصف منها ، والذى كنا فى ذكره أقرب للصواب من كتيب بنیان .

جبل عريض ثم تندفع إلى جهة البرة قاصداً الجنوب وعلى شمالك جبل عريض ، وقد ذكر الشعراء هريضا في مواضع كثيرة : منها عريض المدينة ، وعريض عالية نجد الذي ذكره امرؤ القيس ، وعريض المذكور الذي كُنا فيه يقال له « عريضة » قال جرّان العود النيمري :

تذكرنا أيامنا بعريضة وهضب قساء ، والتذكّر يشفع

أنت الآن في شمالي قرقرى تارك البرة على شمالك ، البرة التي يقول فيها يحيى بن طالب :

خليلى عوجا بارك الله فيكما على البرة العليا صدور الركائب

المويند ثم تخرج على المويند وعلى قصره ومزارعه ، وقد ذكره صاحب المعجم بهذا الاسم ، وذكر المويند الواقع في عالية نجد ، قال في معجم البلدان : المويند قرية باليامة لبني خديج إخوة بني منقر ، عن الحفصي ، هذا الذي كُنا في ذكره . وقال أيضاً في المعجم : قال أبو زياد : من مياه بني نمير المويند يبطن الكلاب ، هذا هو الواقع في عالية نجد .

الحجلاء ثم تتجه من المويند قاصداً الرياض ، تاركا الحجلاء ^(١) على شمالك البئر المشهورة هناك بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي التي يقول فيها يحيى بن طالب :

وأشرب من ماء الحجلاء شربة يداوى بها قُبل المات غليل

مائة الغزيز تراها بعينك وأنت على قارعة الطريق ، وهذا الموضع مُحاذٍ ماء الغزيز عندما ينخرج الطريق قبل دخوله عارض اليامة ، وهذا اسمه الجاهلي ، يقع في صفراء الوشم ، في الطرف الجنوبي منها ، بين مرارة وضرمى ، منهل معروف بهذا الاسم في الجاهلية ، وهو باقٍ إلى هذا العهد . قال جرير ^(٢) :

فهيهات هيهات الغزيز ومن به وهيهات خل بالغزيز نواصله

وهو معروف أنه من مياه بني تميم لبني عطارد بن عوف بن سعد ، وقيل للأحنف بن قيس وهو مريض : ما تتمنى ؟ قال : شربة من ماء الغزيز ، وماء الغزيز مر ، وإنما تناه الأحنف لحبته الوطن ، ومات الأحنف بالكوفة وهي على شاطئ الفرات . وماء الفرات عذب ، فلم يتمنّ منه

(١) الحجلاء - برتقع جنوبي البرة ، على مسافة نصف يوم أو أقل ، وهي التي لما خرج صالح الحسن أمير بريدة من سجن الرياض وحدها الظمأ إلى تلك البئر بقي عليها (بحد غترته) وهي في لسته حتى اتصل الماء ثم يعصرها بضمه ، فشعر به أهل البرة فأتوه وألقوا عليه القبض ، لأنه قد أخبرهم الإمام عبد الرحمن بخروجه فجاءهم الأمير محمد بن عبد الرحمن فقتله . وقبره هناك في البرة . المؤلف

(٢) يروى هذا البيت « فهيهات هيهات العقيق ومن به » وهكذا هو في كتب النحاة والافويين

شربة . وهذا الطريق هو الذى سلكه خالد بن الوليد - رضى الله عنه ! عند ذهابه لقتال مسيلة . قال غناء السير والمغازي : وسلك خالد بن الوليد رضى الله عنه وادى الأحبسى ، وقد صار هذا الاسم « وادى الحبسية » .

فإذا انقسم بك السيل بين مشرق ومغرب ظهرت لك ثنية غرور ، وهى التى سلكها خالد ابن الوليد - رضى الله عنه ! - والطريق اليوم لا يمر بتلك الثنية ، بل يسلك الوادى . ثم تسلك وادى الحبسية من بين أودية الحجر . وظنى أن هذا اسم حديث ؛ لأنى لم أر له ذكراً فى كتب المعاجم ولا فى أشعار العرب .

وتجه إلى جهة الغرب فى وادى الأحبسى ، وعلى يمينك وادٍ عظيم يقال له « وادى العمارية » وادى العمارية بينك وبينه جبل . قال فى معجم البلدان : العمارية منسوبة إلى عمار قرية باليمامة لبنى عبد الله ابن الدؤل . وربما كان عمار هذا من بنى الدؤل ، وهم أهل هذا الوادى الذين يقول فيهم الشاعر :
فدعلت بأن الدخن فأكبه حتى مررت بوادى آل عمار
ثم تدخل فى خرائب « العينة »^(١) . ولم أر لهذا الاسم ذكراً لأنه حديث ذكر صاحب معجم البلدان جميع العيون المضافة والعيون المثناة ؛ ومما ذكره « عنين » فى جهة البحرين على الساحل الشرقى .

ثم تصل قرية الجبيلة ، ولم أر لها ذكراً فى كتب المعاجم . ثم تخرج من وادى الجبيلة على عقرباء ، وهى أرض مصطبة ، ذكرها صاحب معجم البلدان ، وفى ذكره خطأ وصواب فى تحديده . قال : إنها كانت ملكاً لمحمد بن عطاء أحد فرسان ربيعة المذكورين ، وخرج إليها مسيامة الكذاب لما بلغه سرى خالد بن الوليد إلى اليمامة ، فبزل بها لأنها فى طرف اليمامة ودون الأموال ، وجعل ريف اليمامة وراء ظهره ، فلما انتهت الحرب وقتل مسيلة قتله وحشى مولى جبير ابن مطعم قاتل حمزة رضى الله عنه ! قال ضرار بن الأزور :

ولو سئلت عنا جنوب لأخبرت عشية سالت عقرباء وملهم
وسالت بفرع الواد حتى ترقرت حجارتها فيه من القوم بالدم^(٢)
فإن تبغى الكفار غير منية جنوب فأنى تابع الدين مسلم
أجاهد إذ كان الجهاد غنيمة ولله بالمرء المجاهد أعلم

(١) وهى مقر العمر فما سلف ، وهى قاعدة إمارتهم ، فلما خربت انتقلوا إلى بلدة بنى سدوس وهى بلد قديمة جاهلية ، ذكرها صاحب معجم البلدان .

(٢) فى هذا البيت إقواء .

وقد مضى الكلام على هذه الآيات .

الرياض

ثم تتجه إلى جهة الرياض تاركا وادى حنيقة على يمينك ، ثم تصل بلد الرياض بعد ما تمر في شرقي بلد الدَّرْعِيَّة ، ولم أر لها ذكراً في كتب المعاجم ، ثم تصل الرياض عاصمة نجد ، ولم أجد للرياض ذكراً أستدل به على هذا الاسم ، إلا أن صاحب معجم البلدان لما ذكر الرياض وما تضاف إليه قال : وروضة السلي ، وقال على ذكر روضة ثانية : وروضة القمعة ، ذكرها ابن أبي حفصة من نواحي النخامة ، وفي نفس الرياض موضع يقال له القمعة في هذا العهد ، وروضة السلي تقرب من هذا الموضع ، وأما اسمه الجاهلي فهو يعرف بحجر النخامة ، ويمكن أن يكون هذا الاسم الحديث «الرياض» قد كان اسماً لهذه الرياض المذكورة ، فلما عمرت في مكانها البلد بقي الاسم على حاله ، قال في معجم البلدان : قال ابن الفقيه : حجر هو مصر النخامة ، ثم جو ، ثم الخضرمة ، وهي من حجر على يوم وليلة ، وبها بنو سحيم ، وبنو ثمامة من حنيقة ، باغى أن قرب منفوحة موضعاً يقال له في هذا العهد الخضرمة ، وفي بلد منفوحة بطن يقال لهم بنو سحيم إلى هذا العهد ، وظنى أنهم البطن المذكور من حنيقة ، وهذه الرواية في معجم البلدان على ذكر الخضارم ، وقد سألت رجلاً من بني سحيم أهل منفوحة : ممن أنتم من قبائل العرب ؟ قال : من الدواسر ، وأنا أظن أنه لم يضبط نسبه ، والصحيح الثابت أنهم من حنيقة ، وقد أورد صاحب المعجم ^(١) قول طهمان الشاعر المشهور :

ولا خير في الدنيا وكانت حبيبةً إذا ما شمال زابتها يمينها
وقد جمعتني وابن مروان حرة كلابية فريح كرام غصونها
ولو قد أتى الأنباة قومي لقلصت إليك المطايا وهي خوص عيونها
وإن بحجر والخضارم عصبة حرورية حبنا عليك بطونها
إذا شب منهم ناشئ شب لا عناء لمروان والملعون منهم لعينها

قال في معجم البلدان : وخضراء موضع بالنخامة ، وهي نخيلات وأرض لبني عطارد ، واستدل بقول الشاعر ^(٢) :

إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى عشية بانت زينب ورَمِيم
فبأنوا من الخضراء شُرراً فودَّعوا وأما تقى الخضراء فهو مقيم
وأما الخضراء بهذا الاسم فلم أجد لها ذكراً في هذا العهد في نواحي النخامة ، ويمكن أن تكون معروفة عند أهل تلك الناحية .

الكويت

ثم تتجه من الرياض إلى الكويت ، فتمر بالمطار الموجود في الرياض ، تجده على شمالك

وأنت متجه بين الشرق والشمال . ثم تجيز وادى ببنان فى موضع يقال له « الحخر » واسمه الجاهلى بنبان ، لبى سعد بن تميم ، قال الشاعر :

قد علمت سعد بأعلى بنبان يوم الفريق والفتى رغان
وقال الخطيئة يهجو الزبرقان بن بدر :

وما الزبرقان يوم يحرم ضيفه بمحتسب التَّقْوَى ولا متوكِّل
مقيم على بنبان يمنع مائه وماء وشيع ماء عطشان مُرْمِل
تسكلم الخطيئة فى شعره بلسان بنى تميم فإنها تستعمل الشين عوضاً عن السين فقول الخطيئة وشيع هو وسيع الماء المعروف اليوم فى شرق العرمة فى جهتها الجنوبية .

ثم تجيز وادى الشلَّى فى الجهة الشمالية منه ، وهذا اسمه الجاهلى لم يتغير ، قال فى معجم البلدان : وادى السلى قال أبو زياد : السلى بين اليمامة وهجر ، وقال أيضاً : السلى رياض فى طريق اليمامة إلى البصرة ، ووادى الطنب ، فأما ذكره فى هذه العبارة رياضاً فهى مقارنة لموضع الرياض اليوم ، وقال أبو الحسن على ذكر السلى : السلى واد من حجر ، وهذا أقربهم للصواب ، لأنه مخاطط حجر اليمامة ، قال الشاعر ^(١) :

لعمرك ما خشيت على أبى متآلف بين حجر والسلى
ولكنى خشيت على أبى جريرة رحمه فى كل حى
من الفتیان مُحْلُولٍ ممر وأمار بإرصادٍ وغى

واسمه السلى إلى هذا العهد .

ثم يبدو لك جبل العرمة وثناياها وطرقها ، وهذا اسمها الجاهلى ، ولا تزال تعرف به إلى هذا جبل العرمة العهد ، وقد أوردنا شواهدا وشواهد بنبان فيما مضى .

ثم تتشعب الطريق إلى طريقين : فإما أن تصعد عقبة البويب ، أو تأخذ بذات اليمين على طريق يقال له التريبي ، والتريبي أسهل من طريق البويب ، ولكن جلالة الملك - حفظه الله ! - أمر بإصلاح طريق عقبة البويب ، فعبدت ، فكانت فى مأمْن من انقلاب السيارات وغيرها . ثم ترد منهل رماح ، وعليه مركز وإمارة ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو من مناهل بنى تميم فى الجاهلية ، ولم يتغير اسمه بحرف واحد ، قال جرير فى قصيدة حاثية مشهورة له مدح بها عبد الملك ابن مروان وهذا ^(٢) مطلقاً :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية همَّ أهلك بالرواح

يَكْفَنِي فَوَادِي مِنْ هَوَاهُ ظُعَانٌ يَحْتَزَعْنَ عَلَى رِمَاحٍ
إِلَى أَنْ قَالَ فِي مَدْحِ الْخَلِيفَةِ :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بِظُورِ رَاحٍ

ورمّاح باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومنهل رمّاح هو آخر مناهل العرمة مما يلي الدهناء في هذا الطريق في شرق العرمة ، ولها طريق ثانية ، وعليها مناهل ، وآخر منهل « وسيع » وهو الجنوبي منها ، ومنهل سديرة ، ومنهل أبو جفان ، ومنهل سعد ، ومنهل رملان ، ومنهل رمّاح ، ومنهل حفر بنى سعد ، وهذه مناهل العرمة التي على الطريق طريق الأحساء والسكويات وعينين ، وينعقد في طرف العرمة الشمالى جبل مجزل ، ويمتد إلى جهة الشمال وفيه مناهل : في جهته مما يلي الدهناء منهل تيمر ، ومنهل أتمريه ، ومنهل مبابض ، ومنهل بوضاء ، ومنهل الدجاني ومنهل البتراء ، ومنهل القاعية ، ومنهل أم المجاجم ، ومنهل الأرطاوية الهجرة المشهورة لمطير ، ومنهل أم جريف ، ومنهل جراب ، ومنهل المشاش ، جميع هذه المناهل متصلة في جبل مجزل ، قال في معجم البلدان : مجزل جبل باليمامة ، والأرض الواقعة بين مجزل والدهناء والعرمة يقال لها « البطينيات » وأعظم الطرق للسيارات القاصدة للسكويات هذا الطريق الذي يمر برمّاح .

الدهناء

ثم تخرج من رمّاح متجها إلى الدهناء ، وهي قريب منك ، وللهناء ذكر في أشعار العرب وأخبارهم ، وذكروا أنها في بعض المواضع سبعة جبال من الرمل وبين كل جبلين مسافة طويلة ، وفي بعض المواضع خمسة جبال من الرمل ، ومسافتها التي بين طرفها الغربى إلى طرفها الشرقى لا تقل عن اليوم ، وفي بعض المواضع تزيد عنه ، قالوا في ذكر الدهناء : إنها إذا أخضبت تحمل جميع أعراب نجد ، وذكروا في تحديدها أن طرفها الجنوبي يبرين ، وطرفها الشمالى حزن الينسوعة ، وهو الذى يقال له اليوم الحزل ، قال في المعجم على ذكر جبالها الخمسة التي يرتسم فيها الرمل : الجبل الأعلى منها الأدنى إلى حفر بنى سعد هذا هو حفر العتك يقال له خشاش ، لكثرة ما يسمع من خشخشة أموالهم فيه ، والجبل الثانى حماطن ، والثالث جبل الرمث ، والرابع مبر ، والخامس جبل حُرَوَى ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وبالأخص ذو الرمة ، وقال أعرابي حبس بحجر اليمامة :

هَلِ الْبَابُ مَفْرُوجٌ فَأَنْظُرُ نَظْرَةً بَعَيْنٍ قَلَّتْ حَجَرًا فَطَالَ احْتِمَامُهَا
أَلَا حَبَا الدَّهْنَا وَطَيْبُ تَرَابِهَا وَأَرْضٌ خَلَاءَ يَصْدَحُ اللَّيْلُ هَلْمُهَا

وَنَصَّ الْمَهَارَى بِالْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى
وَقَالَتِ الْعَيُوفُ بِنْتُ مَسْعُودٍ أُخَى ذَى الرِّمَّةِ :

خَلِيلِي قَوْمًا فَارْفَمَا الطَّرْفَ فَانْظُرَا
عَمَى أَنْ تَرَى وَاللَّهُ مَا شَاءَ فَاعْلَمْ
وَإِنْ حَالَ عَرَضُ الرَّمْلِ وَالْبُعْدُ وَنَهْمُ
يَرَى اللَّهُ أَنَّ الْقَلْبَ أَضْحَى ضَمِيرِهِ
لِصَاحِبِ شَوْقٍ مَنْظَرًا مَتْرَاحِيَا
بِأَكْثَبَةِ الدَّهْنَاءِ مِنَ الْحَيِّ بَادِيَا
فَقَدْ يَطْلُبُ الْإِنْسَانُ مَا لَيْسَ رَائِيَا
لَمَّا قَابَلَ الرَّوْحَاءَ وَالْعَرَجَ قَالِيَا
وَاسْمُ الدَّهْنَاءِ بَاقِي إِلَى هَذَا الْعَهْدِ لَمْ يَتَغَيَّرِ .

فَإِذَا جِزَتْ الدَّهْنَاءُ - أَيْ أَكْثَبَةُ الدَّهْنَاءِ - فَالْتَفَتَ عَلَى يَمِينِكَ تَرَى « حَزْزَى » مَنْقُطَةً مِنَ الدَّهْنَاءِ
وَاخْتَصَّتْ بِهَذَا الْأَسْمِ وَهِيَ قِطْعَةُ رَمْلٍ مِنَ رَمْلِ الدَّهْنَاءِ ، وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهَا ، وَاسْمُهَا
لَمْ يَتَغَيَّرِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ ، وَأَعْرَفَ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ تَسْمَى « حَزْزَى » مَوْضِعٌ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ بَيْنَ جَبَلِ
الْحِمَارِ وَعَرِيقِ سَبِيعَ ، وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي فِي سَدُوسٍ بَاقِي إِلَى هَذَا الْعَهْدِ بِهَذَا الْأَسْمِ ، وَإِلَيْكَ عِبَارَةٌ مِنْ
عِبَارَاتِ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ عَنْ الْيَمَامَةِ قَالِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ : حَزْزَى بِالْيَمَامَةِ ، وَهِيَ نَخْلٌ
بِحِذَاءِ قَرْيَةٍ بَنَى سَدُوسَ ، وَحَزْزَى الَّتِي كُنَّا فِي ذِكْرِهَا الْمَنْقُطَةُ مِنَ الدَّهْنَاءِ وَهِيَ عَلَى حَدِّ الصَّلْبِ ،
قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

خَلِيلِي عُوجًا مِنْ صُدُورِ الرُّوَاحِلِ
لَعَلَّ أَحْمَدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
وَقَالَ أَعْرَابِي :

مَرَرْتُ عَلَى دَارِ لُظْمِيَاءَ بِاللَّوَى
فَقُلْتُ لَهَا يَا دَارَ غَيْرِكَ الْبَلَى
فَقَالَتْ نَعَمْ أَيْنَ الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ
أَتُنْ طُنَّ أَيَّامَ حَزْزَى لَقَدْ أَتَتْ
وَدَارَ لَيْلَى إِنْهَنَى قِفَارَ
وَعَصْرَاتِ لَيْلٍ مَرَّةً وَنَهَارَ
وَأَنْتِ سَتَفَنِي وَالشَّبَابُ مُعَارَ
عَلَى لَيْلٍ بَانِعَقِيقٍ قِصَارَ

وَقَالَتِ الْعَيُوفُ بِنْتُ مَسْعُودٍ أُخَى ذَى الرِّمَّةِ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَ لَيْلَةَ
وَصَوْتَ شِمَالٍ زَعَزَعْتَ بَعْدَ هَجْعَةِ
أَحَبِّ إِلَيْنَا مِنْ صِيَاغِ دِجَاجَةِ
وَهِيَ بَاقِيَةٌ بِهَذَا الْأَسْمِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ .
نُجْمُورُ حَزْزَى حَيْثُ رَبَّتِي أَهْلِي
أَلَاءَ وَأَسْبَاطًا وَأَرْطَى مِنَ الْحَبْلِ
وَدِيكَ وَصَوْتَ الرِّيحِ فِي سَعْفِ النَّخْلِ

الصلب

ثم تطلع على الصلب ، وهذا الصلب ما بقى اسم الدهناء فهو باقى فى جهتها الشرقية ، متصل بها جنوباً وشمالاً ، وهو الفصل بين الدهناء والصمان ، إذا خرجت من الدهناء فأنت فى متن الصلب ، وهذا اسم له جاهلى ، وقد بقى به إلى هذا العهد ، وبه يوم من أيام العرب ، وفيه ملازم ماء كثيرة : منها خسيفاء ، ومعقلاء ، والشمول ، قال ذو الرمة فى ذكر الصلب :
له واحف فالصلب حتى تنقطع خلاف الثرى من أرب مآربه
وقال الشاعر :

كأن غدير الصلب لم يصح ماؤه له حاضر فى مربع ثم واسع
وقال جرير :

ألا رب يوم قد أتيج لك الصبا بذى الصدر بين الصلب فالتمثم
كما حدثت عند اللقاء مجاشع ولا عند عقد تمنع الجار بحكم

خسيفاء
ومعقلاء

ثم تتجه إلى جهة القطب الشمالى فى الجهة الشرقية منه ، ثم تأتى خسيفاء ومعقلاء والشمول ، وفى الشمول مركز ومكينة أرتوازية يردها الشرق والمغرب ، وجميع الناس ، وذلك من إصلاحات جلالة الملك حفظه الله ، وهذا الموضع هو أعظم مضمناً فى تلك الناحية ، كما أنه أمر بوضع مكينة أخرى أرتوازية فى روضة الحنى بين منهل أبى جفان وبين الأحساء . وذكروا على معقلاء أنها سميت بهذا الاسم لأنها تعقل الماء عن الخروج ، ويبقى فى وسطها . قال الأزهري على ذكر معقلاء : وقد رأيتها وفيها خبر كثيرة تمسك الماء دهرًا طويلاً ، وبها جبل رمان يقال لها الشماليل ، قال ذو الرمة :

جوارية أو عوهج معقلية تروى بأعطاف الرمال الخرائر
وقال بصف الحر فى شطريئ :
* وثب المسحج من عانات معقلة *

ومركز الحكومة فى الشمول نفسه ، ومعقلاء باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والشمول باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو اسمه الجاهلى ، وفيهم من يقول له الشماليل ، قال ذو الرمة :
وبالشماليل من جلان مقتنص رث الثياب خفى الشخص منزرب
وخسيفاء على اسمها إلى هذا العهد .

ثم تشرق على قارعة الطريق المتجهة إلى جهة الكويت ، ثم تدخل الصمان ، قال الأصمعى : الصمان أرض غليظة دون الجبل ، قال أبو منصور : وقد شتوت بالصمان شتوتين ، وهى أرض فيها

غلظ وارتقاع ، وفيها قيعان واسعة ، وخَبَارٌ تنبت السُّدر عذبة ، ورياض معشبة ، وإذا أخضبت ربت العرب جمعا ، وكانت الصَّمان من قديم الزمن لبنى حَنْظَلَة ومن والاها من بنى تميم ، والدهناء لهم ، هذه الرواية من روايات المعجم ، وقالوا في غيره : إذا أخضبت الدهناء لم تَضِقْ بأعراب نجد ، وقال الآخر : إذا أخضبت الصمان لم تضق بالأعراب ، وقال الأصمعي : من شَتَّى في الدهناء وترَبَّع الصمان واصطاف الحمى فقد أصاب المرعى ، وقال : في الصمان موضع يقال له : صمانه ، واستدل بقول ذى الرمة :

يعل بماء غادية سقته على صمانه وصفى فسالا

وقال حسان :

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطئ اليرموك فالصمان
فالقريَّات من بلاس فداريّـافسكاء فالقصور الدوائى
والصمان باق على اسمه إلى هذا العهد .

ثم تتجه قاصداً أيسر الشرق وجميع مياه الشواجن على شمالك ، وهى : اللهاية - وفيهم من مياه الشواجن يقول لهاب - والقرعى ، والصفافة - وفيهم من يسميها لصف - ووبرة ، واسمها في الزمن القديم ثبرة ، وقرية ، واسمها في الزمن القديم طويلع ، قال : ومن مياه الشواجن منهل طويلع ، وهو قريب المنزَع ، عَذْبُ الماء ، وليس هناك منهل قريب المنزَع عَذْبُ الماء إلا ماء قرية ، قال على ذكر اللهاية - وهذا حجة لمن سماها لهاب - قال أوفى بن مطير المازنى مازن تميم ^(١) :

فسلّ طلابها وتعزّ عنها بناجية تحيل فى الركاب
طوّت قرنا ولم تطعم خبيّيا وأظهر كشحها لقح الذباب
كأن مواقع الأنساع منها على الدفين أجرد من لهاب

وقال بعض شعراء بنى تميم :

منع اللهاية حمضها ونجيلها ومنابت الضمران ضربة أسفع

وقال حاجب بن ذبيان المازنى مازن تميم :

إذا ما التقينا لا هوادة بيننا فبئست أئى من قال من ألم مهلا
فإن بقلج والجبال وراءه جماهير لا يرجوها أحد تَبَلّا
فإن على جوف اللهاية حاضرا حرارا يسنون الأسنة والتبلا

ويكفيك شاهداً على لصف وثبرة قول النابغة :

وبالمُرقِلاتِ من لُصاف وثيرة يزرن أَلالاً سيرهن التدافع

لُصاف تسمى في هذا العهد اللُصافة ، وثيرة يقال لها وبرة ، والقرعى : منهل بين اللُصافة واللاهابة ، واللُصافة والقرعى واللاهابة طولُهن من سبع وثلاثين باعا إلى ثلاثين باعا ، والقرعى على اسمها لم يتغير ، وقد غلط صاحب معجم البلدان في ذكره القرعى حيث قال : هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغينة وقبل واقصة ، إذا كنت متجها إلى مكة ، وبين المغينة والقرعى الزبيدية ومسجد سعد والخبراء ، وبين القرعى وواقصة على ثلاثة أميال بئر تعرف بالمرعى ، وبين القرعى وواقصة ثمانية فراسخ ؛ هذه العبارة تحدث عن القرعى الواقعة في أعلى القصيم وما يليها من النواحي ؛ لأنه ذكر الخبراء ، وذكر مواضع كثيرة محيطة بالقرعى ، ثم استطرده في عبارته ولم يُنتبه على شيء منها ، إلا أنه جعلها قرعى واحدة ، ثم قال : وفي القرعى بركة وركايا لبنى عُذانة وكانت بها وقعة بين بنى دارم بن مالك وبنى يربوع ، بسبب هيج جرى بينهم على الماء ، وهذه العبارة الأخيرة التي ذكر فيها الواقعة فهي في الفرعاء الواقعة في الشواجن التي تُعد من مياه الضمان فإذا تركت تلك المواضع المذكورة على شمالك بدالك الحمار ، حمار قرية ، وهو معروف بهذا الاسم عند أهل تلك الناحية ، وهو جبل متصل به أبارق ورمال من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية ، غربي قرية ، يقال له الحمار ، ولا أعلم في نجد من الجدد شيئا بهذا الاسم ، إلا حمارين : حمار قرية الذي كنا في ذكره ، والحمار الواقع بين جبل ظلم وبين البترة .

ثم تصل قرية وهي التي تسمى طويلعا ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال ضمرة بن ضمرة النهشلي نهشل تميم :

طوياع

فلو كنت حرباً ما بلغت طويلعا ولا جوفه إلا خيسا عرمرما

وقال الخفصى : طويلع منهل بالضم ، وفي كتاب نصر : طويلع وادٍ في طريق البصرة إلى اليمامة بين الدؤ والضمآن ، والدؤ : هي الدبدبة والقرعة المعروفتان في تلك الطريق ، قال أعرابي يرنى واحداً :

وأى فتى ودعت يوم طويلع عشيّة سلّمت عليه وساماً

وما بصدور العيس منحرف الغلا فلم يدر خدقٌ بعده أين يمتما

فياجازى الفتيان بالنعم أجزه بنعمك نغمى واعف إن كان أظما

وعندى دليل واضح على أن طويلعا هو الذى يسمى «قرية» اليوم ، كنا في بلدنا ذات غسل سنة ١٣٢٢ هـ وأه حديث السن ، فنزل عندنا أعراب من عتيبة ، وفيهم شيخ كبير السن من ذوى زياد من

قبيلة النفعة ، يقال له « طويلع » فسأله والدى وأنا حاضر : لماذا سماك أهلك طويلعا ؟ قال : كنا مع مطير وأنا فى بطن والدى ، وتربنا الصمان ، ووضعنى فى وادى قرية ، وذلك الوادى يقال له طويلع ، فسمونى باسمه ، فبعد ما كبرت وفهمت سألت والدى عن هذا الاسم ، فقال : ولدت فى وادى طويلع الذى يصب فى قرية فسميناك باسم ذلك الموضع ، وفى هذا العهد لم أكن سمعت له ذكراً ، وقرية بها مركز وإمارة لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

فإذا خرجت متجهاً إلى الكويت بين الشرق والقطب الشمالى بدا لك حزم مرتفع عن الأرض له منظر كمنظر الحمار الذى مر ذكره ، واسكنه أصفر منه ، يقال له الوريعة ، وهذا اسمه الجاهلى ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال جرير :

أقيم أهلك بالستار وأصعدت بين الوريعة والمقاد حول

قال فى معجم البلدان : الوريعة حزم لبي فقيم بن جرير بن دارم ، وجميع تلك المواضع معروفة لبنى تميم ، قال شاعر تميمى اسمه ربيعة بن سفيان :

تبصر خليلي هل ترى من طعان	خرجن سراعا واقعدن المناما
تحلمان من جو الوريعة بعد ما	تعالى النهار وانتجعن الصراثما
تحلين ياقوتاً وشذراً وصيفة	وجزعا ظفاريًا ودرًا توائمنا
سلكن القرى والجزع تُحدى جاهلهم	ووركن قوا واجتزعن المحارما
فآلى جناب حلفه فأطعته	ففسك ولّ اللوم إن كنت لأثما
كأن عليه تاج آل محرق	بأن ضرّ مولاه وأصبح سلما

لنا فى هذه الأبيات نظرة ، وذلك فى قوله :

* سلكن القرى والجزع تُحدى جاهلهم *

وذلك لأن موضع « قرية » ليس من شك أنه وادى طويلع ، ويمكن أن قرية اسمها قديم ولم نعث لها على ذكر إلا فى هذه الأبيات فى قوله « سلكن القرى » لأنها قريتان : قرية الشمالية ، وقرية الجنوبية ، وهما باقيتان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وأما الوريعة ففيها مركز مربوطة معاملته بمركز قرية ، وهذا المركز عن تهريب وغيره .

ثم تنجّه من الوريعة قاصداً الكويت ، وترد القنادية ، وهو منهل معروف بهذا الاسم إلى القنادية هذا العهد ، وهذا اسمه الجاهلى ، قال فى معجم البلدان : وذات القناد موضع وراء الفلج ، واستطرد على هذا الاسم إلى أن قال : قناد ، ثم قال : قنائدة ، واستدل بقول الشاعر أشده الأدبى :

(٢٣ - صحيح الأخبار ٢)

حتى إذا أسلكوها في قنائة شلاً كما تطردُ الجمالة الشردا
وذکر القتود ، واستدل بقول عدی بن الرفاع :

قرية حبك القيط وأهلب يخشى ما يب ترى قصور قرأها
واحتلّ أهناك ذا القتود وغربا فالصحصح فأن منك نواها

وعندى أن العبارة الأولى وشاهدها أصح من هذه العبارة ، والمسافة الواقعة بين القنائة وبين قرية يقال لها في هذا العهد الدبدبة ، والقرعة ، وكانت في الزمن القديم يقل لها الدو ، واختلف أهل اللغة في لفظ الدو وما يطلق عليه ؛ فمنهم من قال : إنه يطلق على كل أرض متسعة مستوية ليس بها جبال وكل أرض على هذه الصفة يقال لها الدو ، وقال آخرون : بل هو موضع بعينه في شرقي الصمان ، يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال كامتداد الصلب في غربي الصمان ، مادام الصمان معك فالصلب معك ، في جهته الغربية ، وما دام الصمان معك فالدو معك في جهته الشرقية ، والدو هو الذي يسمى اليوم الدبدبة والقرعة ، قال في أخبار القرامطة : لما وردوا حفر أبي موسى الأشعري ، ثم صدروا منه وسلكوا الدو ثم وردوا ماءة يقل لها نبرة ، فهناك لهم ركاب كثيرة من ماثبا ، فهم على هذا السير قاصدون عاصمة ملكهم الفطيف ، وثيرة التي كانت تسمى بهذا الاسم في الزمن القديم هي وبرة اليوم ، وهي معروفة تبعد الإبل إذا وردتها على ظمأ ، وإذا بقي هذا المنهل لم يورد ، وبقي بصراته قتل الرجال ، أعرفه قتل خمسة أشخاص . كان إذا سقطت الدو ونزل صاحبها في البئر يريد إخراجها انعطف ومات في العراء ، فاما الذي يعلم حالها وليس جاهلا بها فإنه يترك دلوه ، وهي مجاورة لقرية المذكورة المعروفة اليوم ، ولم تفرد بلفظ قرية إلا في هذا العهد الحديث بعد ما سكنها مطير جماعة الدويش ، ثم عمرها مركز الإمارة بخلافة الملك عبد العزيز آل سعود لما أسست فيها هي ومركزها الرسمي ، والذي أعرفه عنها في القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر أنها لم تكن تسمى عند جميع أهل نجد إلا باسم « قرييت » على صورة الجمع ، وفي أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر خرج محمد آل صباح ، وأخوه جراح أمراء الكويت ، ونزلوا قرية ومعهم خيما وخداه على صفة القنوص ، ولكنهم مكثوا فيها ، فقال شاعر من أهل نجد من شعراء النبط :

البر للى يخطحون الموجبات ربعى هل القوتجا عى عین اخریب
ویش الذى جانب السكويى لقرييات ما قاده انعاقل ولا الراى الصيب

وأعرف شاعرا من أهل نجد في أوائل القرن الرابع عشر ، قال قصيدة نبطية يذكر فيها

الجيش ، فقال :

يَا رَاكِبَ تَحْسَنَ مِنَ الْمُوجِفَاتِ مَنْ سَلَّ وَاحِدَ مَا خَطَّطَنَ حَدَانَهُ
هَذَا لَهْنُ تَحْسَنَ وَهَنْ حَائِلَاتِ وَلَا هَجَرَ عَنْ لُحْوِيرَ ذَا كِرَاتِهِ
حَدَنْ مِنَ النِّعْمَةِ وَهَنْ مَنَعَاتِ فِي صَفٍّ شَيْخَ تَحْتَمِيهَا قَنَاتُهُ
مَا طَرَّخَشَمَ مَحَبَّتَهُ لِقَرِيَّاتِ لَا ذَكَرَ وَشَمَى رَعْنُ فِي بَنَاتِهِ

ولا تعرف هذه المناهل التي يقال لها قرية اليوم إلا بقولهم « قرية » على صورة الجمع ، وذلك النواحي من الدو إلى قريب الوشم هي بلاد تميم في الزمن القديم في جاهليتهم وفي إسلامهم ، وأما الكويت ^(١) فظني أنه اسم حديث ؛ لأنني لم أجده في ذكر في أشعار العرب ، لا في الجاهلية ولا في صدر الإسلام .

وهذا الطريق الذي سلكناه هو طريق السيارات ، وأما طريق الإبل من نجد إلى الكويت فأبعد منه بل يردده السالك شمالاً حَقَرُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِي ، وأبعد المناهل الجنوبية ماءة اللهبابة ، وجميع ما ثبت لدينا أنه باق على اسمه الجاهلي على هذا الطريق الذي سلكناه من جدة إلى الكويت قد أثبتنا ذكره ، وأوردنا شاهده ، والاختلاف في الأسماء قليل ، إما بنقص حرف واحد ، أو بإبدال حرف مكان حرف .

* * *

ورجع الآن إلى ما ذكرناه فيه من المواضع :

٤٣ --- قال عامر بن الطفيل يرى ابن أخيه عبد عمرو بن حنظلة بن الطفيل :

وَهَلْ دَاعٍ فَيَسْمَعُ عَبْدُ عَمْرُو لِأَخْرَى الْخَيْلِ تَصْرَعُهَا الرِّمَاحُ
فَلَا وَأَيْبُكَ مَا أُنْسَى خَلِيلُ بِيَدُودَةٍ مَا تَحَرَّكَتِ الرِّيحُ
وَكُنْتُ صَفِيَّ نَفْسِي دُونَ قَوْمِي وَوَدَى دُونَ حَامِلِهِ السَّلَاحُ

وقال تميم بن أبي بن مقبل :

هَلْ أَتَى تُحَيِّيَ الرَّبْعَ أَمْ أَتَى سَائِلُهُ بِحَيْثُ أَفَاضَتْ فِي الرِّكَاءِ مَسَائِلُهُ
وَكَيْفَ تُحَيِّيَ الرَّبْعَ قَدْ بَانَ أَهْلُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَشْهُ وَجَنَادُهُ
وَقَدْ قَلَّتْ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى إِذْ رَأَيْتَهُ وَأَسْبَلَ دُمْعَى مُسْتَهْلَا أَوَائِلُهُ

(١) ثبت لدينا أنه اسم حديث ، وكان أول من بنى في ذلك الموضع ابن عريعر ، فقد بنى قصراً سماه الكوت ، وكان يضع فيه أرزاقه ، ثم طلب منه ابن صباح أن يأذن له في أن يبني بجانبه قصراً ، فأذن له ، فبنى وسماه الكوت ، فبقي الكوت ، وذهب الكوت مع ذهاب ملك آل عريعر .

بدوة

ألا يا تَمَوُمي للديار ببُدوة وأتَى مَرَّاحُ المرء والشيب شامله
ذكر الشاعران بدوة ، وقد مررنا على ذكرها في قول الأعشى عند ذكره للسخل وبادول ،
وهي قريبة السخل ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد « بدوة » هضبات خارجة من الهضب
في جهته التي تلي مطلع الشمس ، فمنها من يفرد ، ويسمى بدوة ، ومنها من يسمى بدوات ،
واقعة عن الحل مما يلي مطلع سهيل ، وزاد ابن مقبل في قصيدته فذكر الركا . وقد مضى الكلام
عليه في كتابنا هذا ، وهو من أعظم أودية نجد ، وهو الشاخم لتلك الناحية التي فيها بدوة ، وقال
أعرابي جاهلي :

ومرَّ على ساقى مريخة فالتمس به شربة يسقيها أو يبيعها

قال الأصمعي : إنها ماء إلى جنب المردمة ، وهذا غلط ، فإن مريخة في الزيدى تقع في جنوبه
وهي شر جاهلية انهدمت فلم تُبَعَثْ إلَّا في هذا العهد الحديث ، بعثها ابنُ ثابت من الشياطين ،
استدل عليها بآثارها ، وأغلاها لم يهدم ، والزيدى في القطعة الجنوبية من نجد ، وهي معروفة
بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها مريخة .

* * *

٤٤ — وقال جرير :

يا أيها الراكب المزجى مطيةُ بلغ تحيئنا لغيت خِلانًا
نهدى السلام لأهل الغور من ملح هيات من ملح بالغور مهدانا
أحبيب إلى بذاك الجزع منزلة بالطلح طلحا وبالأعطان أعطانا
وقال شاعر آخر يقال له أبو الغنائم المدائني :

حَسَنَتْ وَأَيْنَ مِنْ مِلْحِ الْحَنِينِ ؟ لقد كذبتك يَدانِ الظنونُ
وشاقتُ بِالْغَوِيرِ وَمِيزُ بَرْقٍ يُلَوِّحُ كَمَا جَلَا السَيْفَ الْقُيُونُ
فَإِنِّي تَدَفَّقْتَنِي لَهُ شِمَالًا ودون هواك من ملح يَمِينُ

ملح : منهل قريب من الكويت لا يزال على اسمه إلى هذا العهد ، وهو معروف بهذا الاسم عند
جميع العرب . وكان به يوم عظيم بين الإمام عبد الله بن فيصل والعجمان ، وكانت النصره في ذلك
اليوم للإمام عبد الله بن فيصل ومن معه من المسلمين على العجمان . قتلوه قتلا ذريعاً وانهمزمت
جميع قبائل العجمان ومن عاصدهم من أعراب تلك الناحية .

* * *

عَوْدٌ عَلَى بَدْءٍ :

الوريمة التي مر ذكرها هي التي قال فيها جرير :
أقيم أهلك بالستار وأصعدت بين الوريمة والقتاد حول
وقال أيضا مروان بن أبي حفصة :

قطع الصراخ والشقائق دوننا ومن الوريمة دوحا فمقأها
وظنى أن المقاد هو الذي يسمى حمار قرية اليوم ، والدو معروف أنه الدبدبة والقرعة ، والوريمة :
معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد على طريق الكويت ، بها مركز لحكومة جلالة الملك عبد العزيز
تمر بها وأنت خارج من قرية .

* * *

وقد انتهى الحديث عن الطريق السالك من الحجاز إلى الكويت ، وأوردنا ما ورد فيه من
الشواهد ، وذكرنا بقائه وأوديته ومياهه وجباله ، وبقي جبل صغير يقال له « وارة » يقع قريبا من
الكويت ، بجوار ماء الصبيحة المنهل المعروف ، وهذا اسمه الآن ، وقد كان يقال له في الزمن
القديم « أواره » ذكر في معجم البلدان موضعين بهذا الاسم : موضعاً ذكره ، وموضعاً أنثه ،
قال على أوار وهو المذكور مستدلاً بشعر ابن أبي خازم :

كأن ظباء أسمة عليها كوانس قالصاً عنها المغار
يفلجن الشفاه عن أقحوان جلاه غب سارية قطار
وفي الأظعان آنسة لعوب تيمم أهلها بلداً فساروا
من اللأى غذين بغير بؤس منازلها القصيمة فالأوار

وأما المؤنث الذي كان يقال له « أواره » في الزمن القديم وهو وارة اليوم فهذه عبارة صاحب
معجم البلدان بعينها ، قال : أواره : جبل لبنى تيمم ، قيل بناحية البحرين ، وهو الموضع الذي حرق
فيه عمرو بن هند بنى تيمم ، وهو عمرو بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن
نصر بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن عزم بن نمارة بن نخم بن عدى بن مرة بن أدد
ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأما أمه هند فهي بنت الحارث بن
عمرو المقصور بن آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة الكندي الملك ، وكان من حديث
ذلك أن أسعد بن المنذر أخا عمرو بن هند كان مستودعاً في بني تيمم ، فقتل فيهم خطأ ، فحلف

عمرو بن هند ليقتلن به مائة من بنى تميم ، فأغار عليهم في بلادهم بأوارة ، فظفر منهم بتسعة وتسعين رجلاً ، فأوقد لهم ناراً وألقاهم فيها ، وسر رجل من البراجم ، فشم رائحة حريق القتلى ، فظنه قتاراً الشواء ، فمال إليه ، فلما رآه عمرو بن هند قال له : ممن أنت ؟ قال : رجل من البراجم ، فقال : إن الشقي وافد البراجم ، فأرسلها مثلاً ، وأمر به فألقى في النار ، وبرت يمينه ، فمّت العرب عمرو ابن هند « محرقاً » والبراجم : خمسة رجال في بنى تميم : قيس ، وعمرو ، وغالب ، وكلفة ، والظليم ، بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، اجتمعوا وقالوا : نحن كبراجم الكف ، فغلب عليهم الاسم ، قال الأعشى :

ها إن عجرة أمه بالسفح أسفل من أواره

وقال ابن دريد في مقصورة :

ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أواره تميماً بالصلا

وقال أبو عبيد البكري في كتابه معجم ما استعجم على ذكر أوارة : و بأوارة قتل عمرو بن هند من بنى دارم تسعة وتسعين رجلاً ، ووفى بالبرجى مائة ، وكان نذر أن يقتل منهم مائة بانه أسعد الذي كان بناء زرار بن عدس ، فلما ترعرع مرّت به ناقة كوما سميّة فرمى ضرعها وشدّ عليه ربّها سويد أحد بنى دارم فقتله ، وقال الأعشى في ذلك :

وتكون في السلف الموا زى منقراً وبنى زرار

أبناء قوم قتلوا يوم القصية من أواره

وقال جرير يعير الفرزدق ذلك :

ولسنا بذبح الجيش يوم أواره ولم يستبحنا عامر وقيثله

وأوارة المذكورة هي وارة الواقعة في جهة الكويت ، لا تزال باقية بهذا الاسم لم تتغير غير أنه سقط من اسمها همزة .

الجودى

ويخرج من هذا الطريق الذى ذكرناه طريق الأحساء فاصداً مطلع الشمس متجهاً إلى الأحساء ، ويقال له في هذا العهد « الجودى » نسبة إلى « جودة » وهو منهل جاهلى معروف في أشعار العرب وأخبارها ، إلا أن المتأخرين أسقطوا من اسمه الجاهلى ياء من أوله ، فقد كان اسمه الجاهلى بجوده ، وقد ذكرها صاحب معجم البلدان ، وقال : هي في بلاد بنى تميم ، وهي قريب منتصف الطريق بين الدهناء وبين الأحساء ؛ إلا أن المسافة الواقعة بين الأحساء وجودة أقرب ، وقد أكثر شعراء بنى تميم من ذكرها باسمها الجاهلى ، قال عبدة بن الطيب :

لولا يحودة والحي الذين بها أمسى الميزالاف لا تذكو بها نار
وعبدة شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلم ، وكان في جيش النعمان بن مقرن المازني الذين
حاربوا معه الفرس بالمدائن ، وقد ذكر هذه الغزوة في قصيدة له أولها :
هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
إلى أن قال :

حلت خويلة في دار مجاورة أهل المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل
قال الأصمعي : أرثي بيت قالته العرب بيت عبدة بن الطبيب .
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
وهذا البيت من مرثية له في قيس بن عاصم المنقري .
وقال جرير على ذكر « جودة » في هجائه لربيعة الجوع :
فصبراً على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عاداته الصبر
الأ تسألني الجوجو متالع أما برحت بعدى نجودة والقصر
وقال جرير في قصيدة له :
فأنت على نجودة مستذل وفي الحي الذين على لهايا

* * *

وقد ذكرنا في كتابنا هذا قسماً من المواضع التي تكررت فيها المعارك مرتين في الجاهلية
والإسلام أو في الإسلام فقط ، وهي في القطعة المتوسطة من نجد ، وأطلت عليها الكلام ، ولاكني
أحببت ذكرها هنا مجتمعة في اختصار ليسهل تناولها .
الحرملية : كان بها وقعة في الجاهلية ، وفي أول القرن الرابع عشر .
عرجاء : بها وقعة في الجاهلية في وادي النشاش ، ووقعة في أوائل القرن الرابع عشر .
والضائفه : آخر معارك البطاح فيها ، وقبر بها مالك بن نورية البربوعي ، وبها وقعة في أوائل
القرن الرابع عشر تقريباً .
والصريف : به وقعة في الجاهلية ، ووقعة في أوائل القرن الرابع عشر .
والشريف : في القطعة الواقعة بين مجبرات وحذنة وسناف الطرار ، هذه المواضع تكررت
فيها المعارك في الجاهلية وفي القرون الأخيرة .

فأما المواضع التي تسكررت فيها الممارك في القرون الإسلامية فهي : طلال ، وجراب .
وقد ذكرنا ذلك في كتابنا هذا مفصلاً ، وفي شهر شعبان من سنة ١٢٢٨ كانت معركة في
« تربة » بين أهل نجد وأهل الحجاز ومن معهم من الناس ، وكان رئيس أهل الحجاز راجحاً
الشريف ، فانهزم الحجازيون هزيمة شنعاء ، وفي شهر شعبان من سنة ١٣٣٧ كانت الوقعة المشهورة
في تربة بين أهل نجد وأهل الحجاز ، ورئيس أهل الحجاز الشريف عبد الله بن الحسين ، فانهزم
الحجازيون هزيمة أعظم من هزيمتهم الأولى ، وهناك موضع آخر قريب من « تربة » وهو « الطائف »
دخله أهل نجد في القرن الثالث عشر ، ودخلوه في القرن الرابع عشر ، وموقعة تربة الأولى
والأخيرة كل منهما كانت في شهر شعبان .

وقد انتهينا من ذكر المواضع الوارد ذكرها في أشعار العرب على الاختصار ، ولو أطلنا لمضائق
المجلدات بذلك ؛ أنظر إلى قصيدة جرير الفائية التي وفد بها على الوليد بن عبد الملك ، وهي
القصيدة التي مطلعها :

أنظر خلجى بأعلى ثَرَمَداء ضحى والعيس جائلة أغراضها خنف

نجد أنه ذكر بها خمسة وعشرين موضعاً ، وهي هذه :

ثرمدا ، السر ، كابة ، الخرج ، الدام ، الأدمى ، برقة الروحان ، الغرف ، أسنمة ، نجد ،
الغور ، عسفان ، الجحف ، الشام ، السهبا ، فيحان ، الحزن ، الصمان ، الوكف ، بردى ، توماء ،
الفرات ، دجلة ، جمع ، العقر ، لجميع هذه المواضع ذكرت في قصيدة واحدة . وقد مرأ أكثرها في
كتابنا هذا ، وأسماؤها باقية إلى هذا العهد .

ثرمداء : مدينة واقعة في جنوبي الوشم ، واسمها باقٍ على حاله ، وهي ابني سعد من تميم
في الجاهلية .

السر : هو الكتيب المرتكم الذي يميزه الطريقُ النافذ بين الدوادمي ومراة ، واسمه لم يتغير
إلى هذا العهد .

كابة : في القطعة الشمالية من بلاد بني تميم غربي الدهناء ؛ لأنني رأيت لها ذكراً في أشعار
بني تميم ، وقد اندرس اسمها الجاهلي .

الخرج : من أودية اليمامة ، باقٍ على اسمه .

الدام ، والأدمى : موضعان في اليمامة ، لا أعلم لها ذكراً في هذا العهد .

برقة الدوحيان : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، في وادي الخرج ، وسألت عنها الشيخ محمد

ابن عبد العزيز بن هليل قاضي الدوامى فى عهدنا هذا لأنه من أهل تلك الناحية ، فقال : معروفة عندنا ؛ فيهم من يسميها برقة الدوحان ، وفيهم من يسميها أبرق سارة .

الغرف : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أسنمة : معروفة بهذا الاسم فى جهة الزلفى .

نجد : معروف ، وشهرته تغنى عن تحديده .

الغور : هو غور تهامة .

عسنان : معروف بهذا الاسم فى الجهة الشمالية من وادى فاطمة .

الجحف : معروفة بهذا الاسم فى الجهة الشمالية من عسنان ، وهى الجحفة المعروفة اليوم .

السهباء : معروفة باسمها هذا فى وادى الخرج .

فيحان والحزن والصمان والوكف جميعها فى القطعة الشمالية من الصمان ، وباقية بهذه الأسماء

إلى هذا العهد .

الشام : معروف .

برَدَى : هو نهر دمشق الشام .

توماء : لا تكون إلا فى جهة الشام ؛ لأنه ذكر الناقوس فيها ومنهم من قال : يعنى تيماء ،

وأبدل الياء واوا .

الفرات : نهر معروف ، ودجلة كذلك .

تجمع : هى منازل منى .

العقر : ^(١) ذكره الشاعر فى هجائه لآل المهلب فى آخر قصيدته ، ويقال له « عقر بابل »

قتل عنده يزيد بن المهلب فى سنة ١٠٢ هـ .

قال مصنفُ هذا الكتاب : لقد سألتى بعض أهل الأدب : هل بقي من العرب قبيلة فى

منازلها من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ؟ فأجبتنى : إن القبائل اليمانية لم تخلُ منازلها منها من العهد

الجاهلى إلى اليوم ؛ فكل قبيلة قد بقي منها قوم فى منزلها ، وأقربُ قبيلة يمانية إلى جهة الحجاز

بجيلة ، وقبيلة دؤس فى منزلها من العهد الجاهلى إلى هذا العهد فى الحجاز الجنوبى الواقع فى بلاد

(١) العقر : موضع هزم فيه يزيد بن المهلب وقتل فيه . وقصيدة جرير أجمع أهل التاريخ أنه وفد

بها على الوليد بن عبد الملك ، والذي قتل ابن المهلب جيش يزيد بن عبد الملك ، فذكر آل المهلب فى

القصيدة لا يكون إلا زيادة صنعت ! أو يكون جرير إنما وفد بالقصيدة على يزيد بن عبد الملك .

زهران ، وكان عندهم ذو الخصلة الصمُّ الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه ، ثم هدم فى عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وقبائل هوازن فى منازلها من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، ومنازلها حدُّها الجنوبى المدين وبقران ، وحدُّها الشمالى قرْن المنازل ووادى العميق من أعلاه إلى بلاد غطفان ، ومن ترك موطنه منهم انحدر إلى نجد وبقى بها ، وأطلق اليوم على تلك القبائل اسم عتيبة ، وما رأيت لهذه اللفظة أصلاً فى النسب ، وأما الأسماء القديمة فما يزال منها كثير ينسبون إلى هوازن ، منهم بنو سعد الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبطونهم باقية إلى هذا العهد يقال لهم بنو سعد ، وهم فى منازلهم التى كانوا ينزلونها فى العهد الجاهلى ، وبنو جُشم ابن معاوية الذين كان يرأسهم فى الجاهلية دُرَيْد بن الصَّمة الذى قُتل يوم حنين وهذا نسبه : فهو دريد بن الصَّمة بن الحارث بن معاوية بن بكر بن عاقمة بن خزاعة بن غزِيَّة بن جُشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور ، فهذا البطن العظيم لم يبق منه إلا قبيلة « القنمة » الذين يرأسهم « العبود » وهم فى منازلهم التى كانت لهم من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، وأكبر بطن من هوازن ثقيف ، وهم فى منازلهم من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، ومنازلهم فى الطائف وأوديته وجباله ، ومنهم بنو سفيان ، وهم يقيمون فى جبالهم الواقعة غربى الطائف ، وأبوهم سفيان بن عبد الله الثقفى روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى كتاب نصيحة المسامين من مجموعة الحديث النجدية (ص ٣٤٦) عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال : قلت لرسول الله : ما أخوف ما تخافُ على ؟ قال : فأخذ بلسان نفسه وقال « هذا » رواه الترمذى وصححه ، وبنو سليم بن منصور ، لا يزالون فى جبالهم وحِراهم من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، ومن ينتمون إلى منصور أبى هوازن : قبيلة القنمة ، وهم بنو جُشم بن معاوية ، وقبيلة الدعاجين ، وقبيلة الشيايين ، وقبيلة العصمة ، وقبيلة الدغالبية ، هؤلاء القبائل جميعها يقال لها « أبناء منصور » ولا أعلم فى قبائل هوازن رجلاً يقال له منصور تنتمى إليه قبائلهم إلا منصوراً الأكبر أباً هوازن وسليم .

أمَّا هذيل فهى باقية فى منازلها من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، فى وادى نخلة النخلة اليمانية وجبالها ووادى نخلة الشامية وجبالها ، وتمتد منازلهم إلى عسفان شمالاً ، وجنوباً إلى وادى حنين . وأما بنو لحِيَّان فنمازلهم داخل الحرم من الأميال إلى مكة ، وما بين التنعيم ووادى فاطمة ، وهى منازلهم من العهد الجاهلى ، ومن أهل النسب من قال : إنهم من هذيل ، ومنهم من قال : إنهم من بقايا المالىق الذين هلكوا بتهامة وحالفوا هذيلاً .

وكانت هذيل صولة فى الجاهلية ، ونفوذ فى مكة وضواحيها ، لما خرج أبو بكر رضى الله عنه

من مكة بعد ما آذاه قومه ، قال ابن هشام : وسار عن مكة يوما أو يومين اعترضه ابنُ الدُّعْنَةِ الهذلي ، فقال له : إلى أين يا أبا بكر ؟ فقال : آذاني قومي ، فقال : ارجع إلى مكة ، وأنا لك جار ، فردّه إلى مكة ، ومنهم من قال : إنه لم يردّه إلا من بَرَك الغماد ، فرجع أبو بكر إلى مكة في جوار ابن الدُّعْنَةِ الهذلي ، وهذا دليل على أنه قد كان لهم سلطان ونفوذ في مكة ، وابن الدُّعْنَةِ : رجلٌ من القارة وكانوا قد حالفوا الأحابيش ، فإذا أردت أن تطلع على تغلب هذيل على المسامين وتجبرهم فراجع في سيرة ابن هشام ما ذكره عن يوم الرجيع في سنة ثلاث من الهجرة ، وقتلهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيعهم خبيثاً وزيد بن الدثنة على قريش بمكة . واللذان باعاهما زهير بن الأغر وجامع الهذليان ، وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه في ذلك :

أبلغ بنى عمرو بأن أخاها شراه أمرؤ قد كان للغدر لازما
شراه زهير بن الأغر وجامع وكانا جميعا يركبان المحارما
فليت خبيثاً لم تحنّه أمانة وليت خبيثاً كان بالقوم عالما

وقال حسان أيضا يهجو هذيل :

لعمري لقد شالت هذيل بن مدرك أحاديث كانت من خبيب وعاصم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت أماتهم ذاعفّة ومكارم
وهي قصيدة طويلة .

وقال أيضا :

فلا والله ما تدرى هذيل أصاف ماء زمزم أم مشوب
ولا لهم إذا اعتصموا وحجّوا من الحجرين والمسعى نصيب
ولكن الرجيع لهم محل به اللؤم الميّن والعيوب

ووقعة الرجيع في أرض « لهدّة » الواقعة بين وادى فاطمة وعُصفان ، وهذا دليل على امتداد بلادهم في الجهة الشمالية في العهد الجاهلي ، وهذيل باقية في منازلها القديمة لم تتغير .

وأما مَزِينَة فكانت منازلها في العهد الجاهلي قريب المدينة ، وهذا الاسم لم يتغير منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، وهي باقية في منازلها القديمة إلى هذا العهد ، وزادت تلك القبيلة بقبائل يقال لها « حرب » [وبلغني عن بعض النسابة أن حربا بطن يمان] والعنصر القديم مزينة كلفظة عتيبة في هوازن ، ومزينة الموجودة في الحجاز ونجد يرأسهم ابن نخيت ، وحرب تنقسم إلى قسمين : قبيلة مسروح ، وقبيلة بنى سالم ، وكل قبيلة تنقسم بطونا ، كما أن عتيبة تنقسم قسمين :

برقا ، والروقة ، وكل قبيلة تنقسم بطوننا كثيرة ، وعتيبة وحرب انتشرت في البلاد النجدية ، وعنصر عتيبة هو العنصر الحجازي ، وهو هوازن ، وحرب عنصرها الحجازي مزينة ، ولها ذكر منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد .

وأما غطفان فغربى بلادها شرق المدينة ، وشرقى بلادها غربى القصيم ، ومُعْظَم بلادها وادي الرمة ، ولكن بطون غطفان قد انقرض ذكرها إلا بنى عبد الله بن غطفان فإنها باقية في تلك الناحية الواقعة بين حجاز المدينة والقصيم ، لم تتغير منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد .

وأما بطون ربيعة فكانت منازلهم في العهد الجاهلي في الجهة الشمالية في بلاد العرب ، ولا يزالون ثمة منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، إلا بنى حنيفة فقد مر ذكرها وذكر منازلها عند الكلام على بيت عمرو بن كلثوم الذي يقول فيه :

فَأَعْرَضْتُ الْيَمَامَةَ وَاشْتَخَرْتُ كَأْسِيَّافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا

وأما قبائل قحطان فهي في العنصر اليماني ، وكل قبيلة منها موجودة في نجد لا تزال لها بقية عنصر في البلاد اليمانية ، وثمة بطون صغار في منازلهم منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد كباهلة فإن لهم عنصرا في نفي والأثلة ، وهذه منازلهم في الجاهلية ، ولو لم يكن في باهله إلا قتيبة بن مسلم لكفاهم فخرا .

وأما بنو أسد فلم يبق لهم ذكر في بلادهم وادي سمراء ووادي بزاجة وجبل رمان ، وربما كان سكان تلك الناحية اليوم منهم ، ولكن هذا الاسم قد انقرض .

وأما جيلاطي فساكنهما شمر منذ العهد الجاهلي ، وشمر اسم جاهلي قديم ، قال امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها :

سَمَا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَعَرَا

إلى أن قال :

فَهَلْ أَنَا مَاشٍ بَيْنَ شَرْطٍ وَحَيَّةٍ وَهَلْ أَنَا لَاقٍ حَى قَيْسٍ بِنِ شَمْرَا

وشمر هذا هو أصل هذه القبيلة التي يُطَلَّقُ عليها لفظة شمر اليوم .

وقبائل قُضَاعَة على اختلافها تسكن ينبع والشمال إلى قريب من حدود مصر وفلسطين والشام ولعل العرب الذين في تلك النواحي يرجعون في نسبهم إلى هذا الأصل ، وكثير من العرب قد دخلوا الديار المصرية والشام والعراق مع الفتح الإسلامي ، وبقوا فيها إلى هذا العهد .

يعلم قارىء هذا الكتاب أنى قد استشهدت بأبيات من الشعر النبطى فى ذكر بعض المعارك ،
وهى أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية ، فأهل الأشعار العربية عرب على فطرتهم ، وهؤلاء
- أعنى أهل الأشعار النبطية - عرب على فطرتهم ، حَذَّوْا فى كلامهم حَذَّوْا قوم من أهل البادية
كانوا يعيشون كما يعيش العرب فى بواديهم ، وأصل مساكنهم البطائح التى بين العراقين : العراق
العربى ، والعراق العجمى ، وقد كانوا معروفين باسم النبط أو النبط ، منذ العصر الجاهلى إلى اليوم
وقد جاء فى شعر الأعشى ميمون بن قيس :

وَطَوَّفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ عُثْمَانَ خَمَصَ فَأُورِشَلِمَ
أَتَيْتُ النَجَاشِيَّ فِي دَارِهِ وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ

ويُرْوَى عن ابن القِرَّية - وهو من رجال العصر الأموى ، وكان فى زمن ولاية الحجاج على
العراق - أنه كان يقول : « أهل عُثْمَانَ عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا » وقد قال
أبو العلاء المعرى فى إحدى لزومياته :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى إِذْ مَالٌ مِنْ تَحْتِ الْغَبِيطِ
اسْتَعْجَمَ الْعَرَبُ فِي الْمَوَامِي بَعْدَكَ ، وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

وهو يشير فى بيته الأول من هذين البيتين إلى قول امرئ القيس بن حجر الكندى فى معلقته :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيقِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَلِّ
تَقُولُ وَقَدْ مَالُ الْغَبِيطِ بِنَامِعًا عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَأُنْزِلُ

وإذ قد عرفت أن طريقة الحياة عند النبط هى طريقة الحياة عند العرب ، فلا عجب أن
تجد توافقاً عظيماً فى المعانى التى يذكرونها هؤلاء وهؤلاء فيما يتغنون به من أشعارهم ، ولا عجب أن
تجد هؤلاء النبط يلتزمون الأوزان فى حداثهم وأشعارهم كما يلتزمها العرب ، وإن اختلفت
الأوزان بعض الاختلاف فليس فى ذلك من عجب ، وكما اختلفت ألفاظهم وعباراتهم ولهجاتهم
فإن أوزانهم تختلف ، وقد تتفق ألفاظهم بعض الاتفاق ، وقد تتفق أوزانهم بعض الاتفاق ، ثم
اختلف هؤلاء بالعرب فى بواديهم بحكم الفرار من الحروب ، وزارهم فى بلادهم عرب من خلص
العرب ، فانتقل إلى هؤلاء العرب شئ من لسانهم وطريقهم فى التحدث عما فى أنفسهم من خواجل
فكان من أثر ذلك أن انتقل إلى كثير من العرب فى نجد وغير نجد من بلاد العرب أسلوبهم فى
الشعر فقالوا على مثاله ، والفرض الآن أن نذكر على أن أشعار النبط أشعار مستقيمة المعانى ، قريبة
أو متحدة مع المعانى التى يطرقها العرب ، وأنا أورد لك مما احتذاه عرب نجد من الشعر النبطى شيئاً

تعرف منه صحة هذه الدعوى واستقامتها

قال طرفة بن العبد في مطلع معلقته :

نحولة أطلال ببرقة تُهمِدُ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال محمد بن لعبون من شعراء النبط :

هَلْ الدَّارُ يَا عَوَّادُ إِلَّا مَنَازِلُ سَبَّارِيتِ يَا عَوَّادُ خَفِيَّةَ رُسُومِهَا

يَلُوحُ السَّنَا فِيهَا كَمَا لَاحَ زَرْقَةُ عَلَى خَدْمِيٍّ مِّنْ بَقَايَا وَشُومِهَا

فإذا أنت تأملت قول طرفة وجدته ذكر الأطلال ، ثم ذكر الآثار وشبهها بالوشم على اليد ،

وإذا تأملت في قول ابن لعبون وجدته ذكر الأطلال وشبه الآثار بالوشم على الخد .

* * *

قال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

تَبَصَّرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ تَحْمِلُنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرُومٍ

وقال محمد بن لعبون :

تَبَصَّرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ تَقَافَتْ عَلَى حَدِّ الشَّفَا مِنْ خَرُومِهَا

تَنَحَّجَتْ عَنْ الْحَزْمِ الْيَمَانِي وَقَوَّصَتْ عَلَى شَاطِئِ الْجُرْعَا تَقَوَّتْ أَغْزُومِهَا

انظر تجد زهيراً يسأل خليته هل رأى الظعان وتجد هذا المعنى بعينه وبألفاظه في قول ابن لعبون

* * *

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يخاطب راحلته في غزوة مؤتة :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَلْتِ رَحْلِي مَسَافَةٌ أَرْبَعُ بَعْدَ الْحِصَاءِ

فَشَأْنُكَ وَالْخَلَا وَخَلَاكَ ذِمٌّ فَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي

وقال محمد بن لعبون ، وجميع هذه الشواهد له من قصيدة واحدة ، قال وهو يخاطب

راحلته وصاحبه

إِذَا جِئْتُ فِي وَادِي سَدِيرٍ فَخَلَّهَا تَذَبُّ الْعَفَى مَا فَوْقَهَا إِلَّا وَشُومُهَا

قَصَصْتُ لَأَرْمِي فِي قَطْعِهَا السِّبْرَ وَالسَّرَا وَنَيْبِ الْبَرِّ وَالْمَرْعَى وَبَاقِصَى لَزُومِهَا

عبد الله بن رواحة يقول : إذا أنت بلغتني مقصدي فشأنك والخلأ ، يعني أنه يتركها ترعى

كما تريد ، وابن لعبون لا يزيد عن هذا المعنى ولا يتخلف عنه

* * *

وقال حاتم الطائي :

خَلَقْتُ أَحَبَّ السِّيفِ وَالضَّيْفِ وَالْقَرَى وَوَرَدَ حِيَاضِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ أَحْمَرُ

وقال تركي بن حميد :

بِاللَّيْلِ أَصَالِي حَامِيَاتِ الْحَمَامِيسِ^(١) وَالصَّبْحُ أَصَالِي كَلِّ قَبَا قَحُومِ

ذكر حاتم في كلامه الضيف والقرى وورود حياض الموت ، وتركى بن حميد ذكر الحاميس

لقهوة الضيف وذكر قبا قحوم للقتال

* * *

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته :

وَسَيْدُ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَجَّهَ بِتَاجِ الْمَلِكِ يَحْمَى الْحَجَرِينَا

تَرْكُنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مَقْلَدَةً أَعْتَهَا صَفُونَا

وشبه ذلك قول تركي بن حميد يذكر الخيل :

حَرَدُ وَهْنَةٍ كَنَنْ الْقَرَانِيسِ^(٢) عَلَى الطَّرِيحِ مَصَوِّرَاتٍ كَطُومِ

معنى كلام عمرو بن كلثوم أن الخيل على الطريح مقعدة أعنتها ، ومعنى كلام ابن حميد

مصوِّرات على الطريح كاطمة على الأعنة ، أغنى الخيل .

* * *

قال غيلان ذو الرمة العدوي :

عَهْدَتِهِمْ وَقَدْ جَعَلُوا فِتَاخَا وَأَجْرُهُ الْمَقَابِلَةُ الشَّمَالَا

وَقَدْ جَعَلُوا السَّبِيَّةَ عَنْ يَمِينِ مَقَادِ الْمُنْهَرِ وَاعْتَسَفُوا الرَّمَالَا

وشبه ذلك قول بصري الوضيحي :

يَا عَلِيَّ وَآخِيَّ وَرَدَّ جَبُودًا وَشَمَاعُ وَالْفَرَا نَسْفَتْنِ يَمِينَهُ

الشَّمْسُ طَاحَتْ وَالْمُظَاهِيرُ تَدُلُّ وَحَالُ النَّبْطِ يَا عَلِيَّ بَيْتِي وَبَيْتَهُ

ذكر ذو الرمة فتاخ وهو دخل في شرق الدهناء ، وذكر السببة وهي قطعة رمل في الدهناء ،

وفتاخ والسببة معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، وذكر أن الأظعان سكن بينهما ،

وذكر الوضيحي جبود جدلا وهو دخل في الحجرة ، وشعاع والغراء ، وهما جيلان صغيران ،

(١) الحاميس : آنية من الحديد تحرق بها القهوة ، القباء : الضامرة من الخيل .

(٢) القرانيس : نوع من الصقور

سلكت الأطلغان عن شماليهما ، ومعنى قول الشاعرين واحد .

* * *

قال عمر بن أبي ريعة :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّاءِ فَإِنِّي ضِئْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ
وشبه ذلك قول محسن الهزاني :

بَنِي وَبَيْنَ صُؤْنِحِي وَقَفَّةُ أَخْوَالِ يَأْمَنْ يَدِيرُ الصَّلْحَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي
عمر بن أبي ريعة يلتمس رسولا يحمل كتابه إلى الثريا معشوقته ، والهزاني يلتمس رسولا يمشى
بالصلح بينه وبين صاحبتة .

* * *

قال جرير بن عطية :

إِن الَّذِينَ غَدَوْا بِلَبِّكَ غَادَرُوا وَشَلَّا بَعِينِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا
وشبه ذلك قول فهد بن عويد الجماج راعي الأتلة :
الشَّيْخُ شَذَّ وَرَاحَ قَدَمُ الصَّلَاةِ وَالْيَ رَحَلُ مَا يَلْتَفَتُ لِلْمُقِيمِينَ
مَنْ عَقَبَ مَا قَفَّوْا وَرَا وَارْدَاتِ غَدَاوَا بَقَلِي وَأَبَقُوا الدَّمْعَ بِالْعَيْنِ
جرير ذكر أنهم أبقوا وشلا بعينه معينا ، وابن عويد يقول : غدوا بقلبي وأبقوا
الدمع بالعين .

* * *

قال ابن مقرب :

فَنَ لَمْ يَقْدُهَا ضَامِرَاتٍ إِلَى الْعِدَى تَقْدُ نَحْوُهُ عَوَجُ الْبَرَى وَالشَّكَاثِمِ
وشبه ذلك قول ابن عريعر :
مَنْ لَا يَقُودُ الْخَلِيلَ يَمَّ حَفِيفَهُ إِن قَادَاهَا وَالْأَعَايِهِ تَقَادُ
كلام الشاعرين العربي والنبطي معناه واحد : إن لم تصل العدو في أرضه وصلك في أرضك .

* * *

قال ذو الأصمعي المدَوَّاني :

وإِنِّ الذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِي لِمُخْتَلَفٍ جَدَا
وشبه ذلك قول عبيد بن رشيد :

أَنَا عَلَى لَانٍ وَرَبِّي عَلَى لَانٍ مَتَخَالَفًا رَأَى وَرَأَى الْجَمَاعَةَ

معنى قول الشاعرين واحد .

* * *

قال أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم :

فَلَمَّا رَأَيْتَ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْفُرَى وَالْوَسَائِلِ
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَاءٍ تَمُحُّ وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ

وشبه ذلك قول تركي بن عبد الله آل سعود :

يَوْمَ كُلِّ مَنْ خَوْنُهُ تَبَرًّا حَطَّيْتُ الْجَرْبَ لِي خَوِي مَبَارِي^(١)
نَعْمُ الْخَلْوَى إِلَى سَطَا تَمَّ قَرَا يُوَدِّعُ مِنَّا عِبرَ النَّشَامَا حَبَارِي^(٢)

المعنيان متقاربان ، معنى قول أبي طالب : لما عادتني قريش رجعت إلى نصره السيف ؛

ومعنى قول تركي بن عبد الله آل سعود : إنه لما اختلفت عليه رعيته من أهل نجد رجع إلى نصره سيفه الأجرى وهو سيفه الخالص .

* * *

قال أبو ذؤيب الهذلي :

وَإِذَا الْمَنِيَةُ أَشْبَبَتْ أَطْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وشبيه ذلك قول ابن عبد الرحيم راعى أشيقر الذي هلك عشقا :

إِذَا جَاءَ حِمَامُ الْمَيُوتِ مَا يَنْفَعُ الدَّوَا يَمُوتُ الطَّيِّبُ وَلَا يَفِيدُ دَوَاةُ

المعنى واحد ، وهو أن الموت لا بد منه .

* * *

قال أمية بن أبي الصلت التقي :

أَيَّتَنِي كُنْتُ بَعْدَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَرْغَى الْوُغُولَا

وشبيه ذلك قول الزناتي خليفة وهو من زناتة المغرب :

هَنَى نَفْسُ مَا وَلَتْ مَالٍ جِيرَ وَلَا فَرَّقَتْ بَيْنَ الْيَتَامَا نَوَالَهَا

يَا لَيْتَنِي مَنِيبٌ شَيْخٌ لِقَابَسَ هَنَى نَفْسُ مَا عَلِيَهَا وَلَا لَهَا

(١) الأجرى : سيف تركي بن عبد الله الذي قتل به أعداءه ، وهو باق إلى هذا العهد في خزانة

آل سعود . (٢) الجباري : نوع من الطير التي تصطادها الصقور .

المعنى واحد ، كل يطلب الانفراد بنفسه .

* * *

قال عنقرة بن شداد فى معلقته :

فِىهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حُلُوبَةً سَوْدًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْجَمِ

وشبه ذلك قول بعض الأمراء :

ثَمَانُ لَيْالٍ نَلَطَمَ الْعُوصُ^(١) بِالْعَصَى وَادْنَى مَوَارِدَهَا سَجَاً وَعَفِيفٌ

وَأَخَذَنَ ذِيَالُ^(٢) الْخَيْلِ مَنْ ضَمِنَ قُودَنَا سَوْدًا بِرَاطِمِهَا تَهْفُ تَهْفُ

المعنى واحد ، كل منهما يذكر سواد الإبل .

* * *

قال امرؤ القيس بن حجر السكندى :

كَأَنَّ حَدُوجَ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا سَحَابٌ أَرَاقَتُهُ الرِّيحُ فَاَمْطَرَا

وشبه ذلك قول ابن سبيل راعى نقي :

يَا مَلِّ قَلْبٍ طَارَ عَنْهُ الْيَقِينُ مَنْ يَوْمَ قَفَنَ الظَّعَايِنَ زَهَّازِمٌ

أَوَّلَهُمْ إِلَى مَنْ وَرَا الْفَتَنَيْنِ وَأَتْلَاهُمْ إِلَى الْإِشْفَا كَنَّةُ الْغَنِيمِ

معنى قول الشاعرين واحد ، فى تشبيه الأظعان بالغنيم .

* * *

قال أعشى قيس راعى منفوحة :

وَبَلَدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ الثُّرْسِ مُحِشَّةٌ لِلْجَنِّ فِي اللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلٌ

وشبه ذلك قول محمد بن لعبون :

فِي صَحْصَحِ كَنَّةٍ قَفَا الثُّرْسِ مَقْلُوبٌ طَرَبٌ بِهِ الْجَنَى عَلَى فَقْدَةِ الذَّبِيبِ

والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الثرس ، وذكر زجل الجن ، والزجل :

الصوت ، وفى قول ابن لعبون ذكر المَهْمَةِ وشبهه بالترس ، وذكر أن الجنى طرب فى هذا الهمه

على فقد الذيب ، والذيب لا يقيم إلا قريب ماء ، فكانت هذه المفارقة الأخيرة أبعد من الماء فى

المفارقة التى قبلها .

(١) العوص : هى الإبل ، سجا وعفيف : ماءان فى عالية نجد . (٢) ذيال الخيل :

اسم لإبل خونان بن عقيل من رؤساء الدعاجين من عتية ، سميت ذيال الخيل لسرعة عدوها ، إذ لا تلحقها الخيل .

قال امرؤ القيس :

أَصَاحَ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا كَنَارَ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتَعَارَا
فَلَمَّا أَنْ دَنَا لَقَفَا أَضَاحَ وَهَتْ أَهْجَارُ رَيْقِهِ لَهَارَا

وشبه ذلك قول محسن الهزاني :

كَرَيْمٌ يَبَارِقُ سَرَالَهُ تَلَالَا طَافِحَ رَبَابَةٍ فِيهِ مِثْلُ الْمَيِّ ذَرَقُ
لَاجًا عَلَى الْبَكْرَيْنِ بَنَى الْخِلَالَا مَعَادَ مَيِّزٍ فِيهِ رَعْدٌ وَلَا بَرَقُ

المعنى واحد ؛ فالشاعر الأول لما دنا لققا أضاح أفرغ ماؤه ، والثاني لما أتى على البكرين أفرغ ماءه ، وأضاح والبكران : موضعان باقيان على اسميهما إلى الآن .

* * *

قال سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ :

فَبِتْ وَبَاتَتْ وَسَدْنَا عُلْجَانَهُ وَحَقَفَ تَهَادَتُهُ الرِّيحُ تَهَادِيَا
تَوَسَّدُنِي كَفَأُ وَتَشَى بِمَقْصِمٍ عَلَى وَتَلَوَى رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا

وشبه ذلك قول محسن الهزاني من مروبعاته :

رَقَدْتُ أَنَا وَابَاءُ فَوْقَ الْمَخْدَةِ^(١) وَبَاحَ الْعَرَى مِنْ بَيْنِ سَدَى وَسَدَّةِ
وُسْدَيْتُ مَجْدُولَةً وَجِيتُ خَدَّةَ وَخَلَيْتُ حَجَلَةَ نَاشِبٍ فِي الْعَكَارِيشِ
ومعنى قول سحيم وقول الهزاني متطابقان ، أنظر أين ذهبت رجل المعشوقة في القولين

* * *

وقال عمر بن أَدِينَةَ :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنْ الَّذِي هُوَ رَزَقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْمَى إِلَيْهِ فَيُعِينِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ جَلَسْتُ أَنَا نِي لَا يُعْنِينِي

وشبه ذلك قول بركات الشريف :

إِذَا نَوَاكُ الرِّزْقِ جَآمَنُ تَوَالِيكَ لَوْ مَا لَقَيْتَهُ يَافَتَى الْجُودُ يَلْقَاكَ

المعنى واحد ، إن التعب لا يُجْدِي ولا يوصل إلى الرزق ، بل يرسله الله إليك من دون تعب

. . .

قال ابن أبي عَينَةَ :

(١) المخدة : هي الوسادة في لغة أهل نجد القديمة .

وأفلسنا خَيْرَ الغنيمة إِنْهَا تَرْوِبُ فِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا
وشبيه ذلك قول البريمي :

إِذَا رَجَعْنَا سَالِمِينَ عَلَى خَيْرٍ كَمْ مَطْمَعٍ مِنْهُ السَّلَامَةُ غَنِيمَةٌ
المعنى واحد ، أن السلامة غنيمة

...

قال جرير بن عطية :

يَا حَبْدَا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَدَّذَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَ
وشبيه ذلك قول بجيت بن ماعز أخو شليويح المطاوى :

قَلْبِي يَحِبُّ الْمُرْدَمَةَ وَالْيَنُوفِي^(١) أَحَبَّهَا مِنْ حَبِّ حَيٍّ وَرَاهَا

المعنى واحد ، جرير أحب جبل الريان لحب معشوقته ، وبجيت أحب جبل المردمة والينوفي
من أجل معشوقته .

...

قال الأسود بن عبدود حين قُتِلَ بنوه في بدر مع المشركين ، وقد كانت قريش منعت
النياحة ، فسمع نائحة تبكي على بعير لها قد أضلته ، فأرسل ابنة له فقال : اذهبي وائتيني بخبر هذه
النائحة ، لعل قريشاً أن تكون قد أذنت بالنياحة ، فأتته بالخبر ، فقالت : إنها امرأة ضل بعيرها
فهي تنوح عليه ، فاندفع ينشد :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهْدُ

على بكر فلا تبكي ، ولكن على بذيرٍ تقاصرت الجدود

وشبيه ذلك قول شالمع بن هذلان الفحطاني لما قتل ابنه ذيب ، فسمع رجلاً من قومه يقال له
الهويدي وقد ضاع له طير ينادى ويصيح ويسأل عنه ، فقال :

الطير مَا هُوَ خَلَقَهُ لَوْ غَدَا طِيرٌ الطير وَالله يَالْهُوَ يَدِي غَدَالِي

طيري عَذَابُ مُسْكِرَاتِ الْمَسَامِيرِ وَرَبِّ بْنِ الْخَصَانِ إِلَى جَدْنِ التَّوَالِي

المعنى واحد ، بعث حزن الأسود بن عبدود امرأة تنوح على بعير وبعث حزن شالمع بن هذلان
رجلاً ينوح على طير .

* * *

(١) المردمة والينوفي : جبلان في عالية نجد قرب سجا .

قال ابن مقرب العيوني :

فَبْتَ جبالَ الوصلِ من تودُّهُ إذا لم يَرِدْ كلَّ الذي أنتَ وارد
وشبه ذلك قول ابن عبد الرحيم راعى أشيقر :
الأقفا جَزَى الأَقفاً وَلَا خَيْرَ في فَيٍّ بريد هَوَى مَنْ لا يريد هَواه
وَمَنْ باعنا بالبعد بَعناهُ بالنِيا وَمَنْ جَذَّ حَبلى ما وَصَلَتْ رِشاهُ
المعنى واحد ، كل منهما يطلب تقطيع العلاقات ممن لا يسلك طريقه .

. . .

قال كثير عزة :

فما رَوْضة بِالْحُزن طيبةُ الثرى يَمِجُّ الندى جَنجائُها وعَراها
بأطيب من أَرْدانِ عِزِّه مَوْهِنَا إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها
وشبه ذلك قول بصرى الوضيحي :

لَه رِيحُها طَلَقَ ولاهى مِصْنَةَ مَثَلُ النَّفْلِ^(١) تَمَطَّطَمَاتُ الْفِياضِ

والمعنى واحد ، كل وصف ريح معشوقته وفضلها على رائحة روضة ، إلا أن كثيرا قال « إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها » وقد عابت هذا المعنى على كثير سكيته بنت الحسين فقلت : لو أوقدت المندل على زنجية لطاب ريحها ، وعابته عجوز من العرب وقالت : لو أوقدت المندل على حمار لطاب ريحه ، فقالت له : ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَ أَنى كَلَمًا جَنَتْ طارِقا وَجَدْتُ بها طيبًا وإن لم تطيب

ومعنى الوضيحي مستقيم ؛ لأنه ذكر رائحة معشوقته قبل ذكر الروضة ، حين قال « له ريحة طلق ولاهى مصنة » .

. . .

قال الذابغة الجمعدى :

فَيسِرْ في بلادِ اللهِ والتمسِ الغنى تَعِشْ ذائِساٍرٍ أو تموت فتعذرا

ولا ترض من يمشى بدون ولا ترض وكيف ينام الليل من بات معسرا

وشبه ذلك قول بركات الشريف :

موت الفتي في وسط دوسمَلَقْ خلى من الاوناس قفر جوانبه

(١) النفل : نوع من النبات رائحته طيبة

هو عندى اشوى من قعاده بقرية يموت بها والفقر فيها مطايبه
المعنى واحد ، الشاعران يَحْمُثَان على طلب الرزق ، ويتعوذان من الفقر والحول .

. . .

قال الشيخ حسين بن على آل الشيخ :

فكل جناء طيب مثل أصله وإن جناء الخنظلية حنظل

وشبيه ذلك قول بركات الشريف :

والحرره انك ما تجى دون اهاليك ولا شجرة الورد تنبت بتنباك

المعنى واحد ، كل منهما ذكر الأصول الطيبة وأن فروعها تماثلها ، والأصول الخبيثة وأن فروعها
تكون مثلها .

. . .

قال مجنون ليلي :

تَدَاوَيْتُ من ليلي بليلى من الهوى كما يتداوى شاربُ الخمر بالخمير

يقولون مجنون يهيم بذكرها ووالله ماى من جنون ولا سحر

وشبيه ذلك قول محمد القاضى راعى عنيزة :

يقولون مجنون خلى من الذكا لانيب مجنون فلا شك أنا خالى

خلى من الخلان اقالى شكيتى رفيق الوغى من بين شامت وعذالى

المعنى واحد فى ذكر العشق وجنونه .

. . .

قال جرير فى الوليد بن عبد الملك :

أَعْطَوْا هَنِيْدَةً يَحْدُوْهَا تَمَانِيَةٌ وليس فى بذلهم مَنٌّ ولا سَرَفُ

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

إلى عطو يعطون روس البعارين وان فات منهم شى ما حسبوه

المعنى واحد ، ذكر جرير أنهم يعطون الهنيْدَة ، وهى الإبل السكينة ، وذكر ابن سبيل

أنهم يعطون رؤس البعارين ، والبعارين : الإبل

. . .

قال أبو نواس يخاطب أبا المتاهية :

أترانى يا عتاهى تاركاً تلك الملاهى
أو ترانى مفسدا بالنسك عند القوم جاهى

وشبيه ذلك قول محمد بن معجل راعى سدير :
قالولى الناس ديتى قلت اديتى فالكم شين يالى تبون الموده تفتلق منها يديه
المعنى فى كلام الشاعرين واحد ، يظنان الدّين والنسك يفسدان لذتهم فى حياتهم

* * *

قال زهير بن أبى سلمى :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسِم
وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

لا تأخذ الدنيا خراس وهقوات يقطعك من نقل الصميل^(١) البراد
الى عزمت فخط للرجل مرفات من قبل يدرى بك حسود رباد
المعنى واحد

. . .

قال المبرد فى الكامل : قال بعض المُخَدِّثين :

كتمت الهوى حتى إذا نطقت به بواذر من دمع تسيل على خدى
وشاع الذى أضمرت فى غير منطق كأن ضمير القلب يرشح من جلدى
وشبيه ذلك قول خليف بن بليهد راعى ضرية :
عسى الله يعينك يا عيوى على الصبر وعسى الله يبجح كل حتى بمظنونه
أنا دمع عيى كلاً هل من شهر هماليل واغضى عن هلى لا يشوفونه
كلام الشاعرين واحد ، كلاهما كتم عشقه وأفشاه دمع عينه .

. . .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

خَلَّتْ ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاه
ديار من بنى الحساس قفر تعفيها الروامسُ والسماء
وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :

(١) الصميل : نوع من القرب الصغار التى تستعمل لنقل الماء فى السفر وغيره

خَلَا السَّفْحَ يَاعَوَاذَ مَا فِيهِ مِنْ هَلَاةٍ عَقَبَ عَلَيْنَا بِهِ غَيْرَ رَاكِ وَصَفْصَافٍ
مَرَانِيعَ مَيٍّ غَيْرَ الْبَيْنِ رَسْمَهَا ذُبَارًا عَقْتُ يَالَيْتَنِي مَثَلَهَا عَافٍ
معنى قول الشاعرين واحد ، ذكر كل منهما خلو الدار واندراس الآثار ، إلا أن ابن لعبون
تمنى أنه عفى مع الدار لما عفا أثرها ، وأبو عبد الرحمن عفى الله عنه لم يتمن أنه يموت .

• • •

قال عروة بن حزام :
ففي عسى أو على أوفى إلى ومتى ألقاه في بلدة كفر ويلقاني
وشبيه ذلك قول محسن الهزاني :
ربما لي أو عسى لي أو فبين يَرْجَعَنَّ اغْصُورَهْنَ الْمَاطِيَاتِ
المعنى واحد ، كل منهما يتمنى الاجتماع بحبيبه ولو بعد حين .

• • •

قال عمر بن أبي ربيعة :
كفناي إن مُتُّ في دِرْعِ أَرْوَى وَاُمْتَحَالِي مِنْ بئرِ عُرْوَةِ مَائِي
وشبيه ذلك قول محمد بن لعبون :
عَنْ دَارِ مَنْ لَا يَرْحَمُونَ انْقُلُونِي لَدِيَارِ مَنْ لِي عِنْدَهُمْ قَابِلِيهِ
وَفِي ثَوْبِ مَرْمُومِ التَّهْدِ كَفَنُونِي مَعَاذِي عَنْ دَارِ لَحَابِ نِيهِ
المعنى واحد ، كل منهما يحب أن يكفن في ثوب حبيبه .

• • •

قال ابن مقرب العيوني :
وَعَدَّ عَنْ الْمَاءِ الَّذِي لَيْسَ وَرْدُهُ بِصَافٍ ، فَمَا تَعَى عَلَيْكَ الْمَوَارِدُ
وشبيه ذلك قول جبر بن سيار راعى القصب^(١) خال رميزان التميمي :
إِذَا جِئْتَ قَوْمَ وَاعْلَقُوا عَنْكَ بَابَهُمْ سَجَّ الْمَطَايَا يَفْتَحُ اللَّهُ بَابُ
وَالْمَا إِلَى مِنْهُ تَكَدَّرَ شَرَابُهُ تَرَى فِي الْمِيَاهِ الثَّانِيَاتِ شَرَابُ
المعنى واحد ، كل منهما يقول : إذا تكدّر الماء فالتمس ماء غيره .

• • •

(١) بلد في مقاطعة الوشم .

قالت ميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه :
 ليت تحفّق الأرواح فيه أحبُّ إليّ من قصرٍ منيف
 وشبيه ذلك قول شلشا البقمية ، وهى من بلد الدوادمى :
 لو أهنيكُ بالهني يَبُو مَرْدَاسَ مَا وَلَعُوكُ مَدَرَهَيْنِ الْمَطِيَّةِ
 الْقَلْبَ كَنَّهُ يَشْعُرُونَهُ بِالْمَوَاسِ مِنْ طَائِنِ حَضَرِ حَجَرُوبِهِ عَلَيْهِ
 المعنى واحد ، كل منهما تمنّت العودة إلى ما ألفتاه ؛ فيسون تتمنى البادية على قصور الشام ،
 وشلشا تمنّت البادية على قصر الدوادمى .

. . . .

قال عروة بن حزام :
 ألا قاتل الله الوشاة وقولهم . فُلَانَةٌ أَضَحَتْ خُلَّةً لِفِلَانٍ
 وشبيه ذلك قول شلشا البقمية :
 لَيْسَ كُمْ يَا أَهْلَ النَّقِيلِ^(١) تَذْهَبُونَ مَالَكُمْ مَضْلُوحٌ مَارَانَهَا قَرَادَهُ
 حَالَهُ لَوْ عِنْدَ مَتَلَعٍ هَاوَشُونِي وَاللَّهِ إِنِّي لَتَمَثَلُ بِهِ حَسَادَهُ
 المعنى واحد ، عروة دعا على الوشاة ، وشلشا تدعو على أهل النقيل ، وأهل النقيل هم الوشاة

. . . .

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :
 وَمَا كَمَةَ يَضِيقُ الْبَابُ عَنْهَا وَكَشَحًا قَدْ جُنْتُ بِهِ جَنُونًا
 وَسَارِيَّتِي بَلَنْطُ أَوْرَخَامَ يَرْنُ خَشَاشَ حَلِيمَا رَيْنِنَا
 وشبيه ذلك قول محسن الهزاني :
 اعْفَرِ مَتَرَقِي فِي يَدِي مِنْهُ عَضَّةً وَمَدْنَدَشَ مَا بَيْنَ شَاخٍ وَقَضَّةً
 تُوحَى الْجُدْرَانُ الْحَلْوَى مِنْهُ جَضَّةً إِلَى انْحَدَرُ مِنْ عَالِي الْبَيْتِ لَدْنَاهُ
 المعنى واحد ، ابن كلثوم ذكر أن حلِيمَا رَيْنِنَا ، والهزاني ذكر بحليها جضة ، والجضة والرنين
 كلاهما بمعنى الصوت .

. . . .

قال ليبد بن ربيعة فى معلقته واصفًا الأظعان :
 (١) أهل النقيل هم الوشاة لنقلهم الكلام بين الناس .

زجلاً كأن نعاجَ تُوضِحَ فوقها وظباءَ وَجِرَة عطفاً آرامها
حفزت وزايلها السَّرابُ كأنها أجزاع يشة أثلها ورضامها
وشبيه ذلك قول عبد الرحمن بن ناصر راعى القرائن :

كن الظِّباءَ من بين عِوَجِ الحَنَيا مع جَانِبِ البَترِ وَهَنِ مَقَفِياتِ
وَكنِ الظُّمُونُ اغْرُوسَ بَعْضِ القَرَايا لَا قَوْضَتِ وَوُثِلَتَا البَيِّنَاتِ

المعنى واحد ، الشاعر الأول قال : كأن الأظعان تحمل نعاج توضح ، ووصف الأظعان على
أثل يشة ورضامها ، والثاني قال : كن الظباء بين عوج الحنايا
والحنايا : هى الهوادج أو الغبطان ، وكلها يستعمله العرب ، وذكر صفة الأظعان على غروس
القرايا وأثلها .

* * *

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

تذكرت الصَّبَا واشتقتُ لما رأيت مُحُولَهَا أَصْلاً حُدِينَا

شبيه ذلك قول ابن سبيل :

يَا تِلْ قَنْبَى تِلْت القُربَ لَرشَاهُ عَلَى زَعَاغَ شَاخَمَ صَدَرْتِ بِهِ
مَظْهُورَهُم كُنَ الطَّامِيعَ تَشْعَاهُ يَتَلَى سَفَ خِيَالِ مَنْ قَرِبَتْ بِهِ

المعنى واحد ، عمرو بن كلثوم تذكر الصَّبَا لما رأى أظعانهم تحدى ، وابن سبيل اتل قلبه
لما رأى مظهرهم كأن الطاميع تشعاه ، والمظهر : هى الأظعان ، والطاميع : القوم إذا شنوا الغارة

* * *

قال ابن سبيل :

قَدَّرَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَنَزلَهَا فَمِنْ عَلَا زَاتَقَا عَنْ غِرَةِ زَاتَقَا

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

إِذَا عَزَمْتُ خَطَّ الرِّجْلِ مَرَقَاتِ مَنْ قَبْلَ يَدْرِ بَكَ حَوْدَرِ بَادِي

المعنى واحد ، مراد الشاعرين أنك لا تضع رجلك فى موضع لا تعرف عاقبته .

* * *

قال امرؤ القيس فى معلقته :

وَجِدَ كَجِدِ الرَّمِّ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَتْهُ وَلَا يَمُتُّ طَلَّ

وشبيه ذلك قول التهامي الروقي :

يَا حَلِيَّ مِنْ الْمَهَا تَنَعُ الرَّقَابِ حَازَ بَيْنَ امْتَلَنَهُ وَالشَّبْرَمِيَّةِ^(١)

المعنى واحد ، امرؤ القيس وصف جيد معشوقته وشبهه بجيد الريم ، والتهامي وصف معشوقته وفضلها على كل مهابة تلعاء الرقبة ، والمهوى : بقر الوحش تشبه بها النساء كما تشبه بالظباء .

. . .

قال المبرد في الكامل : قال الشاعر :

اذكر مجالس من بنى أسد بَعُدُوا وَحَنَ إِلَيْهِمُ الْقَلْبُ
الشرقُ منزلنا ، ومنزلهم غَرَبٌ ، وَأَيُّ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ؟

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

يَا لَعَيْنُ وَينَ أَحْبَابِكَ إِلَى تَوَدَّيْنِ إِلَى زَاوِ الْحَيَا رَبْعُوبَةٍ
شَدَّتْ جِهَاتُهُمْ مِنْ اتَّجَلُّو قَسْمَيْنِ الزَّمَلُ حَدَّرَ وَالظَّعْنُ سَنَدُوبَةٍ

المعنى واحد ، قال الشاعر الأول : قد افترقنا فصار فريق منا إلى الشرق وسار فريق إلى الغرب ، وابن سبيل يقول : فريق حدر وفريق سند ، والحدار في لغة أهل نجد كناية عن الشرق والمساد كناية عن الغرب .

. . .

قال لبيد بن ربيعة في معلقته :

وَهُمْ رَيْبِعٌ لِلْمَجَاوِرِ فِيهِمْ وَالْمَرْمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

وشبيه ذلك قول التبيناي :

مَرَّوِي خَشُومُ الْفَيْسِ مَنْ كَتَمَخَ النَّيْبِ إِلَى يَعِيشُونَ الْعَرَبِ فِي حَلِيبَةٍ

والمعنى واحد ، قال لبيد : إنهم غيث للمجاور فيهم والمرملات ، والتبيناي يقول في الممدوح : إنه يروى خشوم الفيس في شمع النيب ، الفيس : معلومة ، والنيب : الإبل ، نجد خشوم الفأس ريان في دم الإبل من كثرة ما يذبح ، ثم قال « إنهم يعيشون العرب في حليبه » .

. . .

قال كعب بن زهير في لاميته المشهورة يصف الخمر :

(١) مثلة : هضبة سوداء ، والشبرمية : ماء في وادي الشبرم ، وهو ومثلة في عالية نجد ، قريب

بعضها من بعض ، قرب عفيف البلد المشهور في طريق الرياض .

شَجَّتْ بِذِي شَيْمٍ مِنْ مَاءِ نَحْنِيَّةٍ صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولٌ
تَنْفَى الرِّيحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ مِنْ صَوْبِ سَارِيَةِ بَيْضٍ يَعَالِيلُ
وشبيه ذلك قول غالب بن فتنان القحطاني في وصف القهوة :

بَرِّيَّةٌ ^(١) يَشْهِيلُ وَبَهَارَهَا هَيْلٌ وَأَلَى مَسْوِيهَا يَمِينُهُ طَرِيَّةٌ
مَاهَا قَرَّاحٌ هَجَالُ شَهَالِيلٍ مَنْ هَضْبَةٍ بَنُ حَوِيلٍ وَالْأَلْوَجِيه

المعنى واحد ، لما ذكر كعب الخمر ذكر أنها خِلِطَتْ بِمَاءِ نَحْنِيَّةٍ قد أراقه المُرْن ، وابن فتنان
لما ذكر القهوة وذكر مَجْنَاهَا وبَهَارَهَا قال : مَاوَهَا قَرَّاحٍ مِنْ هَجَالِ شَهَالِيلٍ ، والهَجَالُ لَا تَكُونُ
إِلَّا مِنَ الْمَطَرِ .

. . .

قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

قَرِينَا كَمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُم قَبِيلَ الصَّبْحِ مَرْدَاتِ طَحُونَا
بَسْمٍ مِنْ قَنَا الْخَطِيَّ لُدُنٍ ذَوَابِلٍ أَوْ بَيْضٍ يَخْتَلِينَا

وشبه ذلك كلام رَاكَانَ بْنِ حَثْلِينَ الْمُجَمَّى :

نَبِيٍّ نَسَوَى لِلْمَسِيرِ كَرَامَهُ شَلَفَ عَلَى قَبِ سَرِيَعَاتِ الْأُولَامِ
وَكَمْ سَيْفٌ هَنَّدَ نَمَشَعَهُ مِنْ بِلَامِهِ بَأْيَمَانُنَا تَشْدِي مَقَابِيسِ الْأَظْلَامِ

المعنى واحد ، عمرو بن كلثوم وضع الأعداء موضع الأضياف ؛ وجعل قَرَامِ ذَوَابِلٍ مِنَ الْخَطِيَّ
وهي الرِّمَاحُ ، أَوْ بَيْضًا وَهِيَ السِّیُوفُ ، وَرَاكَانَ بْنِ حَثْلِينَ وَضَعَ الْعَدُوَّ مَوْضِعَ الضَّيْفِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ : نَبِيٍّ نَسَوَى لَهُ كَرَامَةَ شَلَفَ ، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الرِّمَاحِ ، وَكَذَلِكَ السِّیْفُ ، الْقَرَى فِي كَلَامِ
الشَّاعِرِينَ الرِّمَاحِ وَالسِّیُوفِ .

. . .

قال كعب بن زهير في لاميته :

أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتِهَا وَمَا إِخَالُ لَدِينَا مِنْكَ تَنْوِيلُ

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

(١) البرية نوع من القهوة الطيبة، وشهيل : مولى من أهل بلد الحريق ، هَضْبَةُ ابْنِ حَوِيلٍ : هِيَ
الْحَصَاةُ الْمَشْهُورَةُ فِي عَالِيَةِ نَجْدِ الْجَنُوبِيَّةِ ، وَالْوَجِيه : قَلْتَةُ مَاءٍ فِي أَرْضِ الْجَمَاةِ فِي أَطْلَى وَادِي نَسَاحٍ الَّذِي
يَهْبُ فِي وَادِي الْخَرْجِ .

أَمَّا يَحْيَى حَوْلَ رَجَبِيَّتِهِ بَعْدَ حَوْلٍ أَمَّا عَنِيْتُ أَوْجَتِ رَكَابَهُ مَقَابِلِ
معنى كلام الشاعرين واحد ، يؤملان الاجتماع .

• • •

قال عمرو بن كلثوم :

وما منع الطعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالثقلينا
على آثارنا بيض حسان نحاذر أن نقسم أوتهنونا
وشبيه ذلك قول شليويح بن ماعز العطاوى الروقى :

لَكِنْ نَظُلُّ الزَّلْمَ قَدَامَ سَابِقِ نَظُلُّ الْهَشِيمِ بَوَادِى سِنَاوِى
كَلِّهِ لَعَيْنِ إِلَى تَهْلِ اِدْمُوعِهَا تَبْكِي وَفَى تَالَى الْبَسَا نَحَاوِى
تَقُولُ يَا لَصَبِيَّانِ وَلَكُمْ عَادَهُ هُوَ شَوْعَاىَ يَبْقَى لَنَا شَلَاوِى

معنى كلام الشاعرين واحد ، قال عمرو بن كلثوم : ما منع الطعائن إلا ضرب تقطعت منه
السواعد ، والداعى لذلك البيض الحسان اللاتى على آثارهم ، وكلام شليويح يقول : نطل الزلم وهى
الجنائز لنطل الخشب فى الوادى المعجل ، والباعث لذلك النساء التى تهل دموعها وتندبهم

• • •

قال زهير ، يمدح هرم بن سنان المرى والحارث بن عوف :

يَمِينًا لِنَعْمِ السِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبَرَمٍ
كَرَامَ فَلَاحِ ذُو الضُّفْنِ يَدْرُكُ تَبْلَهُ وَلَا الْجَارِمَ الْجَانِىَ إِلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ

وشبيه ذلك كلام لحجان الفراوى ، وهو يمدح الإمام عبد الله بن فيصل وطلال بن رشيد :

أَخَذْتُ لِي مِنْ بَيْنِ الْأَثْنَيْنِ سَجَّةً مِنْ بَيْنِ أَبُو بَنْدَرٍ وَوَلَدِ الْإِمَامِ
تَرَى الْكَرَمَ مَا فِيهِ سَجَّةٌ وَلِجَهٍ مُحَدِّدًا أَمْنَا حَيْهَمَ جَنُوبٍ وَشَامِ

المعنى واحد .

* * *

قال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلَّ حَى قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا

وشبيه ذلك قول ابن ربيعة فى عبد المحسن السعدون :

وهو الذى خلا الصَّوْطِطَى عِدا الكُومِ وَالشَّمْرِىَ لِلشَّامِ يَطْرُدُ ظَعِينَهُ
وصفوق من كون المقير إلى اليوم متقلد قلب النعامة قرينه

معنى قول الشاعرين واحد ، كلام ابن كلثوم مخافتهم قرينة العدو ، وكلام ابن ربيعة قال :
إن صفوق الجر با قد تقلد قلب النعامة من الذعر

. . .

قال متمم بن نويرة في رثائه أخاه مالكا :

فما وجدُ أظَارَ ثلاثِ رواثِمٍ رأينا مجرا من حوَار ومصرعا
بأوجع مني يومَ فارقتُ مالكا ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا

وشبيه ذلك قول ابن سبيل :

كفّني خَلْجٌ ترَفَعَ الصَّوتُ ونهيتَ وحوارَهـا الراعى تَعَشَّى شواته
وتكسر على الملحقِ ويقول يا بُحيتَ ولا تُرايعَ كَبْنٍ تاصَلَ تَماتَه

المعنى واحد ، شبه كل منهما وجده بوجد أظَار الإبل ، الأول ذكر الحوَار ومصرعه
والثاني كذلك .

. . .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه بعد وقعة بدر يحرض بنى عبد شمس على بنى مخزوم :

غدا أهل حِصْنِي ذى الحجاز كليهما وجار ابن حَرْبٍ بالمغمَس ما يغدو
كساك هشامُ بن الوليد ثيابه فَأُبْلِ وَأُخْلِقْ مثلها جَدَدًا بعدُ
فلو أن أشياخا بيدر تتابعوا لبلَّ نعال القوم معتبط ورد

وشبيه ذلك كلام محمد بن نمر بن مسعود حين أجلاهم الزير عن بلد الشعراء ، وكانوا في
جبل شهلان :

يا دارنا حَقَّكَ عَلَى سَيْفِ بَصْبَاهِ وَالْأَعْلَى نَاصِرِ صَبِي الخَاسِرِ
والاسْعَدَ لَوْ تَقَضَّبَ السَيْفُ يَمْنَاهُ ما كان يَلْعَمُكَ بُلْهَانُ وَالزَيْرِ

معنى كلام الشاعرين واحد ، كلام حسان فيه ذكر المقتولين في بدر ، وابن نمر ذكر أشياخا
قد أبادهم الدهر .

. . .

قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

وأما يوم لا نخشى عليهم فضع غارة متلبيننا
برأس من بين جُشَمِ بن بكر تدق به السهولة والحزونا

وشبه ذلك قول شالح الحمقى من قبيلة المقطة من عتيبة في ابن هندی :

في ضفّ بنّ هندی حمى دقة الخليل يمهّل ولا يمهّل حمى كل تآلى
معنى قول الشاعرين واحد ، ابن كلثوم ذكر أنه يقتل الأعداء برئيس جشم بن بكر ،
والحمقى ذكر أنه يقتل الأعداء بابن هندی رئيس قبائل المقطة وهو من أكبر رؤساء عتيبة .

• • •

قال المبرد في الكامل : قال الشاعر :

وتفرقوا بعد الجميع لثنية لا بد أن يتفرق الجيران
لا تصبر الإبل الجلاد تفرقت بعد الجميع ويصبر الإنسان

وشبه ذلك قول جرى الشاعر في قصيدته اللامية المشهورة :

يَحْنُ الْجَلُّ من حر فارقا ولا يفه وَيَحْنُ وَأَقُولُ إِنِّ البعير هبيل
وَتَرَى هَبِيلَ الْقَلْبِ من لا يفهمه فَرَّقَى الْأَخْلَا وَالزَّمان طَوِيل
معنى قول الشاعرين واحد ، كلاهما ذكر ائتلاف الإبل والتفاتها لإلفها بعد التفرق .

• • •

قال امرؤ القيس :

أجارتنا إن الخطوبَ تنوبُ وإني مقيمٌ ما أقام عسيبُ
أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريبٍ للغريب نسيب
وشبه ذلك كلامُ ضيف الله بن حميد :

انا بَلَّائِي الْعَذْبِ جَالِي تَنَائِيَه إِلَى سَكَنٍ مَذْرُوبٍ عَزَّوْا خَلَاوِي
يَا لَيْتَنِي مَجْضُوعٌ بِالْقَبْرِ وَتِيَاه وَلَا نَسَائِمُ الْجَمَاعَةِ مَنَاوِي

المعنى واحد : امرؤ القيس ذكر القبر الذي تحت جبل عسيب ، وعسيب ليس في بلاد الروم بل في عالية نجد في ضفة وادي الجريب الجنوبية ، وهو المنفرد في الجهة الشمالية ، من جبال المسييات ، وابن حميد ذكر القبر الذي في قاعة مذروب عروا ، وهو جبل في عالية نجد الجنوبية .

* * *

قال النابغة الذبياني في وصفه للمتجردة زوج النعمان بن المنذر :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرْدِ إسقاطه واتقننا باليد

وشبه ذلك قول محمد القاضي :

كَسَمْتُ مُوَلِّعٍ فِي جَوْفِ صَافٍ مَنِ الْبُورِ مَجْلَى الْيَاحِي
تميل وتنثني عني بعطفه إلى مال العطاء عنها وطاحي
معنى كلام الشاعرين واحد ، النابغة لما سَقَطَ النصف اتَّقَتْ يدها ، والقاضي لما طاح
العطاء اتقته بعطفها .

. . .

قال امرؤ القيس في معلقته :
وَفَرَّعَ يَزِينَ الْمَنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَفَنُوا النُّخْلَةَ الْمُتَعَشِّكِلَ
وشبه ذلك قول محمد بن لميون :
إِلَى قُلْتُ هَاتِي حَاجَةً لِي وَدَنَقْتُ تَنَزَّلُهَا مَثَلُ الشَّمَارِيخِ مِيَالٍ
معنى كلام الشاعرين واحد ، كل منهما وصف شعرَ معشوقته وشبهه بعذق النخل . إلا أن
امراً القيس قال « قنو النخلة » وابن لميون قال « الشماريخ » .

* * *

وقال حسان بن ثابت :
عَدَمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كِدَاءُ
يعالجن الأعنة مضطربات على أكتافها الأسلُ الظاء
وشبه ذلك قول العوني :
لَا بَدَّ مَا تَاطَأَ بِرِيدِهِ خَيْوُنَا وَمَنْ عَقَبَهَا تَشَرَّبَ مِيَاهَ وَثَالٍ
نَجْرَ الْعَوَالِي وَالْمَعَالِي وَعُجْنَا بِنِي عَلَى رُوسِ الْجِبَالِ جِبَالٍ
وَتَحَفَّ بِالسَّمَرَا مَشَاهِيرَ خَيْلِنَا وَلَشَرَّبَ سَحَاحَ وَالْحُسُودِ نَعَالٍ
معنى كلام الشاعرين واحد ، حسان رضى الله عنه يهدد أهل مكة ويتوعدهم بتوجه الخيل
إليهم إلى أن قال « موعدها كداء » بعد إثارة النقع .
والعوني يهدد أهل حائل بتوجه الخيل إليهم إلى أن قال « وعجنا ببني على رؤس الجبال
جبال » وقال « تحف بالسمرا مشاهير خيلنا » وحسان ذكر كداء ، وهى ثنية فى مكة ، والعوني
ذكر السمراء ، وهى هضبة حائل المشهورة :

* * *

قال المبرد فى الكامل : قال قيس بن معاذ :
وَلَوْ لَمْ يَشُقْنِي الظَّاعِنُونَ لَشَاقَنِي حَامُّمٌ وَرُقٌّ فِي الدِّيَارِ وَقُوعُ

تَجَاوَزْنَ فَاسْتَبْكِينَ مَنْ كَانَ ذَاهُوًى نَوَاحٍ مَا تَجْرِى لَهْنَ دُمُوعُ
وشبيه ذلك قول التميمي بن عبد الرحيم راعى بلد أشيقر :
الْأَيَا حَمَامَاتُ بَعَالَى أَشْيَقِرْ وَرَاكُنْ فِرَاقَ وَالْحَمَامِ الْجُمُوعُ
أَنَا أَبْكِى وَعَيْنِي حَرَقَ الدَّمْعُ خَدَّهَا وَتَبْكِي وَلَا يَجْرِى لَكُنْ دُمُوعُ
معنى قول الشاعرين واحد ، أنظر بعينك جميع العبارة .

• • •

وقال مهلهل أخو كليب بن ربيعة :
كَيْدُ النِّسَاءِ سَيَلَمُقِي النَّاسَ فِي عَدَمٍ فَخَيْبَ اللَّهِ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَ مَرَا
وشبيه ذلك قول شالح الحمقى :
أَبُوءُ طَاوِعَ فِي غَالِبٍ وَشَرَّوَاهُ وَهَذَى سَوَاتِ نَحْوَتَمَاتِ الصَّائِبِ
هِيَ دُودَةُ الرِّجَالِ بِالْهَرَجِ تَرَعَاهُ وَالنَّاقِدَةُ تَرعى الخشبَ لَوْ صَرَاوِيعُ
معنى قول الشاعرين واحد فى مطاوعة النساء ، وتغلب كيدهن .

• • •

وقال جميل بن مَعْمَرٍ :
فَلَوْ أَنَّ مَابِىَ بِالْبَحَارِ لَمَّا جَرَى بِأَمَاجِهَا بَحْرٌ إِذَا زَخَرَ الْبَحْرُ
وَلَوْ أَنَّ مَابِىَ بِالْحَصَى فَلَقَ الْحَصَى وَبِالصَّخْرَةِ الصَّمَاءُ لَا تُصْدَعُ الصَّخْرُ
وشبيه ذلك قول ابن عقيل راعى الجمعة :
لَوْ أَنَّ مَابِىَ يَصِيبُ طَوِيقَ وَهَضَابِهِ كَانَ أَصْبَحَ الضَّلَعُ هُوَ وَالْقَاعُ مَسَاوِىَ
أَوْ أَنَّ مَابِىَ يَصِيبُ رُكُونَ حَطَابِهِ كَانَ أَصْبَحَتْ عَشَقَتْ رِعَايَهَا الشَّوَاوِىَ
معنى كلام الشاعرين واحد ، ذكر الأول أن مابه عظيم لا يستطيع حمله ، ولو أنه أصاب
الحصى لا نفلق أو الصخر لا نصدع ، والثانى يقول : لو أن الذى به أصاب طويقاً - وهو جبل
اليمامة - لاندك وساوى الأرض ، أو أصاب ركون حطابه ، وهى هضبة مجاورة لطويق ، لأصبحت
مستوية بالأرض ترعى بها الغنم .

• • •

وقال جرير بن عطية وهو وافد على الوليد بن عبد الملك بن مروان فى دمشق ، ووفادته من
يبرين ، وهو منهل لبنى تميم فى القطعة الجنوبية من الدهناء :

أقول للعيس إذ جد المسير بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس
وشبيه ذلك كلام صالح بن سرحان ومعه وهق راعى الرويضة وقد وفدا على بعض الأمراء :
إن بدا لى قارة فى سد قاره والحقى بيدى سلسات القرينا
ياوهق يا بعد اهلك من القواره والجل يضلح برجله من يمينا
معنى قول الشاعرين واحد ، جرير يقول : يا بعد يبرين من باب الفراديس ، وباب الفراديس
من أبواب دمشق ، ويبرين كما ذكر منه لى تميم ، وابن سرحان يقول : يا بعد أهلنا من القواره
وقد انتهت من هذه النبذة الأخيرة .

قال مصنف هذا الكتاب : أوردت هذه الشواهد ، وقربت ما بين الشعر العربى والشعر
النبطى ، وأوردت مثلاً تدل على ما بينهما من تطابق فى المعنى ؛ لأزيل الالتباس عن كل من
يظن أنه لا يحتاج بالشعر النبطى ، ولا يستشهد به ، فتجد فى هذه الشواهد بيتا نبطيا وبيتا عربيا
ومعناها واحد ، وصاحب البيت النبطى لا يعرف الأشعار العربية ولا يسمعا ، وابتكر المعنى من
قريحته ، كما أن الشاعر الأول ابتكر معناه من قريحته .

ثم إن أهل العربية لا يلتزمون فى المعانى الاستشهاد بشعر طبقة أو طبقات معينة ، بل إنهم
ربما استشهدوا بشعر المعجم من الفرس وغيرهم ، فأما ما يلتزمون الاستشهاد عليه شعر مَنْ قبل
الدولة العباسية فهو الألفاظ وضبطها مما يلزم علماء اللغة وعلماء النحو والصرف ، فأما التاريخ
والبلدان وعلوم البلاغة فلم يلتزم أحد من العلماء الاستشهاد بكلام طائفة معينة ، وكيف والحاجة
ماسة إلى معرفة كلام شعراء كل جيل للدلالة على مواطنهم ومسارح لهوهم .

• • •

ولما اتهمنا من هذا الكتاب وقد تم اكتشافنا لموضع سوق عكاظ بالدلائل الواضحة عزمتنا
على إيرادها برمتها فى آخر هذا الكتاب مع ذكر الدلائل التى وقفنا عليها ، ونشر خريطة المكان
وما به من الآثار ، والدُّمن البالية ، والأطلال الخالية ، وليس يعلم إلا الله تعالى كم بذلت من
جهد وعانيت من متاعب فى البحث عن موضع سوق عكاظ ، والاستدلال على موضعه ، وقد
كان يقول لى من سألت من أدباء الحجاز : إنه السيل الصغير ، وكنت أسألهم : هل عندكم دليل
واضح ؟ فيقولون : لا ، وإسكننا نسمع ذلك من أفواه الناس ، وقد أكثر أهل المعاجم وكتب
التاريخ من ذكره على اختلاف رواياتهم ؛ فمنهم من قال : إنه على مرحلتين من مكة ، وعلى
مرحلة من الطائف ، ومنهم من قال : إنه بين نخلة والطائف ، فلما وجد التأخرون هذه الروايات

قالوا : إنه السيل الصغير ، أو السيل الكبير ، أو قريب منه ، ولكن هذه الأقاويل لا يقع بها مَنْ أراد الوقوف على الحقيقة ، ومما يدل على أن هذا الكلام الذى يلقىه المتأخرون على عواهنه غير صحيح ، ولا يمكن أن يكون سوق عكاظ فى أحد هذين الموضعين ، أنه ليس فى كلام القدماء ما يدل على أنه يوجد فى أحد هذين الموضعين متسع يكفى لنزول العرب لشهود هذه السوق .

فأزلت أتتبع كتب الأدب والمعاجم التى أظن أنى أجده فيها فإذا وجدت عبارة قريبة من الصواب عرفت موضعها من الكتاب ، وصنّتها فى حافظتى ، حتى إذا اكتملت لدى الدلائل الواضحة ، والله الحمد والمنة ، عزمت على تطبيقها على الطبيعة وتحديد موضع سوق عكاظ .

ومن كل ذلك ثبت عندى أن موضعه يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريباً من الجهة الشرقية منه ، وعن الطائف مقدار أربعين كيلو ، وذلك عند المسكان الذى يلتقى فيه الواديان : وادى شرب ، ووادى الأخيضر ، شرقيه ماء يقال له المبعوث عند الحرة السوداء ، وجنوبيه أكمة بيضاء يقال لها العبلاء من العهد الجاهلى إلى هذا العهد ، وشماليه هو الفاصل بين وادى شرب ووادى قران ، المعروفين بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، والعجب من أندراس هذه السوق ، وهى من أعظم أسواق العرب فى الجاهلية وفى أول الإسلام ، وكان الناس ينتابونه من كل ناحية ، فلما كانت سنة ١٢٩ من الهجرة وظهر الخوارج الخروريه مع المختار بن عوف بمكة نهبت هذه السوق فقلص ظله شهراً بعد شهر وعاماً بعد عام ، حتى اندرس اسمه ، وعى عن الأبصار رسمه ، وكثر التضارب والاختلاف فى تحديده ، وقد أجمع الكثيرون من الناس على أنه السيل الصغير أو السيل الكبير أو قريب ذلك . وهذان الموضعان كما قلنا لا يتسع أحدهما لمن كان يحضره من العرب لأنه لم يكن يبقى من العرب أحد فى مشارق أرضهم ومغاربها إلا حضر هذه السوق .

فأما التحديد الصحيح الذى هو صادر عن معرفة ويقين فهو الذى ذكرته فى أول هذه العبارة فمن أراد أن يقف برجله ويرى الآثار الدارسة والأطلال البالية فليذهب إلى هناك كما ذهبت إليها ورأيتها بمعنى ، ووقفت على حقيقتها ، فأنا لم أذكر تحديد هذه السوق إلا مستنداً إلى خمسة أسانيد صحيحة .

أولها : ما ذكره أحمد الردامى اليماني فى أرجوزة له رسم فيها طريق مكة من صنعاء إلى مكة وهو فاصد الحج ، ولست أذكر من هذه الأرجوزة إلا ما دعت الحاجة إليه ، وقد ذكرها المحدثان

في آخر كتابه « صفة جزيرة العرب »

ثانيها : ما ذكره عرام بن الأصمغ السلمي في كتابه المسمى « جبال تهامة والحجاز ومحالها »
ثالثها : ما ذكره ياقوت عن الأصمغى في معجم البلدان على ذكر عكاظ .

رابعها : ما ذكره سعيد الأفغانى في كتابه المسمى بأسواق العرب حين تعرض لذكر عكاظ
وذكر أيام الفجار . وهى الحرب التى وقعت بين قريش ومن ساعدها من بطون كنانة وبين قيس
عيلان وبطونها . وذكر مواضع المعارك ، وكلها إما فى عكاظ نفسه وإما فى الأمكنة المحيطة به .
خامسها : ما ذكره السكيت بن زيد الأسدى ، وهو بيت واحد فى قصيدة من قصائده
وسنعود بالتفصيل والإيضاح إلى الأسانيد الخمسة التى أشرنا إليها .

أولا : ما ذكره الرداعى فى أرجوزته ، وهو يخاطب راحلته :

قلت لها فى مطلق طامخ لى مناخ أيا مناخ
ياناق همّ الشهر بانسلاخ فازمى بالجد لا التراخي
كأم أفرانخ إلى أفرانخ عن ذى طوى ذى الحمض والسباخ
وأوقح ذى المنهل الوضاح قاربة للورد من كلاخ

انظر أيها القارىء تجد أن الشاعر خرج من أوقح ووصل كلاخ ، وهما موضعان معروفان
بهذين الاسمين إلى هذا العهد ، وهما يقعان فى الجهة الجنوبية من عكاظ ، ثم اندفع وهو يخاطب
راحلته فقال :

قلت لها سبرى بلا توائى سبرى بمفضال على الإخوان
ليس بفحاش ولا منان وكل صلت ثابت الجنان
يا هند لو أبصرت عن عيانى قلأئص يوضعن فى جلدان

وجلدان : موضع لم يتغير اسمه إلى هذا العهد ، بين عكاظ وكلاخ ، وهناك هضبة منفرة عن
الجبال تسميها العرب إلى هذا العهد « حلاة جلدان » .

انظر أيها القارىء تجد الشاعر الآن عند الحلاة ، ثم اندفع وهو يتفنى وقد قرب من عكاظ :

فقلت لما ناب لى احتفاظى والقلب فيه شبه الشواط
سلّ الهوى عن قلبك المغتاط والعيس تطوى الأرض بالمظاظ
مشفقة من زاجر كظاظ مسهلة فى الأرض من عكاظ

الآن الشاعر فى عكاظ ، انظر أيها القارىء كلامه حين خرج منه ، فقال :

فانجرت بالرفق العصائب عيديد مفعمة المناكب
بكل خف مستدير الجانب وحيث خط الميل كف الكاتب
تاركةً قران للمناقب وشربا في جنح ليل واقب

أنظر أيها القارىء كلام الرداعى لما خرج من عكاظ قال « تاركة شرب » وهو الوادى الذى يفيض على عكاظ ويشقه من الجهة الشمالية منه ، وقال « تاركة قران للمناقب » وقران : هو واد يأتى سيله بين السيل الصغير وبين عكاظ ، يصبُّ سيله فى وادى العميق ، وهو باقى بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لا يزال يسمى « قران » والمناقب : معلوم أنها الربعان التى تقع بين السيل الصغير والسيل الكبير .

ثانياً : ما ذكره عرام بن الأصمى السلى ، قال فى كتابه « جبال تهامة والحجاز ومحالها » قال لما مر على ذكر عكاظ : هو فى أرض مستوية ليس بها جبال ، وإذا كنت فى عكاظ طلعت عليك الشمس على حرة سوداء ، وبها عبيلات بيض كان العرب يطيفون بها فى جاهليتهم ، وينحرون عندها ، انتهى : وقد رأيت بعينى الأرض المستوية التى ليس بها جبال ، ورأيت العبيلات البيض ، ورأيت الحرة السوداء ، وأنا فى صحبة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز لما آب من قصصه وما أشبهه علينا شئ من ذلك .

ثالثاً : الذى رواه ياقوت عن الأصمى فى معجم البلدان - لما ذكر ياقوت عكاظ وأكثر من الروايات عنه قال : وقال الأصمى : عكاظ واد به نخل ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت أيام الفجر ، وكان هناك صخور يطوفون بها ، ويحججون إليها ، أما تحديد الأصمى فهو صحيح ، وقد سألت عن ذلك أعراب تلك الناحية عن المسافة ، ورواية الأصمى تقارب رواية عرام حيث ذكر الصخور التى يطوفون عندها ، ويذبحون لها ، وتقرنت مع رواية سعيد الأفغانى حين قال : وبه كانت أيام الفجر ، وأما الأثيدا فقد اندرس اسمها رابعاً : ما ذكره سعيد الأفغانى فى كتابه المسمى « أسواق العرب » فإنه لما مر على ذكر عكاظ وذكر أيام الفجر ، ذكر منها أربعة أيام وقعت فى نفس عكاظ ، والخامس منها فى بطن نخلة ، وهو أولها ، وبعده يوم شمطا ، وهو فى عكاظ ، وقد اندرس ذكرها ، وبعده يوم العباء ، وبعده يوم شرب ، وبعده يوم الحريرة ، وإليك عبارة^(١) صاحب « أسواق العرب » على يوم العباء : عاد الأحياء المذكورون من هؤلاء وأولئك ، فاقتلوا فى قابل فى اليوم الثالث من أيام

عكاظ في العباء ، وهي إلى جانب عكاظ ، فاقبلوا على التبعثة التي تقدمت ، وكان هذا اليوم أيضا لهوازن على قرش وكنانة ، فأصابت قرش ، وقتل أحد صناديدها وهو العوام بن خويلد ، والد الزبير بن العوام ، قتله مرة بن معتب الثقفي . وقال في ذلك رجل من ثقيف يفتخر بقتله ما له من الشرف والخطر في قومه :

منا الذي ترك العوام منجداً تننابه الطير لحماً بين أحجار
وفي هذا يقول شاعر هذه الحروب من هوازن ، وهو خدش بن زهير حين قال :
ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العباء خندف بالقياد
ضربناهم بطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد
أنظر أيها القارئ ، تجد أن هذا الشاعر جعل العباء من عكاظ ، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي التي ذكرنا أنها حدٌ عكاظ في الجهة الجنوبية منه .

ثم استمع إلى كلام صاحب الكتاب على يوم شرب^(١) : ثم التقوا على رأس الحول في اليوم الثالث من عكاظ أيضا بشرب . وشرب من عكاظ ، ولم يكن بين الفريقين يوم أعظم منه ، وهزمت قرش هوازن ، وهذا اليوم هو الذي قيد فيه رؤساء قرش أنفسهم وقالوا : إن نبرح حتى تقتل أو نظفر ، فسموا العنابة بعد ذلك .

تأمل أيها القارئ ، كلام صاحب الكتاب حين قال « شرب من عكاظ » وشرب باقي بهذا الاسم إلى هذا اليوم لم يتغير ، وقال أمية بن الأسكر الكنانى في ذلك اليوم :
ألا سائل هوازن يوم لاقوا فوارس من كنانة مُعَلِّنا
لدى شرب وقد جاشوا وجشنا فأوعب بالنفير بنو أينا
وقال أيضا :

قوى الدو بمكاظ طيروا شررا من رؤس قومك ضرباً بالمصاقل
انظر هذا الشاعر جعل المعركة في نفس عكاظ ، وصحيح أنها في نفس عكاظ .
وقال على يوم الحريرة ، وهو آخر أيامهم^(٢) : ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة ، وهي حرة إلى جنب عكاظ ، ثم انهزمت قرش ، وقالت شعراء هوازن قصائد كثيرة منها :
الطاعنين نحور الخيل مقبلة من كل سمراء لم تغلب ومغلوب
وقد بلوتم فأبلاكم بلاؤهم يوم الحريرة ضرباً غير مكذوب

وهذه الحريرة هي التي ذكر أبو الأصبع السلمي أنها تطلع عليها الشمس إذا كنت في عكاظ .
خامساً : بيت السكيت بن زيد الأسدي في إحدى قصائده حين قال :

أهل الحنيفة فاسأل عن مكارمهم بالمسجدين وملقى الرجل من شرب

قال مصنف هذه الأحرف : قرأت هذه القصيدة التي منها هذا البيت على الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ونحن ببلد أشبقر ، وهو رجل علامة في جميع الفنون ، وبالأخص في تاريخ العرب وأنسابهم وديارهم وتنقلاتهم ، فلما مررت على هذا البيت أشكل على منه : ملقى الرجل من شرب ، فسألته عن ملقى الرجل من شرب ، فقال لي : إن هذا الشاعر ذكر بني هاشم ومكارمهم ، فقال : فاسأل عن مكارمهم أهل مكة وأهل المدينة وملقى الرجل من شرب : هو سوق عكاظ ، قلت له : شرب هو اسم سوق عكاظ ؟ قال : شرب وادٍ قريب من الطائف ينصب من الغرب إلى جهة الشرق ، وعنده وادٍ يقال له الأخيضر ينصب من الغرب إلى جهة الشرق . وهذان الواديان ينصبان في غرب عكاظ ، ويتجهان إلى الجهة الشرقية منه ، قلت له : من أين أخذت هذا التحديد الواضح ؟ قال : أخذته من كتاب في مكتبة بالبصرة هو أحسن من معجم البلدان في ذكر نجد وجبالها ومياهها . فقلت له : هذا الكتاب طبع أو خط ، قال : إنه خط ، انتهى

وقد أوردنا على تحديد عكاظ الدلائل الواضحة التي لا تتبس على أحد ، والذي أضل قوماً من أهل الأدب فقال إن عكاظ قريب من مكة ، واستدل بقول خدّاش بن زهير حيناً قال :

ياشدة قد شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم
وَلَوْ سَلَكَ عِظْمُ الْخَيْلِ لَاحِقَةً كَمَا تَحَبُّ إِلَى أَعْطَانِهَا النِّعَمِ

وهي قصيدة طويلة ، هي حجة من استدل بهذا البيت على أن عكاظ قريب مكة ، وهو لا يعلم موضع هذه المعركة التي ذكر هذا البيت من أجلها ، وأنا أعلمها ، وأنا أعلم السبب الذي جرّها ، وأعلم أن موضع المعركة كان في بطن نخلة بين لزيمة وبهيتة .

فأما السبب الذي من أجله نشبت الحرب ، وهو أول أيام الفجر ، فإنه لما اجتمعت العرب في عكاظ ، وكان عروة الرّحّال سيد هوازن قد أجار لطيفة للنعمان بن المنذر كان يبعثها إلى عكاظ في كل عام تباع فيه ، والاطيمة : إبل تحمل الطيب والبز وطرائف من طرائف الحيرة ، فما انتصف في طريقه نبعه البرّاض السكتاني ، فقتله قريب النقرة وأخذ الاطيمة ، ثم بعث إلى حرب بن أمية وهو سيد قر يش في ذلك الوقت رجلاً يخبره أنه قتل عروة الرّحال سيد هوازن ، فقال للرسول : مستجده في عكاظ وهوازن محيطة به فأخبره سرا ، ولا تعلم بك هوازن ولا غيرها ، ففعل الرجل ،

وأخبره ، فاستشار حرب رؤساء قريش وبنى كنانة ، واتفق رأيهم على أن ينصرفوا إلى مكة ولا يحضروا عكاظا في هذا العام ، ويعتذر للقيسية بعذر عن خروجهم ، ففعلوا ، فلما مضى يوم وليلة على القيسية علموا بمقتل عروة الرحال ، وكان سيد هوازن وقيس عيلان عامر بن مالك الذى يقال له ملاعب الأسنة وهو عم عامر بن الطفيل ، فنهض بقيس عيلان ولحقوا قريشا وكنانة فى بطن نخلة ، فدارت المعركة بينهم ، ثم انهزمت قريش ومن معها ، وقال خدش بن زهير هذا البيت :

ياشدة قد شدنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

وظن من سمعه أن المعركة فى عكاظ ، وقد أفرد لهذه المعركة يوم من أيام العرب يسمى يوم نخلة ، وهو من أيام الفجار ، وسميت أيام الفجار لأنها وقعت فى الأشهر الحرم ، والذى أوقعهم فى هذا الظن أن باقى أيام الفجار سوى هذا اليوم كانت تنشأ فى سوق عكاظ ، وتدور المعركة فى جهة منه ، فتسمى المعركة باسم تلك الجهة فيوم شمطا ويوم العباء ويوم الحريرة ويوم شرب كلها فى عكاظ ، فشمطا قد ذهب اسمها ، وأما العباء وشرب والحريرة فإنها كلها بمكاظ ، وهى باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وجميع ما ذكرناه عن تحديد عكاظ حاضر بأيدينا ، انتهى .

قد اطلمت على مصادر كتاب « أسواق العرب » والأسانيد التى اعتمد عليها ، فوجدتها من أعظم الكتب وأثبتها وأدناها لغرض المصنف : منها الأكليل والأمالى والأزمنة والأمكنة وأساس البلاغة والأغنى وتاج العروس وتاريخ الطبرى وسيرة ابن هشام والعقد الفريد وصبح الأعشى وصحيح مسلم وعيون الأخبار وطبقات ابن سعد وتاريخ الأدب العربى وتاريخ التمدن الإسلامى ورياض الصالحين وخزانة الأدب وصحيح النسائى وفتح البارى لابن حجر والسكامل لابن الأثير ولسان العرب وجمع الأمثال للميدانى ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ومعجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى والنهاية لابن الأثير ونهاية الأرب للنويرى .

وليعلم قارئ هذه الأحرف أنه لما ثبت عند صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود صحة ما ذكرته عن عكاظ وتحديد موقعه ورأى بعينه الحفرة التى تطلع عليها الشمس والعيالات البيض والأرض المستوية التى تسع العرب عند اجتماعهم ووادى شرب ووادى قران والعبلاء وحلات جلدان ، وثبت لديه هذا التحديد الواضح بحث مع السكاتب الأديب الباحثة عن بلاد العرب وما بها من الآثار عبد الوهاب عزام بك وزير مصر المفوض فى جدة سابقا ، وقال له : إنى أحب الوقوف على هذه السوق وآثارها البالية المندسة ، وكان الوزير متأهبا للسفر إلى الرياض فاتمداً أن يذهب جميعا إلى سوق عكاظ ، إذا رجع الوزير من الرياض ، فصادف عند رجوعه

أن كان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل في جدة ، فأمر الأمير خادمه عبد المحسن العنقري أن ينصب الخيام هناك ، ويرسل الخدم إلى ذلك الموضع لتحضير ما ندعو إليه الحاجة ، وقد فعلوا ونصبوا الخيام إلى جانب العبيلات البيض في نفس عكاظ ، وأمرني صاحب السمو الملكي الأمير فيصل أن أقابل الوزير في المطار أنا وخادمه عبد المحسن العنقري ، ونذهب مع الوزير إلى سوق عكاظ فأخذت معي جميع الدلائل التي أشرت إليها ، فمنا وصلنا إلى عكاظ قرأت على الوزير ماء عدي من الدلائل ، وكلما مررت على ذكر موضع كالحريرة وشرب والعبلاء والعبيلات البيض وجدان وقران يقول : أين هي ؟ فأريه إياها رؤية عين ، الحريرة أخذ عكسها ونحن على ظهرها ، والعبيلات البيض التي ذكرها أبو الأصبع السلي صورها ونحن إلى جنبها ، والعبلاء كذلك ، وتجوّلنا فيه بالسيارة ، ورأى الآثار القديمة والأرض المتسعة التي تسع العرب جميعها ، وقد اعترف أنه عكاظ ، واقتنع وأبدى موافقته التامة ، وأخذ مني نسخة تحتوي على جميع الدلائل التي أشرت إليها ، والفضل في ذلك يرجع إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل لأنه هو الذي أمر بهذا الاكتشاف وتحقيقه والوقوف عليه بعد تصوره ، ورأيت في أوبته من قصصه ، أدام الله بقاءه .

وإني قد بدأت البحث عن سوق عكاظ وتحقيق موضعه من سنة ١٣٥٥ هـ ، وانتهيت منه في شهر شوال سنة ١٣٦٩ هـ . وفي الصفحة التالية خارطة رسم سوق عكاظ ، وأحببت أن أختتم هذا الكتاب بهذا الأثر العظيم ، لأنه من شرط كتابنا هذا .

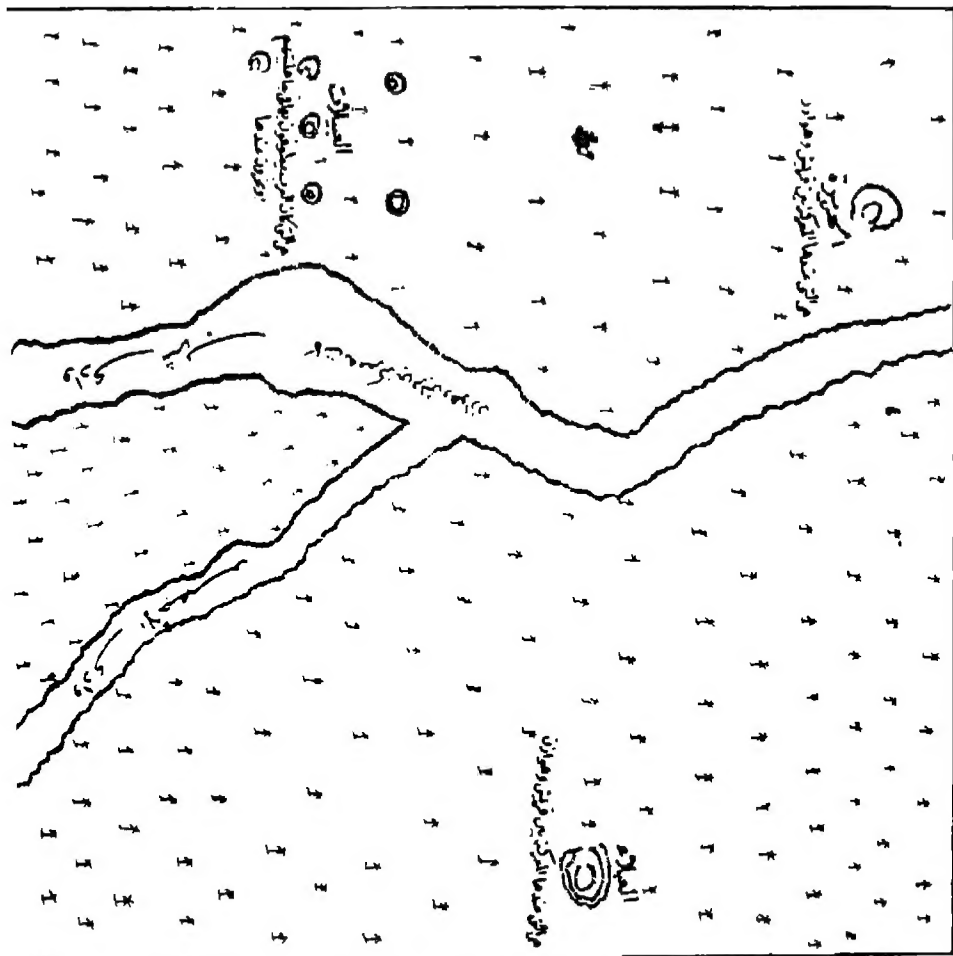
وقد نشر هذا البحث عن سوق عكاظ في مجلة المنهل الغراء التي تصدر بمكة ، وذلك في عددها الممتاز الصادر في ذي الحجة من سنة ١٣٦٩ هـ (ص ٣٢٦ — ٣٣٤) .

* * *

وقد آن أن نُلقي عصا التسيار ، بعد أن طوّفمّا بك في جبال بلاد العرب وحراها وقراها ومدنها وأوديتها ومياهاها ، وقطعنا في ذلك شوطا بعيدا ، والله تعالى المستول أن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه إنه حسبنا ونعم الوكيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
وصلّى الله وسلّم على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله وآله وصحبه .

سوق عكاظ

بني تميم



الجهة الجنوبية

اطلع سماحة الأستاذ الجليل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف بالمملكة العربية السعودية على الجزء الأول من كتاب « صحيح الأخبار » فنفضّل - حفظه الله وأمتّع به - وفصله العرب والعروبة ! - بكتابة هذا الكتاب الذي ثبته في هذا الموضع من الكتاب مع عاطر التحية لسماحته وخالص الشكر ، قال أمتع الله به دولة الأدب :

إلى حضرة الأئمة الأكرام الشيخ محمد بن بليهد الموقر ، حرسه الله تعالى !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ أما بعد فقد تشرفت برود كتابكم ، وسرني نبأ صحتكم وسلامتكم ، وإنني أشكر لكم هديتكم القيمة ، وهي الجزء الأول من « صحيح الأخبار » والديوان . ولقد أعجبتني ما اشتغلا عليه من التحقيق والتدقيق ، وإنكم في تأليف صحيح الأخبار أفدتم العالم العربي بفوائد جسيمة كانت غائبة عن الأنظار أعواماً طويلة ، فلقد حققت ودققتم عن مشاهدات صحيحة وأخبار موثوق بها ، فصحت تسمية التاريخ صحيح الأخبار ، وإن كتابكم هذا سيكون عمدة في بيان المواضع التي حررتوها ، وسينبه المؤلفين في الأدب على التحفظ والاحتياط اللذين التزمتموها عند كتابتكم عن بلاد العرب وذكر الأسماء التي وردت في الأشعار العربية . جزاكم الله خيراً وبارك في حياتكم وأمدكم بعون منه ! وإنني أقول أيها الفاضل : إن صحيح الأخبار كتاب سيكون له أكبر شأن عند الأدباء ، وستقرأ ما يكتبه أدباء الأقلام عن هذا الكتاب من التقرّيط والثناء ، وهذا مالزم . وسلامي على العيال ، ومنّ لدينا جميعاً يسلمون ، والسلام .

محجكم

محمد بن عبد العزيز

ابن مانع

فهرس الموضوعات الواردة في كتاب

« صحيح الأخبار ، عما في بلاد العرب من الآثار »

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٣	القسم الثاني من الكتاب :		في الجزء الأول :
	في ذكر أماكُن وردت في غير المعلقات		كلمة بحق الكتاب
	لشعراء مختلفين	١	كلمة المؤلف
١١١	ذكر موقعة حدثت في الزمان الأخير	٦	تصدير بتراجم موجزة لأصحاب المعلقات
	بين عتبية ومطير	١٦	شعر امرئ القيس الذي فيه أسماء للأماكُن
١٣٤	حديث المؤلف عن خروجه خرجها	١١٢	شعر زهير بن أبي سلمى مما يتعلق به
	الأمير فيصل آل عبد العزيز للقصص		غرض الكتاب
١٣٧	ذكر ما بين جدة مرفأ الحجاز وبين	١٦٢	شعر طرفة بن العبد البكري مما يتعلق
	الرياض من الأماكُن		به غرض الكتاب
١٥٣	حديث عن اللصوص الذين كانوا	١٧٠	شعر لبيد بن ربيعة العامري مما يتعلق
	يقطعون الطريق على الحاجج		به غرض الكتاب
١٨٣	ذكر الأماكُن الواقعة في وسط نجد	١٩٢	شعر عمرو بن كلثوم التغلبي مما يتعلق
	وكان بكل منها موقعة		به غرض الكتاب
١٨٥	العرب الباقون في أماكُنهم من عهد	٢١٤	شعر عنتر بن شداد العبسي مما يتعلق به
	الجاهلية		غرض الكتاب
١٨٩	الشعر النبوي ، وحديث عن النبي	٢٢٦	شعر الحارث بن حنزة البكري مما يتعلق
	وأصلهم وموازنة بين المعاني التي قالوا		به غرض الكتاب
	فيها والمعاني العربية	٢٤٤	شعر الأعشى ميمون بن قيس مما يتعلق
٢١٠	اكتشاف موقع سوق عكاظ ، وأدلة ذلك		به غرض الكتاب
٢١٨	خريطة تبين موقع عكاظ		في الجزء الثاني :
٢١٩	خطاب ورد إلى المؤلف من مدير المعارف	٤	شعر النابغة الذبياني مما يتعلق به
	في المملكة العربية السعودية بعد أن		غرض الكتاب
	اطلع على الجزء الأول من هذا الكتاب	٧٦	شعر عبيد بن الأبرص مما يتعلق به
			غرض الكتاب

